AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01162 7076

DS
231
.G4
189
v.1

06-B1848

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

DS
231
G45
1898
v.1

﴿ الجزء الاول ﴾

من كتاب

﴿ خلاصة الكلام فى تاريخ الجاهلية والاسلام ﴾

﴿ تأليف ﴾

﴿ حضرة محمد أفندى غنيم ﴾

﴿ مدرس اللغة العربية والتاريخ بمدرسة القربية ﴾

﴿ طبع بعدان نظرته لجنة الادارة الازهرية وقررت تدريسه ﴾
﴿ لطلبة الازهر الشريف وبعد تصديق الاستاذ الاكبر ﴾
﴿ شيخ الجامع الازهر ﴾

﴿ كتابى ياذوى العرفان هذا * خلاصة كل قول قد تسامى ﴾
﴿ سمحت به الى القراء لكن * حقوق الطبع تحفظ لى دواما ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ بالمطبعة العامرة الشرفيه بشارع الخرنفش بمصر المحميه ﴾

﴿ سنة ١٣١٦ هجريه على صاحبها ﴾

﴿ أفضل الصلاة وأزكى التحيه ﴾

1898

953
G346
ماشاء الله كان
٩٥٣,٠١
ع ٢٠٢ خ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدع أمم العالم ومحصى أحوال بنى آدم خلق الانسان فى أحسن تقويم وجعل أفعاله مكتوبة عليه من طيب وذميم أوجد آدم ومنه تناسل نوع الانسان وانتشرت ذريته على الارض فى كل مكان واختلفوا فكان منهم البار والفاجر والكافر والشاكر والعاصى والطائع والضار والنافع وجعل سيرهم قصصا تتلى على ممر الدهور يعتبر بالمتقدم من تأخر فى العصور أنبأ ببعضها تفصيلا وبعضها اجمالا فى كتابه الذى أنزله على سيد أنبيائه وصفوة أحبابه وبعث فيهم رسلا كل منهم قد بلغ الرسالة وحذر الناس عن الضلالة فمنهم من اتبعه قومه وأطاعوه ومنهم من عصوه وخالفوه فجزاهم الله بما كانوا يكسبون وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وجعل فى الناس ملوكا ورؤسا منهم من ساس بالعدل ومنهم من جار وأساء فهم ما بين ممدوح ومذموم وعادل فى حكمه وظالم غشوم والكل مجزى بأعماله عند الملك الجليل مذكور بأفعاله على ألسنة الناس جيلا بعد جيل وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامين الذى بعثه الله رحمة للعالمين وقص عليه فى كتابه أحسن القصص فاطلع على عجائب الاخبار وغرائب القصص الصادق فى كل ما أتاه الهادى الى أقوم السبل من تحير وتاه ما اتصلت عين بنظر أو حنت أذن لخبر وعلى آله وأصحابه الاخيار الذين نقلوا لنا صحيح

الاخبار 21272

الاخبار واجتهدوا فى نصرة هذا الدين وقمع المتمردين وقاموا باعباء الخلافة أحسن قيام فاتسع بذلك ملكهم ودام (ثم) لايخفى ان الدنيا كلها عبر لاصحاب النظر والفكر يعتبر فيها من تأخر بأحوال من تقدم وعبر ولامرية فى تزايد العقول بما يتصل اليها من الاخبار والنقول فان آثار الاسلاف دائرة بين أمرين بلاخلاف اما حسن يجب اتباعه أو قبيح يلزم تركه وامتناعه وبوصول المحاسن الينا يكون لنا عقل مكتسب من غير مشقة علمنا وبالوقوف على المساوى يعرف الانسان أسبابها فلا يفتح على نفسه أبوابها وبذلك يعلم أن التاريخ فن جليل النفع جميل الصنع يتوصل به الانسان لمعرفة ما كان فى غابر الازمان ويسترشد منه بما فات فى كل ما هو آت ليتسع بمعرفته فكره وكأنه طال به عمره حتى ساغ ان يقال

ليس بانسان ولا عالم * من لم يع التاريخ فى صدره
ومن درى أحوال من قد مضى * أضاف أعمارا الى عمره

وانه يهدى الانسان الى مكارم الاخلاق ويبعده عما يجلب الضرر والشقاق فهو من أجل العلوم ترقية للانسان وتربية للاذهان ولذا قد لزمته كل امة تريد السير فى طريق النجاح حتى تصل به الى ذروة المجد وغاية الفلاح وشغفت به العلماء والوزراء والملوك والاكابر ممن أحسنوا فى سيرهم السلوك واشتغلت بدراسته كل أمة من الامم للاسترشاد بما فيه من العبر والحكم ومعرفة تاريخ أسلافها للوقوف على حقيقة أوائلها وأجدادها وما كان لهم من المنزلة بين الدول فى القرون الخالية والاعصر الاول ويفتخرون بما كان لهم من الاعمال المفيدة والصفات الممدوحة العديدة ويجتهدون فى الزيادة عليها ولا يقفون عند حدها ويركنون اليها عملا بقول من قال

لسنا وان أحسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت اوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

واحق العالم بمعرفة سير آبائهم والاطلاع على أحوالهم وأنسابهم هى الامة العربية لما لها من الشرف المؤبد والصيت المخلد فهى فى الحقيقة أول أمة فى المجد وعلو الهمة ولذا قد اعتنى مؤرخوها كثيرا بتدوين تاريخها والوقوف على حقيقة احوالها وان المؤرخين من الامم غيرهم لم يكشفوا عن الحقيقة القناع ويقصدوا الفائدة لمريدى الاطلاع خصوصا كتب الفرس والروم فانهم قد ستروا فيها كل أمر مذموم لان جل قصد مؤلفيها مدح سلاطينهم ودولتهم وذم مخالفيها فستروا وجه الحقائق وتركوا تحقيق الدقائق فلا تراهم يتكلمون بقولة الا وينسبون الغلبة

والصولة لتلك الدولة مع سب المخالف والمعادى وتسفيه فى المقاصد والمبادى فغشاء التعصب على أعينهم حاجب عن رؤية الحق وأداء الواجب الا واحدا أو اثنين منهم من المتأخرين سلكوا منهج المتبصرين من المؤرخين

واما التواريخ العربية فهى وان كان من مؤرخيها من ابتلى بالعلة العصبية أو خشى الصولة الملوكية ففيهم رجال فحول لا تعدل عن الحق ولا تحول يروون الاخبار كما وصلت اليهم ويبلغون الوقائع على الوجه الذى ثبت لديهم غير ان الاحوال التى قبل الاسلام فى الزمن الغير المعهود أكثرها منقول من كتب الهنود واليهود لا تكاد تخلو عن الخلافات وفيها كثير من الخرافات نقلها المؤرخون بالاعتماد من غير تحر فى صحتها ولا انتقاد مع خلوها من ضبط الاعلام وأسماء البلاد فتمييز صحيحها من باطلها من دونه خرط القتاد (١) ولما كان تمييز الحق من الباطل وتخليص الصحيح من العاطل أمرا يحتاج الى دقة وتفكير وجنان ثابت وتعب كثير

(وكنت قد توجهت عناية شيخ الاسلام ومفتى الانام) أستاذنا الفاضل وملاذنا الكامل من هو عريق فى الفضائل عرى عن المساوى (الشيخ حسونة النواوى) بان يجعل لطلبة الازهر بتدريس هذا الفن الجليل الحظ الاوفر ليعرف الطالب تاريخ العرب فى الجاهلية والاسلام ويحيط علما بسيرة النبى عليه الصلاة والسلام ومن قاموا بعده من الخلفاء والملوك ليهتدوا بذلك الى محاسن السلوك ويستفيدوا منه معرفة الاخلاق النبوية وأشياء كثيرة دينية ودنيوية لعلمه بان التاريخ مجمع الفضائل وأعظم مبعد عن الخسائس والرذائل ضمن العلوم التى أحياها وكان الدهر أهملها وأنساها مع ما فيها من الفوائد الجليلة والمنافع العامة الجزيلة ووافقه على ذلك العلماء الاعلام ورجال الادارة الفخام وكان هذا موافقا لرغائب والينا الاعظم وخديوينا الافخم المؤيد من ربه بالسبع المثانى (افندينا عباس باشا حلمى الثانى) أيد الله أمره بامره وعزز نصره بنصره فانه حفظه الله قد توجهت همته لاحياء العلوم الدوارس (بالجامع الازهر) الذى هو من أعظم المدارس وكان قد جرى الحديث بينى وبين حضرة الاستاذ الفاضل والملاذ الكامل رب الادب والعرفان

(١) القتاد كسحاب شجر له شوك كالابر ينبت بنجد وتهامة ترعاه الابل فى السنة الجدباء وابل قتادية تأكلها والتقتيد أن تقطعه فتحرقه أو تخرطه فتأكله الابل وهو شديد على العرب قال بعضهم (يارب خلصنى من التقتيد) والمثل من دون ذلك خرط القتاد (يضرب للشئ الذى يصعب نواله ولا يمكن الحصول عليه الا بكل مشقة) اه تاج

(الشيخ عبد الكريم سلمان) الذى هو أحد رجال الادارة الازهرية وعضو من أعضاء محكمة مصر الكبرى الشرعية فى ان أؤلف كتابا فى هذا الفن الجليل واجعله فى غاية الايضاح والتسهيل واختط لى بذهنه الثاقب طريق السير الذى يناسب الطالب وكذلك من جد جده ودام سعده (العلامة الشيخ محمد عبده) فان ما أرشدنى اليه ليس بالقليل مما اليه الرجوع وعليه التعويل ولحبهما النشر المعارف واهداء الطالب لمحاسن كل تليد وطارف قد تفضلا حفظهما الله بان يطلعا على كل ما أكتبه بعد ما أنقحه وأهذبه ويشيرا على بما يلزم فيه الايجاز أو التطويل ليتم بذلك هذا المقصد الجليل فأجبتهما الى ذلك طالبا من الله التوفيق والهداية لاقوم طريق وشرعت فى تأليف هذا المختصر الذى سيكون ان شاء الله حائزا للغرر والدرر ﴿وسميته خلاصة الكلام فى تاريخ الجاهلية والاسلام﴾ ولم آل جهدا فى تهذيبه وسهولة عبارته وحسن ترتيبه مذكرا الطالب بالالتفات لاسباب الحوادث والانقلابات فان الكتب ما بين قصير وطويل قد اهملت هذا الغرض الجليل ضابطا له ما يحتاج اليه موضحا ما يخشى ان يغلق عليه ملاحظا فى كل ما أتيت به الاخلاق والدين مع اثباته بقاطع الحجة وساطع اليقين رغبة فى خدمة أوديها وهدية للمسترشدين أهديها واستخرجته من بين فرث(١) ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومورد اعذبا عافيا للواردين

فاقرأ كتابى ان أردت مخبرا * ينبيك عن حال الزمان الاوّل
تلق الحقيقة واضحا برهانها * من بعد ما كانت كليل أليل
فهو الذى بالحق أظهر كنهها * بعبارة مثل الرحيق السلسل (٢)

ومع ذلك فهذا غاية ما فى الوسع والامكان لا غاية ما يتصور من الكمال والاتقان فان التاريخ بحر خضم زاخر قد عجز عن خوض عبابه الاوائل والاواخر ولا لوم على من بذل وسعه وجهده وخير كم من جاد بما عنده والله المسؤل ان يجعله محل القبول انه ولى الهداية فى المبدا والنهاية (هذا) وقد جرت عادة أكثر المؤلفين فى أى فن من الفنون ان يتكلموا على مباديه قبل الشروع فيه فحفظا لسنة الاتباع وتركا لبدعة الابتداع أردت قبل الخوض فى هذا الفن الجليل ان ابدأ بمباديه تسهيلا على طالبيه فقلت باذلا جهد المستطيع راجيا من الله نفع الجميع

---

(١) الفرث بوزن الفلس السرجين ما دام فى الكرش والجمع فروث كفلوس وافرث الكرش شقها والقى ما فيها اه مختار (٢) السلسل والسلسال وسلاسل بالضم سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه اه مختار (انظر مبادى التاريخ العام لابى السعود)

﴿مبادا وليه وتعاريف تاريخية﴾

لكل فن مبادٍ عشرة عرفت * اسم وحد وموضوع وواضعه
وثمرة فضله والحكم نسبته * الى العلوم بها تزهو مطالعه
فافطن لها وبالاستمداد قد كملت * مسائل الفن كي يهدى مطالعه

(أما اسم هذا العلم فهو التاريخ) وقد يعبر عنه بعلم السير جمع سيرة بمعنى الطريقة فى الاصل ثم نقل لما يرادف لفظ التاريخ ومنه السيرة النبوية وذكر أهل السير كذا (وحده لغة) التوقيت أى تعريف الوقت من أرخ الرباعى مضاعف أرخ الثلاثى يارخ أرخا كفتح يفتح فتحا فهو من الباب الثالث ومضعفه أرخ يؤرخ تأريخا وتاريخا بالهمزة والتسهيل وقد يقال فيه ورخ يورخ توريخا بابدال الهمزة واوا كأكد ووكد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (من ورخ مؤمنا فقد احياه) وقيل ان لفظ تاريخ فارسى (معرب عن ماه روز) (١)

(١) (معرب عن ماه روز) وهذا يفيد ان التاريخ كان سابق الاستعمال عند الفرس ثم استعملته العرب كما نقله ابن الاثير عن محمد بن سيرين فى حكاية الصك الذى رفع الى عمر انهم لما اختلفوا فيه قام رجل اليه فقال أرخوا فقال عمر ما أرخوا فقال شئ تفعله الاعاجم فى شهر كذا من سنة كذا فقال عمر حسن فارخوا واتفقوا على الهجرة وهذا ليس بشئ فان التاريخ كان معلوما للعرب من قديم الزمان الا انه لم يكن معتنى به عندهم فى جميع الاحوال أو كان يفعله بعضهم دون بعض الى ان اتفقوا على التاريخ بالهجرة كما سيأتى ذلك موضحا وقال فى قاموس البرهان القاطع المترجم من الفارسية الى التركية (ماه روز) أو (روزمه) أو (سال مه) بمعنى تاريخ فى اللغة العربية ولم يبين أيهما أسبق من الآخر وقال (ماه) بمعنى قمر أو شهر أو مدينة ولذلك يقال للبصرة والكوفة الماهين أى المدينتين و(روز) بمعنى اليوم أو الشمس أو المدة وقال (ونو روز) اليوم الجديد وهو أول يوم تحل فيه الشمس فى برج الحمل وتزعم الفرس انه أول يوم أوجد الله فيه العالم وكانت الافلاك مجتمعة عند برج الحمل وفيه ابتداء دورانها وتولى فيه الملك (جمشيد) شاه المعروف فى كتب العرب بمتوشلخ وجلس مستقبلا الشمس عند شروقها وكان تاجه مكللا بالجواهر فاضاء على وجوه الحاضرين فتفاءلوا بذلك تفاءلا حسنا وقالوا جمشيد اى نور جم ثم مزجوه واعتبروه علما اه ملخصا وقد ذكر هذا الملك ابن الاثير ونقل فى تاريخه خرافات كثيرة رانه حكم سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر وقال انما أتيت به مع ما فيه من الاشياء التى تمجها الاسماع وتأباها العقول والطباع ليعلم جهل الفرس مع انهم كثيرا

(وحده

(وحده اصطلاحا) علم يبين أسماء مشاهير الناس وأزمنتهم وأمكنتهم وأعمالهم وأعمارهم وحده بعضهم بانه شاهد الازمنة ونور الحقيقة ومدرسة الحياة ورسول السلف الى الخلف وزاد عليه غيره ومعلم الملوك والرعايا (١) ويطلق أيضا على ذكر الحوادث مع التنصيص على الوقت الذى وقعت فيه وعلى يوم وقعت فيه حادثة شهيرة لامة من الامم أو دولة من الدول أو شخص من الآحاد وجعلت مبدأ لغيرها من الوقائع التى تنسب اليها ويعتمد فى اثباتها عليها كحادثة الهجرة النبوية بالنسبة لامم الاسلام وميلاد المسيح عليه السلام بالنسبة للتاريخ المسيحى وحادثة الطوفان بالنسبة للقدماء وغير ذلك وعلى المدة الواقعة بين ذلك اليوم والوقت المفروض ويطلق كذلك عند أهل الادب على عبارة نثرية أو شعرية مستقلة بنفسها تتضمن ذكر حادثة شهيرة على وجه مجمل بحروف الجمل بحيث يكون حاصل جمع هذه الحروف يوافق تلك الحادثة على وجه مألوف فالنثرية كقول بعض الادباء مؤرخا نصر الدولة العلية على الامة اليونانية فى هذا العام أى سنة ١٣١٥ هجريه (نصر الله الترك على اليونان) والشعرية كقول بعضهم تاريخا لهذا العام أيضا (عام فوز زها بنصر الخليفة) والتاريخ بهذا الاطلاق هو من التفننات الادبية والمقصود به تخليد ذكر الحوادث بعبارة وجيزة يتذكر بها الانسان عند النسيان

وينقسم التاريخ الى قسمين (أثرى) وهو ما وردت به الكتب الآلهية (وبشرى) وهو ما ألفه الناس من قصصهم وحكاياتهم وحوادثهم الحاصلة فى أى زمان ومكان

وينقسم التاريخ البشرى الى ثلاثة أقسام قديم ومتوسط وحديث فالقديم يعتبر من مبدا الخليقة الى وقت الطوفان سنة ٢٢٤٢ من هبوط آدم عليه السلام من الجنة والمتوسط من زمن الطوفان الى فتح القسطنطينية بالاسلام سنة ٨٥٧ بعد الهجرة وذلك حين سقوط الدولة الرومانية الشرقية والحديث من ابتداء فتوح القسطنطينية بالاسلام الى وقتنا هذا ولكل أمة تقاسيم مخصوصة غير هذه على حسب المقتضيات التى اقتضتها الحوادث والانقلابات

ويمكن ان يعتبر القديم من الخليقة الى البعثة والمتوسط من البعثة الى فتح القسطنطينية

ما يشنعون على العرب بجهلهم (ثم لما تولى السلطان جلال الدين شاه السلجوقى من ملوك الدولة الحديثة قسم السنة أربعة فصول (والنوروز) يوافق ١٢ يوم من فصل الخريف وهو أعظم موسم للفرس لا يؤذون فيه أحدا ويعفون فيه عن كل مذنب اه

(١) واذا أخذ على أعم اطلاقاته ليشمل التاريخ الطبيعى فهو اقتصاص مطلق ما يستحق الذكر من أحوال الموجودات حيوانات أو نباتات أو معادن

والحديث من فتح القسطنطينية الى وقتنا هذا وبعضهم يقسمه الى قسمين ماقبل الاسلام وما بعد الاسلام فكل ما كان قبل الاسلام فهو قديم وما بعده فهو حديث وعليه درج كثير من مؤرخي العرب

ثم التاريخ أيضا اما عام واما خاص فالتاريخ العام هو ما يعم ممالك كثيرة وأمما شهيرة والخاص هو ما يختص بامة من الامم كتاريخ الامة العربية أو تاريخ الامة المصرية أو الفرس أو الروم أو يختص برجل شهير أو ذي شأن خطير كالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين والخلفاء والسلاطين أو تاريخ حادثة شهيرة كالحادثة الطوفان أو تاريخ الهجرة النبوية وأشهر تواريخ قدماء الامم تاريخ قدماء مصر فانهم كانوا في غاية من التقدم في الفنون والصنائع ثم تاريخ السوريين أعني تاريخ أهل بلاد السواحل الشامية فانهم كانوا في سالف الاعصر أهم الامم في فني الملاحة والتجارة ثم أهالي مملكتي اشور وبابل وهم قدماء العراق والاكراد الذين من أشهر مدنهم بابل ونينوى ثم تاريخ العبرانيين ثم تاريخ الميديين والفرس الذين اشتهروا بعظم شأنهم واتقان سياستهم واتساع عمائرهم ثم تاريخ أمة الهند التي اشتهرت بثروتها وضخامة ملكها ويقال انها كانت مملوءة بالعلوم والآداب ثم أمة اليونان أو الاغريق التي كانت مشهورة بالحكمة والآداب وأمة العرب الشهيرة من قديم الزمان بالرفعة على سائر الممالك والبلدان بالفصاحة والحرية والنجدة والشجاعة وحفظ الذمام والحمية الجاهلية والنخوة العربية ولذا جعلها ابن خلدون أول أمة في تعداد الممالك القديمة حيث قال في أول كتابه بعد المقدمة الكلام على أخبار العرب وأجيالهم ودولهم من منذ مبدأ الخليقة وفيه ذكر معاصريهم من الامم الشهيرة كالسريانيين (١) والنبط والكلدانيين (٢) والفرس والقبط والاسرائيليين واليونانيين والروم والالماع لاخبار دولهم الخ

(وأما موضوع هذا الفن) فهو أعمال الانسان في أي زمان ومكان وحالة التمدن والعمران فيكشف به للطالب الحقيقة من عهد مبدأ الخليقة وقد سبق تقسيم التاريخ الى اثري وبشري

(١) وهم قدماء سكان العراق وكردستان وجزيرة ابن عمر (٢) كانت مملكة الكلدانيين في غرب آسيا أسفل ما بين النهرين وما يلي الدجلة والفرات بعد التقائهما الى خليج العجم وابتداء دولتهم الاولى سنة ٢٣٠٠ قبل الميلاد ومؤسسها نمرود حسبما في التوراة ومملكة اشور كانت تمتد من شمال هذه المملكة الى أرمينيا

(فاما

(فاما واضع التاريخ الاثرى) فهو الله سبحانه وتعالى حيث قد أنزله فى الكتب المنزلة على أنبيائه (وأما التاريخ البشرى) فهو من وضع الانسان وهو قديم الوضع أيضا من عهد آدم عليه السلام وهو الواضع له حسبما نص عليه الاستاذ أبو السعود رحمه الله حيث قال والتاريخ بعنى اقتران الحوادث هو علم قديم الوضع بقدر قدم العالم تصعد أوليته الى آدم عليه السلام وما أخذ ذلك من قوله عند استنباطه من نومة التى ألقاها الله عليه ليخلق حواء من ضلعه (١) حسبما ورد فى التوراة (هذه عظم عظمى ولحم لحمى) اذ قوله هذا هو حكاية حادثة شاهدها وواقعة حال حققها وما أشبه ذلك ثم ترقى التاريخ بهذا المعنى شيأ فشيأ كسائر العلوم البشرية حتى دونه السلف من الامم الاقدمين الذين اشتغلوا بتدوين العلوم كالمصريين والعرانيين واليونان والرومانيين وجاءت أمة العرب فاعتنت به كذلك ودونته كسائر العلوم الاسلامية وذكر ابن عساكر فى تاريخه باسناد الى الزهرى والشعبى قال لما هبط آدم عليه السلام من الجنة وانتشر ولده أرخ بنوه من هبوط آدم عليه السلام فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله تعالى نوحا فارخوا ببعث نوح عليه السلام حتى كان الطوفان فهلك من هلك وخرج نوح وذريته ومن معه من السفينة فكان التاريخ من الطوفان الى زمن نار ابراهيم عليه السلام ثم اجتمع رأى كل أمة فارخ الروم واليونان بظهور اسكندر الرومى وأرخ المسيحيون بميلاد عيسى عليه السلام وأرخ بنو اسحاق من مبعث نبى الى مبعث نبى آخر وأرخ بنو اسماعيل من بنيان البيت حين بناه ابراهيم واسماعيل حتى تفرقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم ومن بقى بتهامة من بنى اسماعيل أرخوا بخروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤى فارخوا من موته ومازالوا يؤرخون ما كان من الحوادث حتى أتى عام الفيل فجعلوه تاريخا الى ان حصلت الهجرة فارخوا بها اه من الكامل لابن الاثير

والمشهور ان أول من أرخ بالهجرة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته وذلك انه كتب اليه أبو موسى الاشعرى عامله على الكوفة انه يأتينا من قبلك كتب ليس لها تاريخ فلا نفرق بين سابقها ولاحقها فاستشار الصحابة رضى الله عنهم فاجمعوا على التاريخ من الهجرة ثم قدموه عليها بشهرين وجعلوه من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى عمر صك محله شعبان فقال أى شعبان شعبان الذى هو آت أم شعبان الذى نحن فيه ثم قال للصحابة ضعوا للناس شيأ يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فانهم يؤرخون من عهد

(١) قال فى المختار الضلع بوزن العنب واحد الضلوع والاضلاع وتسكين اللام جائز والضلع بوزن الشرع الميل والجنف اه مختار

ذى القرنين فقال هذا يطول وقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما قام ملك طرح تاريخ سابقه واجتمع رأيهم على أن يؤرخوا من الهجرة ثم اختلفوا فى الشهور فقالوا اى شهر نبدأ أول السنة فقال بعضهم برمضان وبعضهم برجب وبعض بذى الحجة وبعض بالشهر الذى قدم فيه النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وبعض بالشهر الذى خرج فيه من مكة فقال عثمان رضى الله عنه أرخوا من المحرم فاجمعوا على ذلك وشهرة هذا القول قد اعتمده المؤرخون حتى لا يكاد يختلف فيه اثنان ونقله ابن الاثير فى الكامل ويقابله ما قاله صاحب جواهر السلوك فى تاريخ الملوك فى مقدمة ما نصه التاريخ سنة ماضية أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كتب كتابه لنصارى نجران فقال لكاتبه اكتب انه كتب لخمس من الهجرة ونقل صاحب أخبار الدول عن المحب الطبرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالتاريخ حين قدم المدينة فلم يزالوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه صلى الله عليه وسلم حتى أرخ عمر رضى الله عنه من الهجرة ولا يخفى ما فى هذين القولين من الضعف لانه لو كان كذلك لما جهله عمر رضى الله تعالى عنه وأكابر الصحابة ولم يكن هناك داع لجمعه الصحابة واستشارتهم فى وضع التاريخ ولا لاختلافهم فيه كما سبق بعد ان فعله صلى الله عليه وسلم وأمر به الا ان يكون ذلك الامر خاصا باهل المدينة لضبط المعاملات فيما بينهم وكان يفعله بعضهم دون بعض بدليل حكاية الصك السابقة الذكر والله أعلم

ويعتبر الفرنج ان أول مؤرخ فى العالم هو موسى عليه السلام وان التوراة هى أقدم تاريخ فى الدنيا وأشهر المؤرخين القدماء عند اليونان هو (هيرودوت) دالى كرناس أى (١) الهليكرناسى وعند الرومان (ديودورا الصقلى ٢) وعند قدماء المصريين القسيس (مانيتون) الذى جمع تاريخ مصر القديم من الآثار بامر بطليموس الثانى من ملوك دولة البطالسة وكانت تنقش الحوادث التاريخية المشهورة قبل ذلك الوقت على المبانى والهياكل فى ألواح وأعمدة من الرخام والاحجار الصوانية لتبقى على ممر الدهور وتعاقب العصور ولا يزال بعض هذا باقيا الى الآن عند الامم المتمدنة * وأول أمة اعتنت بنقش حوادثها التاريخية هى الامة المصرية فانه لم يزل كهنة المصريين القدماء وملوكهم يعتنون بهذا الامر من قديم الزمان قبل الميلاد بنحو خمسة آلاف سنة كما تشهد بذلك آثارهم وتنطق به اخبارهم فهم فى الحقيقة أول من دون التاريخ من الامم كما نص عليه القرمانى

(١) نسبة الى هليكارناس بلدة قديمة من بلاد آسيا الصغرى تعرف الآن باسم بضروم
(٢) نسبة الى جزيرة صقلية

فى تاريخه المسمى باخبار الدول وآثار الاول حيث قال واول التواريخ التى بايدى الناس هو تاريخ القبط لانه بعد انقضاء الطوفان

وقد اشتهر فى العرب كثير من المؤرخين (١) وصنفوا فيه كتبا كثيرة حتى عد بعضهم للعرب أكثر من ألف وثلاثمائة مصنف وعد منها خمسة عشر مؤلفا حسنة الترتيب قليلة الكلام على الحوادث التاريخية القديمة جديرة بالاعتناء بها والرجوع اليها

ومن مشاهير مؤرخيهم أبو الفدا وبهاء الدين وأبو الفرج وهؤلاء معدودون عند أهل أوربا من الطبقة الاولى وان كان ابن خلدون والمقريزى وجلال الدين السيوطى والواقدى والطبرى والمسعودى وابن الاثير والنويرى وابن الفرات وابن الجوزى والعتبى وأمثالهم ليسوا أقل منهم فى الاعتبار

(فاما أبو الفدا) رحمه الله فهو الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن على بن شاذى بن المظفر ابن المنصور كان سلطانا بحماه فى ابتداء القرن الرابع عشر من الميلاد وكان عالما محبا العلم والعلماء ألف تاريخا كثير الفوائد وله كثير فى النظم والنثر وكان شجاعا فى الحرب ذكيا فى الاشرة مولعا بمحاسن الفنون الادبية والعلوم العربية وتاريخه قد استمده من تواريخ متوسطة الاعتبار لكن لا بأس بمراجعته للحصول على ثمرة التاريخ السياسى والادبى الاسلامين وتاريخ امبراطرة اليونان أهل القرن الثامن والتاسع والعاشر بعد الميلاد وقسم هذا المختصر خمسة أجزاء ذكر فى الاول قصص الرسل والانبياء والقضاة والملوك من بنى اسرائيل وفى الثانى العائلات الاربع التى منها ملوك الفرس وفى الثالث فراعنة مصر وملوك اليونان وامبراطرة الرومان وفى الرابع ملوك العرب قبل الاسلام وفى الخامس تاريخ أمم مختلفة كالصابئة والقبط والفرس وغيرهم ثم الحوادث التى من مولد النبى صلى الله عليه وسلم الى سنة ١٣٢٨ ميلادية وله تصانيف أخرى ككتاب تقويم البلدان وكتاب الموازين وكان شافعيا ونظم الحاوى فى الفقه وله فى النظم كثير ومن شعره

اقرأ على طيب الحيا * ة سلام صب مات حزنا
واعلم بذاك أحبتى * بخل الزمان بهم وضنا
لو كان يشرى قربهم * بالمال والارواح جدنا
متجرع كاس الفرا * ق يبيت للاشجان رهنا
صب قضى وجدا وما * قضى له ماقد تمنى

ومحاسنه كثيرة وقد مدحه الشعراء كثيرا وكان مولده سنة ٦٧٢ هجرية وتوفى رحمه الله سنة

(١) انظر مؤرخى العرب فى ترجمة سيديو

٧٣٣ وعمره احدى وستون سنة ولما مات رثاه الشيخ كمال الدين ابن نباتة بقصيدة أولها

مالليلى لا يلبى صوت داعيه * أظن ان ابن شاذى قام ناعيه
مالارجاء قد استدت مذاهبه * ماللزمان تداسودت نواحيه
نعى المؤيد ناعيه فيا أسفى * للغيث كيف غدت عنا غواديه
كان المديح له عرس بدولته * فاحسن الله للشعر العزافيه
يا آل أيوب صبرا ان ارثكم * من اسم أيوب صبر كان ينجيه
هى المنايا على الاكوان دائرة * كل سيأتيه منها دور ساقيه

(وأما بهاء الدين) فهو يوسف بن رافع بن تميم ولد بالموصل (١) وشب وكان ذكيا واجتهد فى الحديث والفقه الى ان صار من أعظم المدرسين درس فى بغداد ثم فى الموصل وألف تاريخ السلطان صلاح الدين يوسف الايوبى وكان قاضى عسكره واستمر بعد وفاة صلاح الدين ونال عند أولاده منزلة لم ينلها سواه من علماء عصره وصار قاضى حلب واقطعه العزيز فى السنة ما يزيد عن مائة ألف درهم وكان تقيا ورعا محبا لانتشار العلوم ولذلك بنى بحلب مدرستين احداهما للتدريس العلماء والثانية لتعليم الشبان وجعل تربته بينهما فقال بعض الناس هذه تربة بين روضتين راجيا ان تشمله بركة العلم ميتا كما شملته حيا ثم ترك القضاء زاهدا واشتغل بالتدريس حتى مات سنة ٦٣٢ هجريه وعمره تسعون سنة

(وأما أبو الفرج) فانه ولد بقرية ملطية من أعمال آسيا الصغرى سنة ١٢٢٦ ميلاديه الموافقة لسنة ٦٢٣ هجريه واسمه غريغوريوس بن حكيما المعروف بابن العبرى وهو من الطائفة النصرانية المعروفة باليعقوبية ألف عدة كتب فى الالهيات والفلسفة وكان مؤرخا وطبيبا وألف بالسريانية تاريخا عاما ثم ترجمه بالعربية اجابة لرجاء أحبابه وهو من ابتداء خلق الدنيا مشتمل على نفائس متعلقة بالعرب وغيرهم وله كتاب تاريخ مختصر الدول طبع أخيرا فى بيروت وشرح قانون ابن سينا وتوفى سنة ٦٨٥ هجريه بعد ان عمر ٦٢ سنة

(وأما ابن خلدون) فهو عمدة المؤرخين وقدوة المحققين العلامة عبد الرحمن بن خلدون

---

(١) قال فى اللباب بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وفى آخره لام وهى قاعدة بلاد الجزيرة وهى على الدجلة فى جانبه الغربى ويقابلها من جهة الشرق مدينة نينوى التى تخربت وجنوب الموصل يصب نهر الزاب وهى فى مستو من الارض ولها سور ان قد تخرب بعضهما وسورها أكبر من سور دمشق وبها قلعة شهيرة والمعمور فيها الآن نحو ثلثيها

المغربى ولد بتونس سنة ٧٣٢ هجريه وهو وان لم يكن لدى مؤرخى العرب الحربة فى الافصاح عن حقائق الوقائع التاريخيه مخوفا من الملوك والحكام الذين كانوا لا يودون اظهار الحقائق وان لا يؤثر عنهم الا المحاسن وان يطوى قبيح أفعالهم ولا يدون فى بطون التواريخ وان أغلبهم كان يحذر من كتابة الاحوال السنوية من سلطنته ويهدد من يخالف بالقتل ولذلك احترس المؤرخون واقتصروا على ما يرفع ذكر الحاكم فانه لم تأخذه فى الحق لومة لائم ولم يحذر بطش الظلمة على ما يظهر واجتهد فى اظهار الحقائق واستخراج ما ظهر له من النتائج والدقائق واشتغل بذلك وهو وشاب وقد دخل بلاد المغرب فى القرن الرابع عشر من الميلاد فخدم يسيرا فى دولة ملوك (فاس) وشاهد الحوادث والانقلابات التى حصلت ببلاد المغرب فى القرن الرابع عشر من الميلاد ثم قدم مصر ودرس لسائر الناس وتولى قضاء المالكية بالديار المصرية ثم عزل فالبسه سلاطين المغرب لعلمهم بجلالة قدره وقد ألف تاريخه المشهور واسماه بالسير والعبر وديوان المبتدا والخبر وقسمه الى سبعة أجزاء وبدأه بمقدمة نفيسة بدأها بالانتقاد التاريخى ثم بحث عن حال الهيئة الاجتماعية البشرية فى بداية أمرها وخطط الكرة الارضية بايجاز وبحث عن عظم تأثير تنوعات الاقاليم فى النوع الانسانى وعن الاسباب الموجبة لعلو شأن الممالك وانحطاطها وعن العمل من حيث هو وعدد الصنائع العقلية والعملية وعن ترتيب العلوم حسب موضوعاتها وأيد قوله بامثلة غربية استمدها من التواريخ السنوية التى عند الامم ترجمها الى التركية محمد بيرزاده فى عهد السلطان احمد الثالث وتكلم فى التاريخ على أحوال العرب والبربر الى آخر القرن الرابع عشر من الميلاد وتوفى سنة ٨٠٨ هجريه وله من العمر ٧٦ سنة

(وأما المقريزى) فهو الامام نصر الدين أحمد بن عبد الصمد المعروف بالمقريزى كانت عائلته من أصول سكان بعلبك (١) وولد بالقاهرة سنة ٧٦٠ هجريه ونشأ بها فتعلم فيها العلوم ولاحت عليه سمة النجابة والذكاء فتولى نيابة القضاء بالمحكمة الكبرى تحت نظارة القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى وولى الحسبة عدة مرات ووظائف أخرى دينية وكان حنفيا فتشفع وذم اتباع أبى حنيفة فلامه العلماء وصنف التصانيف المفيدة والتاريخ العديدة التى منها كتاب الخبر عن البشر وكتاب السلوك فى معرفة الملوك وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار خطط فيه وادى مصر وتكلم

(١) بعلبك بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء وكاف فى آخرها قرية من بلاد الشام ذات اسوار واشجار وبها قلعة حصينة وهى لطيفة الهواء كثيرة الطيور والانهار على مقربة من دمشق

على ما فى قراه من العمائر الجسيمة والآثار القديمة والبرازخ والمساجد الى غير ذلك وبين فيها الوقائع التاريخية الحاصلة بوادى مصر وسياسة ملوكه وادارة حكامه وحركة تجارته منذ الفتح الاسلامى الى حينه وكتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد وغيرها من المؤلفات وشرع فى تدوين تاريخ عام مشتمل على أحوال سائر من ملك وادى مصر ومن اشتهر به ومن سكنه من الغرباء أفرزاره من السائحين مرتبا أسماؤهم على حروف المعجم وكان يبلغ لو كمل ثلاثين مجلدا تقريبا وهو موجود فى كتبخانة باريس الكبرى بخط واضح منبئ عن كلمات وجزئيات المسلك الذى سلكه مؤلفه وتوفى بالقاهرة سنة ٨٤٥ هجريه وعمره ٧٠ سنة

وأما جلال الدين السيوطى) فهو العلامة عبد الرحمن السيوطى ولد بقرية أسيوط من قرى مصر سنة ٨٤٩ هجريه وكان من أعاظم العلماء وأكابر الفضلاء قال رحمه الله فى كتابه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة حاكيا ترجمة حياته ما نصه وكان مولدى بعد المغرب ليلة الاحد مستهل رجب سنة ٨٤٩ وحملت فى حياة أبى الى الشيخ محمد المجذوب رجل كان من أكابر الاولياء بجوار الشهد النفيسى فدعا لى بالبركة ونشأت يتيما فحفظت القرآن ولى دون ثمان سنين ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والاصول والفية ابن مالك وشرعت فى الاشتغال بالعلم من مستهل سنة ٦٤ فاخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ وأخذت الفرائض عن العلامة فرضى زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحى الذى كان يقال انه بلغ عمرا طويلا وجاوز المائة بكثير والله أعلم بذلك قرات عليه فى شرحه على المجموع وأجزت بتدريس العربية فى مستهل سنة ٦٦ وقد ألفت فى هذه السنة فكان أول شئ ألفته شرح الاستعاذة والبسملة واوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقينى فكتب عامه تقريظا ولازمته فى الفقه الى ان مات فلازمت ولده فقرات عليه من أول التدريب لوالده الى الوكالة وسمعت عليه من أول الحاوى الصغير الى العدد ومن أول المنهاج الى الزكاة ومن أول التنبيه الى قريب من باب الزكاة وقطعة من الروضة من باب القضاء وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشى ومن احياء الموات الى الوصايا أو نحوها وأجازنى بالتدريس والافتاء من سنة ٧٦ وحضرت تدريسى فلما توفى سنة ٧٨ لزمت شيخ الاسلام شرف الدين المناوى فقرات عليه قطعة من المنهاج وسمعته عليه فى اثنى عشر مجلس فاتنى وسمعت دروسا من شرح البهجة ومن حاشيته عليها ومن تفسير البيضاوى ولزمت فى الحديث والعربية شيخنا الامام العلامة تقى الدين الشبلى الحنفى فواظبته أربع سنين وكتب لى تقريظا على شرح الفية ابن مالك وعلى جمع الجوامع فى العربية تأليفى وشهد لى غير مرة بما تقدم فى العلوم بلسانه وبنانه ورجع الى قولى مجردا

فى حديث فانه أورد فى حاشيته على الشفا حديث ابى الجمراف فى الاسرا وعزاه الى تخريج
ابن ماجه فاحتجت الى ايراده بسنده فكشفت ابن ماجه فى مظنته، فلم أجده فررت على
الكتاب كله فلم أجده فانهمت نظرى فررت مرة ثانية فلم أجده فعدت ثالثة فلم أجده
ورايته فى معجم الصحابة لابن قانع فجئت الى الشيخ وأخبرته فبمجرد ما سمع منى ذلك أخذ
نسخته وأخذ القلم فضرب على لفظ ابن ماجه وألحق ابن قانع فى الحاشية فاعظمت
ذلك وهبته لعظم منزلة الشيخ فى قلبى واحتقارى فى نفسى فقلت الا تصبرون لعلكم
تراجعون فقال لا انما قلدت فى قولى ابن ماجه البرهان الحلبى ولم أنقل عن الشيخ الى
ان مات ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيى الدين الكافيجى أربع عشرة سنة
فاخذت عنه الفنون من التفسير والاصول والعربية والمعانى وغيرذ ك وكتب لى
اجازة عظيمة وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفى دروسا عديدة فى الكشاف
والتوضيح وحاشية على وتلخيص المفتاح والعضد وشرعت فى التصنيف فى سنة ٦٦
وبلغت مؤلفاتى الى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ماغسلته، ورجعت عنه وسافرت
بحمد الله تعالى الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ولما
حججت شربت من ماء زمزم لامور منها ان أصل فى الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين
البلقينى وفى الحديث الى رتبة الحافظ بن حجر وأنتيت من مستهل سنة احدى وسبعين
وعقدت املاء الحديث من مستهل سنة ٧٢ ورزقت التبحر فى سبعة علوم التفسير
والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على
طريقة العجم وأهل الفلسفة والذى اعتقده ان الذى وصلت اليه من هذه العلوم السبعة
سوى الفقه والنقول التى اطلعت عليها فيها لم يصل اليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى
فضلا عمن هو دونهم واما الفقه فلا أقول ذلك فيه بل شيخى فيه أوسع نظرا وأطول باعا ودون
هذه السبعة فى المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ودونها الانشاء والترسل
والفرائض ودونها القراآت ولم آخذها عن شيخ ودونها الطب وأما علم الحساب فهو أعسر
شئ على وأبعده عن ذهنى واذا نظرت الى مسئلة تتعلق به فكانما أحاول حبلا أحمله وقد كملت
عندى الآن آلات الجهاد بحمد الله تعالى أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا وأى
شئ فى الدنيا حتى يطلب تحصيلها للفخر وقد زاف الرحيل وبدا المشيب وذهب أطيب
العمر ولو شئت ان أكتب فى كل مسئلة مصنفا باقوالها وأدلتها النقلية والعقلية
ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك
من فضل الله لا بحولى ولا بقوتى فلا حول ولا قوة الا بالله ماشاء الله لا قوة الا بالله وقد كنت
فى مبادى الطلب قرأت شيأ فى علم المنطق ثم ألقى الله كراهته فى قلبى وسمعت ان ابن

الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك فعوضنى الله تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم واما مشايخى فى الرواية سماعا واجازة فكثيرون أوردتهم فى المعجم الذى جمعتهم فيه وعدتهم نحو ١٥٠ ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالى بما هو أهم وهو قراءة الدراية ثم عدد مصنفاته فى سائر العلوم التى ألف فيها الى ان وصل الى التاريخ فعد من مؤلفاته فيه حسن المحاضره فى تاريخ مصر والقاهره والقول انه صحيح فى تعيين الذيل وتاريخ الصحابة وطبقات الحفاظ وطبقات النحاة الكبرى والصغرى والوسطى وطبقات المفسرين وطبقات الاصوليين وطبقات الكتاب وحلية الاولياء وطبقات شعراء العرب وتاريخ الخلفاء وتاريخ أسيوط ومعجم شيوخه الكبير ويسمى حاطب ليل وجارف سيل والمعجم الصغير ويسمى المنتقى وترجمة النووى وترجمة البلقينى وتاريخ العمر وهو ذيل على أبناء الغمر ورفع الباس عن بنى العباس والنفحة المسكية والتحفة المكية الى آخر ما قال وتوفى رحمه الله بعد ان بلغ من العمر نيفا وستين سنة

(وأما الواقدى) فهو أبو عبد الله محمد الواقدى المدنى مولى بنى هاشم ولد سنة ١٣٠ هجريه وكان اماما عالما له التصانيف فى المغازى وغيرها وله كتاب الردة ذكر فيه أخبار العرب ويعزى اليه تاريخ الشام توفى سنة ٢٠٧ هجريه

(وأما الطبرى) فهو أبو جعفر محمد بن جرير صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير ولد سنة ٢٢٤ هجريه كان أحد الائمة الاعلام يحكم بقوله ويرجع الى رايه لمعرفته وفضله وكان خبيرا عارفا بايام الناس وتاريخه من أصح التواريخ وأثبتها توفى سنة ٣١٠ هجريه وله من العمر ست وثمانون سنة

(وأما المسعودى رحمه الله) فانه كان معدودا أيضا من أعظم المؤرخين فى أعصر عز الاسلام فى القرن العاشر من الميلاد ولد بالعراق وأولع منذ شبيبته بتحصيل العلوم فتبحر فيها ثم فى الفلسفة والادبيات والجغرافية والتاريخ وسائر العلوم العربية وطالع تاريخ اليونان والرومان وجميع تواريخ الامم المشرقية واطلع على عقائد الاديان المختلفة فعرف بين الخاص والعام بسعة الاطلاع وألف كتابا كبيرا يسمى أخبار الزمان وكتابا أوسط يبلغ مجموعهما أكثر من عشرين مجلدا وكتابا أصغر يسمى بمروج الذهب ومعادن الجواهر قد تكلم فيه على التاريخ القديم للعرب والعجم واسترسل فيه للتاريخ الحديث فكتب فيه ودون سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه ومن والاهم من الملوك لغاية عصره ثم حضر الى مصر وأقام بها وتوفى سنة ٩٥٦ ميلاديه

(وأما ابن الاثير) الملقب بعز الدين فهو العلامة أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد

ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ولد فى جزيرة (١) ابن عمر من جزيرة النهرين المعروفة بالعراق (٢) العربى سنة ٥٦٧ هجريه
ثم توطن الموصل فكان منزله بها مجمع أهل المعارف وكان حافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بانساب العرب وأيامهم ووقائعهم وفيها ألف كتابه المسمى بالكامل الممتد من نشأة لدنيا الى سنة ١٢٢١ ميلاديه وقد ذيله أبو طالب على فاوصله الى سنة ١٢٥٨ ميلاديه الموافقة لسنة ٦٢٨ هجريه وترجمه الى الفارسية نجم الدين النزارى فى سلطنة ميرزا ميران شاه بن تيمور لنك ومن مؤلفات ابن الاثير تاريخ الاتابكة ملوك الشام وأسد الغابة فى معرفة أسماء الصحابة رضى الله عنهم وله مؤلفات كثيرة غير ماذكر ثم أقام فى حلب وكانت فيها وفاته سنة ٦٣٠ هجريه وعمره ٦٣ سنة
(وأما النويرى) فهو شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البكرى كان رحمه الله من مشاهير المؤرخين وفضلاء المحققين شافعى المذهب ألف تاريخا فى عشر مجلدات يشتمل على نفائس فى أخبار قدماء العرب واشتهر بحسن الخط كشهرة ابن البواب ببغداد فى غاية القرن العاشر من الميلاد ونسخ صحيح البخارى ثمانى مرات وباع كل نسخة بالف درهم وتوفى فى رمضان سنة ٧٣٣ هجريه وعمره ٥٠ سنة
وخلفه ابن الفرات المولود سنة ١٢٣٥ ميلاديه وهو ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن المصرى الحنفى كان لهجا بالتاريخ فى مجالسه مشتغلا به كثيرا وأنف فيه كتابا خمسة وعشرين مجلدا مبدؤه الهجرة المحمدية وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ٨٧٥ هجريه الموافقة لسنة ١٤٠٥ ميلاديه وعمره اثنتان وسبعون سنة
(واشتهر فى القرن الثالث عشر ابن الجوزى) الذى ألف كتاب مرآة الزمان وكان مشهورا بالفقيه المفتى والمؤرخ والخطيب الفصيح
(وأما العتبى) فهو محمد بن عبد الجبار رئيس ديوان الانشاء بخراسان والعراق ولد فيما وراء نهر جيحون وألف سنة ١٠٥٠ ميلاديه تاريخا فى أخبار الاعصر القديمة وسيرة محمود الغزنوى وقد جمع ابن قتيبة البغدادى قبل هؤلاء المؤرخين بكثير مواد مهمة تتعلق بانساب

(١) مدينة صغيرة على شواطئ دجلة من جهة الغرب ذات بساتين كثيرة وقال ياقوت وجزيرة ابن عمر فى شمال الموصل يحيط بها دجلة مثل الهلال وهى على غرب دجلة
(٢) العراق بكسر العين وهو يذكر ويؤنث كما فى الصحاح وهو على ضفتى دجلة مثل ما بلاد مصر على ضفتى النيل ويمتد على دجلة الى عبادان على مصب دجلة فى بحر فارس وأما امتداده غربا وشرقا فمن القادسية الى حلوان (من حسن المحاضرة)

العرب وتاريخا فى أخبار الشعراء وسيرهم وكثير غير من ذكر ممن اقتفى آثارهم ونسج على منوالهم ويضيق المقام عن حصرهم

ومن مؤرخى العرب أيضا مؤرخو اسبانيا الذين من اشهرهم أحمد بن محمد المقرى المولود بتلمسان المنسوب الى قبيلة قديمة فى ضواحى هذه المدينة ذهب الى فاس سنة ١٦٠٠ ميلاديه فتخرج على من فيها من العلماء وعزم على الحج سنة ١٦١٨ ميلاديه وتوطن القاهرة ثم كمل بعد عشر سنين وهو بدمشق تاريخ عائلات السلاطين الاسلامية التى فى اسبانيا وأملى شرحا على مقدمة ابن خلدون واستعد لتدوين السيرة النبوية واستمد من تاريخ ابن الخطيب فى تاريخه والتميسى المدوّن سنة ١١٢٥ ميلاديه كتابا فى سير شعراء وعلماء القرن الحادى عشر وابن حيان المؤلف فى مسلمى اسبانيا تاريخا اختصره الازدى الحميدى سنة ١٠٩٥ ميلاديه وابن حبيب السلمى الذى اشهر تاريخا قديما فى الخلفاء السبعة الاول من بنى أمية وابن الحارث الذى ألف تاريخ قضاة قرطبة الى آخر القرن العاشر وشهاب الدين أحمد الفارسى الذى دوّن تاريخا وافيا عاما فى جميع الممالك وغيرهم من الفضلاء وأكابر العلماء والنبلاء

(وأما ثمرة هذا العلم) فهى الانتفاع بذكر الحوادث التى حصلت فى الكون خيرا كانت أو شرا والتبصر فى الامور بقياس الحاضر على الغائب والاسترشاد بما فات فى كل ما هو آت للتحلى بالاخلاق الحميدة والتخلى عن الصفات الذميمة (قال العلامة ابن خلدون رحمه الله فى مقدمته) اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم فى أخلاقهم والانبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا الى آخره وفى هذه العبارة كفاية للدلالة على نفاسة فن التاريخ وبيان كثرة فوائده وثمرته وشريف غايته وان المقصود منه هو تهذيب الاخلاق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل وكفاه شرفا قول الامام على رضى الله تعالى عنه يرغب ابنه الحسن فى تعلمه يا بنى انى وان لم أكن عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت فى أعمالهم وفكرت فى أخبارهم وتبصرت فى آثارهم حتى عدت كاحدهم بل كأنى بما انتهى الى من أمرهم قد عمرت من أولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله الى آخر ما قال فانه كرم الله وجهه قد أودع فى هذه العبارة ما يرشد الانسان الى الغرض المقصود من فن التاريخ ويهديه الى كيفية البحث والنظر فيه فيعود وقد استنار عقله وكمل علمه بالوقوف على جميع

مقاصد الامم وسيرهم وعوائدهم حتى يهتدى منها بالاحسن ويترك كل أمر غير مستحسن
(وقال بعض العلماء) التاريخ معاد معنوى لانه يعيد الاعصار وقد سلفت وينشر أهلها
وقد ذهبت وبه يستفيد ملكة التجارب من كان غرا ويلقى آدم ومن بعده من الامم
وهلم جرا فهم لديه وقد ضمنتهم بطون القبور أحياء فى عداد الحضور ولولا التاريخ
لجهلت الانساب ونسيت الاحساب ولم يعلم الانسان ان أصله من تراب وكذلك لولاه
لماتت الدول بموت زعمائها واستترعن الاواخر حال قدمائها ولم يحط علما بما تداولته
الارض من حوادث سمائها ولما كان العناية به لم يخل منه كتاب من كتب الله المنزلة
فمنها ما أتانا باخباره المجملة ومنها ما أتانا باخباره المفصلة وقد وردان فى التوراة سفرا
من أسفارها يتضمن أحوال الامم السالفة ومدد أعمارها وكانت العرب القدماء على
جهلها بالقلم وخطه والكتاب وضبطه تصرف الى التاريخ جل دواعيها وتجعل
له أوفر حظ من مساعيها وتستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها وتعتاض برقم
صدورها عن رقم مسطورها كل ذلك عناية منها باخبار أوائلها وتقييد فضائلها وهل
الانسان الا ما اسسه ذكره وبناه وهل البقاء لصورة لحمه ودمه لولا بقاء معناه فالتاريخ
عمود اليقين وحياة المتقدمين والنافى للشك لما فيه من التنصيص والتعيين به تعرف
الحقوق وتحفظ العهود ويبرز ما فى مقام الغيب الى مقام الشهود ومن أرخ فقد حاسب
على عمره ومن كتب وقائع أيامه فقد كتب الى من بعده بحوادث أمره ومن قيد ما شاهد
فقد أشهد أحوال أهل عصره من لم يكن فى عصره ومن كتب التاريخ فقد أبدى الى
من بعده أعمارا وبوأ مسامعهم وأبصارهم ديارا ما كانت لهم ديارا

يا خليلى ذكرانى بسعدى * واسعدانى بذكر سكان ربعى
فاتنى ان أرى الديار بعينى * فلعلى أرى الديار بسمعى

وروى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه أقام على تعلم أيام الناس والادب عشرين سنة
وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه ولا شك ان ذلك من أعظم الفوائد وأجل
العوائد وفى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أخبار الامم السالفة
وأحوال القرون الخالفة ما فيه عبرة لذوى البصائر وقال الله عز وجل وهو أصدق
القائلين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق
وموعظة وذكرى للمؤمنين وقال جل شأنه ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة
بالغة فما تغنى النذر وفى صحيح مسلم عن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أكنت
تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه

الصبح حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون ويأخذون من أحوال الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بنى اسرائيل حتى نصبح الحديث ولم تزل الصحابة من بعده يتفاوضون فى حديث من مضى ويتذاكرون فى أخباره من سبقهم من الناس وقال المقدسى (١) رحمه الله ولقد رأيت مجلسا جمع فيه ثلاثة عشر مدرسا فيهم قاضى قضاة ذلك الزمان وغيرهم من الاعيان فجرى بينهم وأنا أسمع ذكر من تحرم عليه الصدقة وهم ذوو القربى المذكورون فى القرآن فقال جميعهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وعدلوا جميعهم فى ذلك عما يجب فعجبت من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يهتدوا الى أن المطلب هو عم عبد المطلب وان عبد المطلب هو ابن هاشم فما أحقهم بلوم كل لائم فان هذا أصل من أصول الشريعة قد أهملوه وباب من أبواب العلم قد جهلوه ولزم من قولهم اخراج بنى المطلب من هذه الفضيلة فابتغيت الى الله الوسيلة وأنقذت نفسى من ذلك المقام فأخذتها بعلم أخبار الايام وتصحيح اثباتها وايضاح محجتها الى آخر عبارته فالتاريخ هو السبيل الى معرفة من مضى من الامم وكيف حل بالمعاند السخط والغضب فآل أمرهم الى التلف والعطب وكشف عورات الكاذبين وتمييز حال الصادقين ولا يخفى حكاية اليهود لما أظهروا كتابا وزعموا انه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جماعة من الصحابة رضى الله عنهم من كل قبيل فاذا هم قد كتبوا فيه شهادة سعد بن أبى وقاص ومعاوية بن أبى سفيان فظهر بذلك

(١) المقدسى هو العلامة شهاب الدين أبو شامة ولد سنة ٥٩٦ هجريه بدمشق وكانت وفاته سنة ٦٦٥ هجريه حفظ القرآن وله عشر سنين وتعلم القراآت وجمعها كلها على السخاوى وله ست عشرة سنة ثم اعتنى بفن الحديث وغيره من العلوم واتقن الفقه ودرس وافتى وصنف شرحا للشاطبية واختصر تاريخ دمشق مرتين الاولى فى عشرين مجلدا وله كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النوريه والصلاحية وكتاب الذيل عليها وكتاب شرح الحديث المتفق فى مبعث المصطفى وكتاب ضوء القمر السارى الى معرفة البارى والمحقق فى علم الاصول فيما يتعلق بأفعال الرسول وكتاب البسملة الاكبر فى مجلد وكتاب البسملة الاصغر وكتاب الباعث على انكار البدع والحوادث وكتاب السواك ونظم المفصل للزمخشرى الى غير ذلك وتولى مشيخة القراء ومشيخة دار الحديث الاشرفية وكان متواضعا أخذ عنه القراآت كثير من المشايخ وتولى الافتاء ومات ودفن بباب الفراديس وتيل بباب كيسان رحمه الله تعالى (انظر تاريخ القرمانى)

كذبهم وبان لان فتح خيبر كان سنة سبع وسعد رضى الله عنه مات يوم قريظة قبل خيبر
بسنتين ومعاوية انما أسلم فى عام الفتح أى سنة ثمان من الهجرة وأمثال ذلك أكثر من ان
تحصر ولا يجهل نفعه الا ساقط الهمة جامد القريحة بليد الذهن ردىء الطبع قال العلامة
ابن الاثير رحمه الله ولقد رأيت بعضا ممن يدعى المعرفة والدراية ويظن فى نفسه التبحر فى
العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه ان غاية فائدتها
انما هى القصص والاخبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على
القشور دون اللب نظره ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم ان فوائدها
كثيرة ومنافعها الدنيوية والاخروية جمة غزيرة وهانحن نذكر شيأ مما ظهر لنا فيها ونكل
الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها ﴿ فاما فوائدها الدنيوية ﴾ فكثيرة (منها) ان الانسان
لا يخفى انه يحب البقاء ويرغب ان يكون فى زمرة الاحياء فيا ليت شعرى أى فرق بين
ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين
فاذا طالعها فكانه عاصرهم واذا علمها فكانه حاضرهم (ومنها) ان الملوك ومن اليهم الامر
والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب
يتناقلها الناس ويروونها خلفا عن سلف ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح
الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها
وأعرضوا عنها وطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر
الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وما لكهم عمرت وأموالها درت وكثرت استحسنوا ذلك
ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما فيه هذا سوى ما يحصل له من معرفة الآراء الصائبة
التى دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس الاندن وعظيم
الممالك ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا (ومنها) ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة
بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أمر الا قد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا
ويصبح لان يقتدى به أهلا (ومنها) ما يتجمل به الانسان فى المجالس والمحافل من ذكر شئ
من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه
والقلوب متأملة ما يورده ويصدره ومستحسنة ما يذكره (وأما الفوائد الاخروية)
فكثيرة أيضا (منها) ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا باهلها وتتابع
نكباتها الى أعيان قاطنيها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم
وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير زهد فيها وأعرض
عنها وأقبل على التزود للآخرة منها ورغب فى دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها

من هذه النقائص ولعل قائلا لا يقول ما نرى ناظرا فيها زهد فى الدنيا وأقبل على الآخرة ورغب فى درجاتها العالية فيا ليت شعرى كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز وهو سيدا المواعظ وأفصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام فان القلوب مولعة بحب العاجل (ومنها) التخلق بالصبر والتأسى وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه نبى مكرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم انه يصيبه ما أصابهم ويتوب به ما نابهم ولهذه الحكمة وردت القصص فى القرآن المجيد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد انتهى من الكامل

ثم انه قد وقع التكلم فى هذا الفن على ثلاثة انحاء (النحو الاول) ذكر مشاهير الناس وأزمنتهم وأمكنتهم وأعمارهم وأعمالهم وبهذا النحو يقال له تاريخ التراجم وفيه تاليف كثيرة مثل وفيات الاعيان لابن خلكان وكالكتب المسماة بالطبقات كطبقات المحدثين وطبقات النحاة وطبقات الاطباء وطبقات الفقهاء وطبقات الاولياء وفائدته على هذا النحو أن يعرف كل ما بين أسلاف طائفته من التفاوت فى صنائعهم وحرفهم ومالهم من وظائف عينوا لادائها فيعرف المحدث طبقات المحدثين ورجالهم الموثوق بروايتهم وكيفية طرق الحديث وتخريجه ليفرق بين الحق والباطل ويميز الصحيح من العاطل ويعرف الفقيه مثلا من كان من أسلافه صحيح النقل جيد الفهم سديد الفكر ليعتمد على أقواله ويحتج بمنصوصاته ويعرف الشاعر من كان من الشعراء أجود عبارة وأحسن أسلوبا وأقوى رعاية لترتيب السياق وأكمل هداية لاستخراج دقائق المعانى ليسلك مسالكه ويهتدى بهدايته ويطالب غايته ويعرف الطبيب من كان أمهر الاطباء فى تشخيص الامراض وبيان أسبابها والاحاطة بعلاماتها وأقرب طريقة فى معالجتها وتسكينها أو ازالتها وأوسعهم اطلاعا على ما لمفردات الكائنات من طباع وخواص بها تنفع لاشخاص تلك الادواء وأنفسهم فى تأليف مركبات من تلك المفردات وأدلهم أين يستعمل كل واحد من تلك الاشياء مفردة أو مركبة ليسير فيما بين الناس سيرتهم ويعمل باعمالهم

(النحو الثانى) نقل أخبار الازمنة السالفة على سبيل القصاصة وأحاديث التلهى لراحة الافكار من الكدر والتسلى بغرائب الحوادث ونوادر الوقائع دون مبالاة بحق أو باطل صدق أو كذب ممكن أو غير ممكن تحمله العادة أو يحكم العقل السليم باستحالته وفائدة الاطلاع عليه بهذا النحو أن يعرف الشخص أكاذيب الاخبار ويرى ان الانسان بدون التربية والتعلم واتساع دائرة الاطلاع على الاصول وقوانين الطباع الثابتة ومجارى السنن

الالهية فى الخلق بمستر سلات العادات نهزة لاى منتهز ويصدق كل مايسمع ويحكم بوقوعه لايفرق بين نوع وآخر من الخبر حتى انه بالمشاهدة أشد تعلقا بتصديق المحالات وأكثر ولوعا بمخالفة العادات وكل مافيه غرابة وهذا النحو من التاريخ كان سببا لغلط كثير من العلماء المشتغلين بالتصنيف فى هذا الفن كما أبان ذلك العلامة ابن خلدون فى مقدمته وحقه ان يسمى بتاريخ الاقاصيص

(النحو الثالث) ويسمى بالتاريخ السياسى والتصانيف فى هذا النوع قليلة جدا على ماينبغى له من الكمال وحده على هذا الوجه هو بيان حوادث الايام الحاضر منها والغائب التى أهمها سلسلة حوادث الاعمال الانسانية الاختيارية التى يطلب بعضها بعضا وما لكل من سبب وغاية من جهة تأثيرها فى العمران البشرى والاجتماع المدنى قوة أو ضعفا خيرا أو شرا والغرض منه تربية العقول وترشيحها للحكم على بعض الحوادث بالحسن وعلى بعضها بخلافه مضايع الحقيقة وتنبيها على بطلان كثير من الظواهر وحيث كان هذا هو حد التاريخ السياسى الذى هو المقصود لكل عاقل والمشود لكل فاضل كامل لكونه أعظم مرب للفكر وأجل مهذب للاخلاق وانه وان كان لكل أمة تاريخ تستمد منه نور عقولها وتعرف به فضلها من فضولها وتسترشد منه بما فات فى كل ماهو آت فانها لم تصل بذلك الى ذروة المجد وأعلى درجات الكمالات لما فى جميع التواريخ القديمة من القصور والاكاذيب والاختلاق

(هذا) وان أفضل التواريخ وضعا وأحسنها اتقانا وصنعا وأجلها وأعمها نفعا هو تاريخ الامة العربية لما اشتمل عليه من جميل العوائد وجزيل الفوائد وفاق به على جميع تواريخ الامم لاشتماله على سيرة سيد العرب والعجم وخلفائه الراشدين ومن بعدهم من الملوك والسلاطين وعلى كثير من الاصول الشرعية والامور الدينية المأخوذة عن خير سلف لاشرف خلف ولذلك كان موضوع هذا الكتاب الذى سيكون مرشد الطلاب ليهتدوا به الى طرق الفلاح ويصلوا ان شاء الله الى غاية الكمال والنجاح

ومن تامل جميع ماذكرناه ومن فوائد هذا العلم قد أوردناه علم انه من أفضل العلوم وأنفعها وأجلها قدرا وأرفعها حيث انه أعظم مرب للاذهان ومرق لحالة الانسان والعمران وبه يعرف من خلف سيرة من سلف

(وأما حكمه) فانه يكون سنة فى أغلب الحالات وربما كان فرض كفاية كسائر العلوم والفنون التى ليست من أصول الدين والحرف والصنائع التى تجلب للانسان جزيل المنافع وقد نص كثير من العلماء على عموم نفعه وضخامة فضله وفخامة قدر المشتغل برايته

ونفله ويتبين منه معرفة القدر الذى يتوقف عليه شئ من أصول الدين أوفروعه حسبما نص عليه كثير من العلماء وأكابر الفضلاء

(وأما نسبته) الى غيره من العلوم فهو من الفنون الادبية المنظومة فى قول بعضهم

خذ نظم آداب تضوع نشرها * يحكى شذا المنثور حين يضوع
لغة وصرف واشتقاق نحوها * علم المعانى والبيان بديع
وعروض قافية وانشا نظمها * بكتابة التاريخ ليس يضيع

وقد نظمها الشيخ العطار فى بيتين وهما

نحو وصرف عروض بعده لغة * ثم اشتقاق قريض الشعر انشاء
كذا المعانى بيان الخط قافية * تاريخ هذا لعلم العرب احصاء

وانما عد من الفنون الادبية لانه أقوى مساعد على قوة ملكة الانشاء نثرا ونظما للاستشهاد بشواهده والاستمداد من فوائده قال بعض الفضلاء وحقه ان يعد من علوم الدين فانه انما هو نقل أخبار الازمنة السالفة التى منها سير الانبياء صلوات الله وتسليماته عليهم الذين خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما لهم من الاعمال ومعلوم ان شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد شرعنا ببطلانه ولذا وجب علينا أن نعرف أن لله أنبياء ومرسلين مبشرين ومنذرين بعضهم تفصيلا وبعضهم اجمالا كما هو منصوص فى علم العقائد منظوم فى قول بعضهم

حتم على كل ذى التكليف معرفة * بانبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانية * من بعد عشر وبقى سبعة وهمو
ادريس هود شعيب صالح وكذا * ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

ولا أظن ان معرفة هؤلاء الانبياء المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين هى عبارة عن حفظ أسمائهم بل لعل الغرض المقصود منها ان يعرف الانسان سيرة هؤلاء المرسلين وما كان لهم من الافعال النافعة والدعوة الخاصة أو العامة ومتى أرسلوا ولمن أرسلوا ومن أطاعه قومه واتبعوه ومن خالفوه ولم يطيعوه وكيف حاق بالمعاند العذاب ليكون بذلك تذكرة لاولى الالباب وبذا وجب على من يريد الاستكمال الادبى والصبغة الدينية ان يطالب من التاريخ طلب غيره من الفنون الادبية والعلوم الدينية وكذلك قد نص الشيخ المقدسى رحمه الله فى خطبته فى كتاب الروضتين على ان التاريخ هو من أصول الدين وهو كذلك بيقين وبيانه انه من الاصول المقررة ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا لم يرد فى شرعنا ما يناقضه وعلى ذلك ينبغى لنا ان نعرف شرائع الامم الماضية ونقف على أحوال الملل الخالية حتى نعلم

ما امتازت به شريعتنا من التسهيل والتيسير وما اختصت به من المزايا العديدة وبذلك نفقه معنى قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وقوله جل شأنه وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا الى غير ذلك من الآيات الباهرة والدلائل الظاهرة الناطقة بأن الامة الاسلامية أفضل الامم وانه صلى الله عليه وسلم امام الانبياء والمرسلين وافضل الخلق أجمعين ولا يتيسر معرفة ذلك معرفة حقيقية خالية من التقليد الا بالاطلاع على سير الامم الماضين والانبياء والرسل السابقين ومقابلة احوال تلك الامم لامة خير العرب والعجم ومقارنة سير الانبياء والرسل الكرام بسيرته عليه الصلاة والسلام حتى يتبين الحق لذى عينين ولا يطلب اثر بعد عين هذا فضلا عن كونه يجب علينا أن نعرف تاريخ نزول آيات القرآن الشريف لنعرف الناسخ منها والمنسوخ ولا يخفى ما فى ذلك من الفوائد الدينية وانه يلزمنا ايضا ان نعرف الضرورى من علم الانساب الذى يتوقف عليه اصول شرعية حسبما اوضحه الشيخ المقدسى رحمه الله مما سبقت الاشارة اليه من ان الجهل بالانساب قد يبعد الانسان عن الصواب وبذا يعدل عن أداء الواجب ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب ويؤيد ذلك عبارة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه السالفة من انه اقام على تعلم أيام الناس عشرين سنة وقال ما اردت بذلك الا الاستعانة على الفقه وفيما ذكرناه اوضح دليل على ان التاريخ لازم فى كل حال لمن يريد الكمال

(واما استمداده) فهو اما من الكتب المقدسة كالتوراة والانجيل والزبور والفرقان واما من الحوادث المشاهدة بالعيان التى هى اقوى دليل واوضح برهان واما من الاخبار التى نقلها علماء المفسرين واكابر المحدثين ولذلك عده بعضهم فرعا منها واما من الكتب المدونة فى هذا الفن التى نقلها لنا المؤرخون خلفا عن سلف واما من الآثار القديمة الناطقة بعظم بانيها وفخامة مؤسسيها باشكال اصطلاحية او خطوط قديمة كتابية ولذلك ترى تواريخ الاعصر القديمة لا تخلو من الترهات والخرافات فانه وان اجتهد المتقدمون كثيرا فى استخراج اسرار تلك النقوش وما دلت عليه من الحوادث فانهم لم يذكروا كثيرا من الامور الا بتوهمات ظنية واسانيد غير قطعية وقد جهلوا كثيرا من الكليات فضلا عن الوصول الى تحقيق الجزئيات

واما تواريخ القرون الوسطى والمتأخرة فانه قد حصل فيها تحقيق الحقائق واستخراج غوامض الدقائق واستنارت البصائر والابصار وانتشر علم التاريخ فى سائر الاقطار وباختراع صناعة الورق فى متوسط الازمان قد انتشرت الكتابة فى كل مكان واعتنت الملوك والدول بضبط الاخبار وربط الآثار وكتب كل قوم تاريخهم وسيرهم وقيدوا

قصصهم وآثارهم

ثم انه باختراع المطبعة (١) العجيبة فى هذه الاعصر القريبة قد سهل نشر سائر العلوم كما هو للجميع معلوم وبذلك انتشر علم التاريخ كغيره وانتفع الناس بفائدته وخيره اذ كتب فيه من المؤلفات مالا يحصى وطبع فيه من المصنفات مالا يستقصى كما سبقت الاشارة اليه وادخلته كل امة فى مدارسها التعليمية عالية كانت او ابتدائية لما فيه من كثير الفوائد ومحاسن العوائد

(واما مسائله) فهى قوانينه الاجمالية المستنبطة من ادلته التفصيلية كقولنا كل دولة فى ابتداء امرها لا بد لها من العصبية وقولنا الطمع والترف يؤديان الى دمار الممالك وتعطيل المسالك وقولهم العدل اساس الملك والظلم مرتعه وخيم كما قيل

ولا تظلم اذا أوتيت ملكا * فان الظلم مرتعه وخيم

وقولهم سياسة الملك بالعدل والاحسان تدعو الى دوام العمران وقولهم ان افضل الرعاة من سعدت به رعيته واشقاهم فى الدارين من ساءت رعايته وقولهم اذا عم الامن والعدل فى البلدان دامت دولة السلطان الى غير ذلك

﴿ مقدمة ﴾

غير خاف ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وجعله غير قار الذات قابلا للزيادة والنقصان ووضعه على الافناء والتعويض باكثر مما فقد لاجل البقاء والنماء صاحب مزاج حاصل من اجتماع مواد بسيطة ذات احياز معينة لكل منها حيز يخصه لا تخرج من دون قاسر ومتى خلاها ذلك القاسر رجعت الى احيازها الاصلية تلك سنة الله فى خلقه وتلك المواد وذلك المزاج يلزم لبقائه ان يكون على درجات معينة من الحرارة والبرودة بحيث متى زادت عليه الحرارة أذابته وردت كل مادة الى حيزها الطبيعى ومتى زاد عليه البرد جمد ووقفت حركة الحياة وصارت منافذ جسمه لا تسمح بنفوذ ما يلزم خروجه الى الخارج لفساده ولزوم تعويضه بالصالح المصلح وهذه حال كل انسان وتلك الحال تضطره الى تحصيل ما به تعويض ما فنى وما به يتوقى زيادة الحر والبرد ومن لطفه تعالى بالانسان واحسانه اليه انه اودع فيه منبهات طبيعية تحثه على طلب المعوضات والوقايات ولولا تلك المنبهات لكان غافلا عما يضره حتى ينتهى به الافناء بزيادة الحرارة والبرودة ومن زيادة لطفه به

(١) الذى اخترع المطبعة هو حناجو تنبرج الالمانى سنة ١٤٥٠ ميلاديه وأصله من مدينة استراتسبرغ على نهر الرين

ايضا انه قرن استعمال تلك الامور الحافظة للحياة الموجبة لبقائه بلذة متفاوتة فهو بهذه الحالة مندفع كما ترى لتحصيل اغذية يعوض بها ما فنى وادوية يستمد بها ما نقص من صحته وملابس ومساكن تقيه من الحر والبرد ومحبة حياته وبقائها وكمال الانتفاع بها هى التى تضطره لتحصيل ما به الحفظ والبقاء ويتولد منها كراهة ما يعوق عن ذلك وتلك المحبة هى المسماة بحب الذات فتى استعملها فيما تدعو اليه وفقا لحكمتها فهى طبيعة حميدة ومتى جاوز فى استعمالها الحد كانت رذيلة ذميمة وبذلك ترى الانسان باذلا جهده فى تحصيل ما به دفع الحاجة الحاضرة وسد الخلة القائمة وادخار ما يعده لما هو متوقع طروه وحدوثه مع الاوقات الآتية لا الى نهاية يتصورها ولا الى حد يعمل على الكفاية فى الوصول اليه وهذا هو المسمى بالامل الذى قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم (ان الله قد وضع الامل فيكم رحمة لولاه ما غرس غارس غرسا ولا بنى بان بنيانا) وهذه حال كل انسان فغرض الجميع واحد هم عليه متزاحمون يدفع بعضهم عنه بعضا وسعهم وكفاهم ام لا فتلك المزاحمة التى بسببها يتصور الانسان بادئ بدء ان صاحبه من بنى نوعه فيه تعويق له عن تحصيل ما به ينتفع حالا واستقبالا فهو بهذا التصور يبغضه وهو معنى العداوة فلا موجب لها الا تلك المزاحمة على ذلك الغرض وان كانت الطرق مختلفة كما قيل

وللعداوة اسباب واظهرها * فينا تباين اغراض واشكال

فعند التأمل نراها كلها راجعة لذلك السبب الوحيد كما قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لولا ثلاث لم يسل سيف قط سلك ادق من سلك ووجه اصبح من وجه ولقمة اسوغ من لقمة فالانسان فى هذه الحالة طامع فى الاختصاص بكل شئ والاستئثار بكل نافع ولكن يرى انه ليس يمكنه ان يصل الى ما ينفعه الا بمساعدة بنى نوعه واجتماع ايديهم على التعاون فى الاعمال وتلك المساعدة الضرورية تولد فيه بالرضا حب بنى نوعه فهم بين مزاحمة تقتضى منافرة وعداوة ومساعدة تقتضى ائتلافا ومحبة ولكن لم يكن ذلك التصور سواء فى الجميع بل منهم من يغلب عليه حب الاختصاص وزيادة الاستئثار ولو وصلوا الى حالة غنى وترف لتنازعوا فى القسمة فمنهم من يقول بالتساوى بمعنى ان كل فرد يأخذ حصة بقدر حصة الآخر ومنهم من يقول ان اختلاف الاحتياج بحسب تفاوت خلقة الانسان يقتضى ان تكون القسمة على حسب كفاية كل جسم فمن يكفيه لاقامة جسمه المد لا يصح ان تكون حصته القدح الذى هو كفاية غيره لا يكفيه دونه فتارة يهتدى القسم الاول ويقف به هذا البرهان على لزوم هذه القسمة وتارة يبقى مصرا على استحسان اول رأى رآه ولاجل كثرة الاعمال التى لا بد منها فى حياة كل شخص سهل للانسان ان يتصور انه لا بد من الاجتماع

لتوزيع اصناف تلك الاعمال على طوائف تقوم كل طائفة بما اسند اليها من عمل وبذلك نفهم معنى قولهم ان الانسان مدنى بالطبع وبيان ذلك ان الاجتماع اى حالة التأنس والعمران المعبر عنها فى اصطلاح الحكماء بالمدينة أو الحالة المدنية المقابلة لحالة العزلة والتوحش أو الحالة البدوية المحضة هو امر ضرورى للنوع الانسانى وطبع لابد منه على اى حال كان وذلك ان الله سبحانه وتعالى ببديع حكمته وبليغ تدبيره وقدرته خلق نوع الانسان وركبه فى صورة بحيث علق مادة حياته وبقائه بالضرورة والاحتياج الى سواه فليس من صفاته القيام بالنفس وعدم الاحتياج الى سواه التى هى صفة من صفات الله جل شأنه فالانسان مضطر لامرين اصليين يتفرع عنهما جميع انواع الكد والاعمال البشرية ويرجع اليهما سائر فروع الجهد والاشغال الحضرية المنحصرة فى مادة الزراعة والصناعة والتجارة قال القاضى ابن خلدون رحمه الله مامعناه قال بعضهم والامارة وعلى ذلك فالتقسيم رباعى وبعضهم يدرجها فى الصناعة

(فاما الزراعة) فهى عبارة عن سائر الاعمال التى القصد منها استخراج محصول من الارض اما مباشرة كالحبوب والخضراوات وما اشبه ذلك واما بواسطة كالحرير والعسل والصوف ونحو ذلك (وأما الصناعة) فهى عبارة عن جميع الاعمال اليدية التى تحتاج للتفكر والنظر ويعبر عنها بالصنائع والفنون كالكتابة والبناء والنجارة والحدادة وما اشبه ذلك (واما التجارة) فهى عبارة عن كل ما كان من الاعمال التى القصد منها ترويج المحصولات الزراعية والصناعية ونقلها الى حيث يسهل على الراغب فيها تناولها (والامارة) عبارة عن تقلد وظيفة من الوظائف العامة كالملك والسلطنة والقضاء والوزارة وما أشبه ذلك

والاول من الامرين اللذين يضطر اليهما الانسان هو عوزه لمادة الغذاء البدنية حيث خلقه الله مضطرا لها فى معيشته وهداه لالتماسها بفطرته غير انه لا يتحصل على ذلك الا بواسطة الاستعانة بأبناء جنسه قال حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء ان الرغيف لا يوضع على المائدة الا بعد ان مر بمدة ثلاثمائة وستين صانعا

والثانى احتياجه لمادة الدفاع عن نفسه من الصائل والتوقى بها من الغوائل حيث خلقه الله ضعيفا بالنسبة لبعض الحيوانات التى خلقها الله سبحانه وتعالى أشد منه قوة وجعل لها اسلحة طبيعية لاجل حفظها وبقائها والذب بها عن نفسها من غوائل أعدائها ولم يجعل للانسان فى نظير ذلك غير ما منحه سبحانه وتعالى من قوة النطق والعقل ولم يجعل له سلاحا طبيعيا يبطش به كسائر أنواع الحيوان غير اليد واللسان وهما فيه عضوان ضعيفان ولا يتيسر له هذان الامران الضروريان

المذكوران الا بوجوده بين أقرانه ومساعدته من اخوانه ومن ثم احتاج الى الزوجة والولد والوالد وما أشبه ذلك من لوازم التناسل والتوالد وهذه الحالة هى ما تسمى بالعائلة أو القبيلة أو العشيرة المأخوذة من المعاشرة وهى عبارة عن ضرورة الارتباط بروابط القرابة والمصاهرة ومن ثم احتاج لوجوده بين اخوانه فى الوطن والدين والاستعانة بهم فيما يكون به قوام معاشه ومعاده من المواد الضرورية وسائر الحاجات الدنيوية والاخروية وهذا معنى قولهم انما المرء باخوانه والسلطان بأعوانه وذلك ما يعبر عنه بحالة الجمعية البشرية أو الحضارة وما أشبه ذلك من العبارات وربما اتحد الوطن واختلف الدين فيقال للجامعة جامعة وطنية

ولما كانت الحكمة فى وجود الانسان هى ان يكون عبدا طائعا لله سبحانه وتعالى عارفا به مؤديا له جميع حقوق العبادة التى خلق لأجلها مصداقا لقوله جل شأنه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكان الانسان لا يصل لمعرفة الله تعالى ولا يهتدى الى تلك العبادة المأمور بها المخلوق لأجلها الا بمرشد يرشده ومعلم يعلمه كان بالضرورة لا بد من ايجاد ذلك المرشد ولهذه الغاية الشريفة أرسل الله تعالى الرسل ليعلموا الناس ما يلزم لهم فى المعاش والمعاد من خيرى الدنيا والدين ووجب على الناس طاعتهم والاقتداء بشرائعهم واتباع كل ما أمروا به من قبل الله تعالى لتتم بذلك النعمة وتظهر الحكمة ولا يكون للانسان عذر فى ترك الطاعة أو عدوانه على الغير أو أخذه ما ليس له الا بحق شرعى بعد وصول الرسالة اليه قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال جل شأنه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبذا تعلم فوائد التمسك بالدين

ولما كان غير ممكن وقوف جميع الناس على الامور الدينية وما يلزم لهم فى عباداتهم ومعاملاتهم تفصيلا لاشتغال كل فريق بما اشتغل به من تجارة أو صناعة أو زراعة أو غير ذلك حسبما اقتضته الحكمة الالهية التى لا يتم انتظام العمران الا بها قد جعل الله العلماء بمنزلة نواب عن الرسل فى تبليغ تلك الشرائع وانتشارها بين الخاصة والعامة لتدين كل أمة بدينها حسبما أمرت به على لسان نبيها ويقف كل انسان عند حده ومن هنا تعلم فضيلة التبحر فى العلوم الدينية وانه لا بد من وجود طائفة من الناس ينصبون أنفسهم لتبليغ الاحكام والحث على التمسك بالدين والمحافظة عليه لتثبيت دعائمه وتقوية أركانه قال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون على المنكر الآية ويجب على الناس طاعتهم والاقتداء بهم

ولما كانت النفوس الخبيثة لا ترتدع بوازع الدين ولا تتأثر الا بقاسر يوقفها عند حدها

ويبعدها عن العدوان والاستئثار بحقوق الغير بدون حق قد جعل الله الملوك والحكام لينفذوا تلك الاحكام ويوقفوا كل انسان عند حده حتى لا تحصل الفوضى الموجبة للفساد وهلاك العباد ولذا قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين وبهذا نفهم ان الدين والملك ضروريان للعمران البشرى ولابد لتنفيذ تلك السلطة الادارية من قوة تنفيذية بطائفة عسكرية يختلف ترتيب نظامها وكثرتها وقلتها حسبما تقتضيه مصالح كل دولة وهى تنقسم تقسيما عموميا الى ثلاثة أقسام قسم ينبث فيما بين الناس ليمنع تعدى بعضهم على بعض فى اثناء معاملاتهم فى المبادلات والمعاوضات كما هو شأن كل جمعية حسبما سبقت الاشارة اليه وهذا القسم من العسكر يجب ان يكون أدبه بتعويد لطف بالناس ورحمة تشوبها قسوة كما قيل

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما * فليقس احيانا على من يرحم

فبما فى ذلك القسم من القسوة يخافه الشطار ذوو العرافة والدعارة من الفتيان واللصوص الذين ينبثون بين العامة لاتهام ما يمكنهم اتهامه غير مبالين بحق أو باطل وبما فيه من اللطف والرحمة يسوس أهل الادب وأكابر الناس بالحياء والخشوع مراعيا منازلهم فيتم بذلك اندفاع بعض الناس عن بعض وارتداع كل فريق وانزجاره عن التعدى المفسد بما يناسب حالته وقسم من الحامية يحفظ جماعة الناس أهل العمل الذين يستخرجون المعادن أو يجلبون الاخشاب العمارية أو يقطعون الاحجار أو غير ذلك من الاعمال التى تقتضيها طبيعة كل بقعة من البقاع ويكون لهم بمنزلة السور مما عساه ان يكون من هجوم السباع الضارية واغتيال الوحوش الكاسرة وهذا القسم يجب تعويده على الخشونة والفتوة والقسوة ويلزم تمرينه وتدريبه على مباشرة الحر والبرد وعنيف الحركات وسلوك الاماكن الوعرة وتسنم الجبال الشاهقة اذ كان كما ترى عرضة لملاقاة تلك الحيوانات ومدافعتها وحماية جماعة من الناس من صولتها وشدة بأسها فى افتراسها وهى آتية من الصحارى والبرارى الواسعة والاماكن الصعبة فلابد لها ممن يكافئها ويقوى على مكافحتها ولحب الانسان فى زيادة الاستئثار بالسلطة والقوة وانه لا يقف به الطمع عند حد فربما عدا بعض الملوك على بعض وامتدت اطماعه لضم البلاد المجاورة له من مملكة الغير الى مملكته حبا فى زيادة سلطانه واتساع دائرة ملكه حتى اذا قوى عليها وتيسر له فتحها امتدت اطماعه الى سواها وهكذا فلا تهدأ نار الحرب ولا تنقطع المشاكل ولا القلاقل فتخرب البلاد وتهلك العباد فلابد اذا من فريق من الحامية يحفظ أطراف المملكة وثغورها من هجمات الاعداء الذين يريدون الاغارة عليها حتى تتحقق كل مملكة

ان مجاورتها كفيلها قادرة على دفع هجماتها وذودها عن بلادها اذا امتدت اطماعها اليها
وبذا تطفأ نار الحرب ويعم الامن وتشمل الراحة وهذا القسم من الحامية يلزم ان يكون
من القوة والدربة بمكان عظيم حتى يقوى على اداء تلك الوظيفة وان يكون رؤساؤه ذوى
معرفة تامة بضروب الحروب وجاش ثابت عند مقابلة الأعداء والتحام الصفوف
وصداقة حقيقية تبعثهم على جعل روحهم وما لهم فداء وطنهم وان يكونوا من خيار الامة
وأحسنها تربية وأكثرها شرفا وأعلاها بيتا وبذا يتم نظام العمران ويشمل الامن حتى
يتمكن من مقصده من أراد ان يتردد على سطح الارض من المشرق الى المغرب
ومن الجنوب الى الشمال فان ذلك الامر هو مقصود جميع رؤساء الامم المتتابعة والاجيال
المتتالية سواء كان أولئك الرؤساء ممن لاحظ ذلك المقصد بمجرد العقل ومحض الفكر وهم
كما سبقت الاشارة اليه رؤساء الاديان أو الملوك والامراء أو كانوا ناظرين له بالوحى من الله
ليتمكنوا من الناس وهم الانبياء والمرسلون صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين فان حكمة
الرسالة كما أسلفناه انما هى سن شريعة وتقرير نظام به تحسن حالة جمعية من الناس ولم
تزل الجمعيات تكثر والشرائع تتتابع بتوالى الرسل على تعاقب الازمنة حتى كان
من يجزم بوجوب صدق ما أخبر به عن نفسه وهو انه خاتم الانبياء فانه صلى الله عليه وسلم
جاء بالشريعة العامة والكتاب الشامل الذى يسع كافة سكان الارض وتعم أحكامه جميع
الاعمال حتى تكون غايته الهدء العام كما يرشد اليه ما جاء فى الخبر عنه ان رجلا من
الصحابة أتاه يوما وهو فى ظل الكعبة وسأله ان يدعو الله على قومه المعاندين له المصرين
على جهلهم فنهاه عن العجلة وأخبره بصبر أصحاب الانبياء السابقين على ما كان ينالهم
من أنواع المشاق والمتاعب ثم قال والله ليتمن هذا الامر حتى يمشى الرجل من صنعاء الى
حضرموت لا يخاف أحدا الا الله أو الذئب على غنمه وما جاء فى حديث عدى بن حاتم الذى
أخبره فيه عن حصول أمور منها انه يرى المرأة تمشى من العراق الى الحجاز لا تخاف أحدا
الا الله واذا نظرت الى الفضائل التى امتاز بها بيت هاشم وهو بيت نبينا صلى الله عليه
وسلم على بيت أخيه أمية مع ان العرب كانت تذكر لبيت أمية مآثر ومزايا أكثر مما تذكر
لغيره وجدت أعظم تلك الفضائل هو سعى هاشم لاخذ العهود والمواثيق من القبائل الى
جهة الجنوب والشمال على ان تمشى قريش بتجارتها فى رحلة الصيف الى بلاد الشام وفى
رحلة الشتاء الى بلاد اليمن وبقى ذلك أمرا مذكورا يتلى فيه قرآن لايلاف قريش الى آخره
فبذلك تعرف الحكمة فى عموم دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى كما تبين من ذلك
تعميم الامن وتحصيل السلامة الشاملة وللوصول الى ذلك كان التوسل فى ازالة ما كان

من أسباب الفساد الموجبة لاستحكام الخوف واستقرار الانزعاج فى قلوب الكافة بكل ما امكن من قوة وهذا الامر وان كان ظاهره القسوة فانه يستعقب تمام الصلاح ويحكم العقل بأوّل فكرانه اصلاح ألا ترى ان الانسان اذا تناول بعض أطرافه والعياذ بالله تعالى داء الاكلة الذى لو ترك سرى حتى يفسد جميع الجسم لم يجد بدا ولم يأخذه متردد فى ان يقطع ذلك الطرف الفاسد ويفصله عن السالم ليعيش متمتعا بما بقى له من الاعضاء السالمة وربما يكون سببا لوجود نسل يزيد به نوعه وكذلك الامر فى الجراحات التى يخشى انتشارها وكثرتها فى داخل الجسم أو فى ظاهره يبادر الانسان فيكويها بالنار ولو يميت جانبا من جسمه ليحفظ حياة الباقى فلم تكن غاية حروب الانبياء صلوات الله عليهم وتسليماته كغاية الحروب الاخرى التى نتيجتها وغايه مقصودها السلب والنهب واستئثار الغالب بمنافع المغلوب بل كان حربهم جهادا فى سبيل الله غايته ومقصوده حصول الامن العام والسلامة الشاملة للجميع والاعراض عن العادات السيئة المفرقة التى لا فائدة لها سوى استحكام المنافرة والمباغضة فيما بين الناس المؤدية لدوام انتشاب الحروب واستمرار المقاتلة واستحكام الفوضى فيتلخص من ذلك ان المقصود هو تقرير حقين ثابتين للامم تقتضيهما طبيعة العمران البشرى والمحافظة عليهما وضبط كل عند حده بالحق وهذان الحقان أحدهما حق اشتراك عام يجعل الناس أمة واحدة والارض وطنا مشتركا بينهم واليه الاشارة بالخطاب العام فى قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الى ان قال هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا فهذا اخبار بأن الارض مقر الكل ولاجلهم خلقت منافعها وقد أبانت السنة ان من أحيى مواتا فهو له ومن سبق الى مكان فهو أحق به فهذه حالة الاختصاص التى جعلت الناس أمما وبقاع الارض أوطانا والاختصاص حده ان تقر الامة فى بقعتها التى تستعمل أبدانها وعقولها فى استخراج بركاتها وليس لأحد ان يزعجها عنه ثم انها ليس لها ان تمنع من يتردد بينها من غيرهم ليأخذ ما فضل عن أقصى انتفاعهم ويعوضهم ما ليس عندهم من خيرات بقاع أخرى فانهم اذا فعلوا ذلك أجحفوا بالحق الثانى الذى هو حق الشركة العامة فان مقتضى توزيع المواد النافعة التى لا بد منها فى تتميم أعمال الانسان ان يحتاج بعض الناس الى بعض ترى الى الذهب الذى هو واسطة التأمين فى المقايضات والمبادلات الضرورية ولاختصه الفضة تجد كلا منهما فى بقعة من الارض لا يوجد فى غيرها من البقاع بين أمة هى صاحبة تلك البقعة وكذلك معدن الحديد الذى لا يستغنى عنه عمل من الاعمال الانسانية التى يحاول بها حفظ حياته وكمال انتفاعه بها وبقية المعادن التى لا نجهل احتياجنا اليها وكذلك ترى الى منابت الاشجار العظام التى تخرج منها أنواع الخشب

المتفاوتة فى العظم والصلابة وبها تقوم الابنية المشيدة والعمارات الجسيمة الضرورية لكل جمعية انسانية بلغت غاية عظيمة من قوة التمدن وسعة العمران فتوزيع المواد النافعة فى بقاع الارض ذلك التوزيع الذى أشار اليه بعض الحكماء حيث يقول ان الله خواص فى الامكنة والازمنة والاشخاص علمنا بدون شبهة ان جميع سكان الارض يحتاج بعضهم لبعض بحيث يصح ان نقول كل أحد عامل لكل أحد أولهم نفسهم كما قيل

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وحيث تحققنا انه لابد فى حصول تمام العمران البشرى وحسن الاجتماع المدنى من رعاية الحقين حق الاختصاص وحق الاشتراك ومعرفة حد كل منهما نفهم فهما جليا ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فتح الطريق ومهده وساد به الامن حتى سار الراكب من نجد الى حضرموت لايخشى الا الله أو الذئب على غنمه كما سبقت الاشارة اليه ولذلك كان صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين وامام المتقين وشرفت به أمة العرب على سائر الامم وانتشرت به كلمة الاسلام يسرى به التمدن فى جميع أنحاء المعمورة فما وصلت الامم التى لها الصيت الآن الى ماوصلت اليه من الترف والنعمة ورفعة المنزلة وانتظام العمران الا باستمدادها من المعارف العربية والعوائد الاسلامية ففى الحقيقة الاسلام هو السبب الوحيد فى ازالة البربرة والتوحش وأصل العمران والتمدن ومن تصفح صفحات التاريخ عرف صدق ما أثبتناه وتحقق أضعاف ما أوردناه فان هذا أمر قد عرفه كل شرقى مطلع وأقر به كل غربى منصف حتى جعلوا فى ذلك تآليف كثيرة فوائدها جمة غزيرة وكلها تشهد بتأثير تمدن الاسلام فى سائر الانام وتنطق بأن الامة العربية أحق الامم بالاعتناء بشأنها وتدوين تاريخها اذهى أصل التمدن والعلوم كما هو بين جميع الامم معلوم ولذا قد أفردت بتاريخها هذا المختصر المفيد ليعرف بعض فضلها الطالب المستفيد وأفرغت الجهد فى حسن ترتيبه وسهولة عبارته ودقة تهذيبه راجيا ان يكون حسن الصنيع مستوجبا من الله رضا الجميع (هذا) وقد جرت عادة أكثر المؤرخين اذا أرادوا التكلم على أمة من الامم ان يبدؤا بالكلام على موقعها الطبيعى من الارض وتقسيمها وحدودها خصوصا المتأخرين منهم حتى بذلك يسهل للناظر فى تلك التواريخ ان يعرف موضع كل حادثة من الحوادث التى حصلت فى تلك البلاد فراعاة لهذا المقصد الجليل والغرض الجميل قد بدأت بتحديد بلاد العرب وبيان أقسامها وبعض خواصها الطبيعية لتتم بذلك الفائدة وتعظم للطالب العائدة فقلت

﴿حدود بلاد العرب وتقسيمها وبعض خواصها الطبيعية﴾

تحد بلاد العرب شمالا بفلسطين وبعض سوريا وما بين النهرين الى خليج العجم (أى

مملكة كلدة القديمة) وتحدشرقا بخليج العجم وبحر الهند وجنوبا بحر الهند وغربا بالبحر الاحمر وخليج السويس وبعض سوريا أيضا

وتبلغ مساحتها مائة وستة وعشرين ألف فرسخ مربع وتسميها العرب جزيرة العرب لاحاطة البحار والانهار بها من جميع أقطارها وأطرافها فصارت منها كالجزيرة فى وسط البحر (١) وهى فى الحقيقة شبه جزيرة المصطلح عليها عند الجغرافيين (بحيث جزيرة) لاتصالها بالارض القارة من جهة الشمال وأغلب أراضيها قحلة لاتنبت شيأ غير قليل من الكلا والاعشاب الطبيعية ولكن بها جبال وأودية مخصبة جدا ذات مياه وأشجار ولا سيما فى نواحى حضرموت وشحر من بلاد اليمن

﴿وأقسامها الطبيعية حسب تقسيم الرومان لها ثلاثة﴾

وهى بلاد العرب الصخرية وبلاد العرب السعيدة وبلاد العرب الصحراوية

فبلاد العرب الصخرية هى عبارة عن شبه جزيرة طور سينا وبعض سواحل البحر الأحمر

وبلاد العرب السعيدة هى مما يلى القسم الاول من سواحل البحر الأحمر وبحر الهند الى خليج العجم

وبلاد العرب الصحراوية هى ما بقى من المفاوز والصحارى

﴿وقسمها العرب الى خمسة أقسام﴾

وذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة

(١) وذلك ان الفرات أقبل من بلاد الروم فظهر بناحية قنسرين ثم انحط على اطراف الجزيرة وسواد العراق حتى صب فى البحر فى ناحية البصرة والأبلة وامتد الى عبادان وأخذ البحر فى ذلك الموضع مغرباطا ئفا ببلاد العرب منعطفا عليها فأتى منها على سفوان وكاظمة الى القطيف وهجر واسياف البحرين وقطن وعمان والشحر ومال منه عنق الى حضرموت وناحية أبين وعدن وانعطف مغربا نصبا الى دهلق واستطال ذلك العنق فطعن فى تهائم اليمن الى بلاد فرسان وحكم والأشعريين وعك ومضى الى جدة ساحل مكة والجار ساحل المدينة ثم ساحل الطور وخليج أيلة وساحل رايه حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها وأقبل النيل فى غربى هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر معه حتى صب فى بحر مصر والشام ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فربعسقلان وسواحلها وأتى صور ساحل الأردن وعلى بيروت وغيرها من سواحل دمشق حتى نفذ الى سواحل حمص وسواحل قنسرين حتى خالط الناحية التى أقبل منها الفرات منحطا على أطراف قنسرين والجزيرة الى سواد العراق (من تاريخ عزمى)

أقسام وهى اليمن وتهامة والحجاز ونجد واليمامة وتسمى بالعروض أيضا لاعتراضها بين اليمن ونجد كما هو ظاهر فى أشعار العرب وأخبارهم أما أرض البحرين فهى معدودة عند أكثرهم من العراق وهى فى الحقيقة من بلاد العرب الا انها متصلة بالعراق

﴿والآن تنقسم الى ثمانية أقسام﴾ (١)

الاول الحجاز الواقع فى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة طور سيناء وفى طول ساحل البحر الأحمر وسمى حجازا لأنه حاجز بين تهامة ونجد (٢) وتهامة محصورة بين الحجاز واليمن وهذا القسم يشتمل على أعظم مدائن العرب وهى مكة المشرفة والمدينة المنورة

(أما مكة المشرفة) فهى قديمة البناء جدا وهى واد بين جبال غير ذات زرع ويقال لبطن مكة بكة بالباء الموحدة المفتوحة قال فى الصحاح وسمى بطن مكة ببكة لازدحام الناس فيه لأنه من بكه اى زحمه وقيل ان بكة لغة فى مكة وفيها الحرم المكى وفى وسطه الكعبة وهى بيت محجوج من قديم الزمان معظم فى الجاهلية والاسلام وفى الحرم بئر زمزم تجاه باب الكعبة وعليها قبة مبنية وهى البئر التى نبع ماؤها اكراما لاسماعيل عليه السلام وفى مكة ولد النبى صلى الله عليه وسلم فازدادت بذلك شرفا

(وأما المدينة المنورة) فهى دار هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ومحل نصرته وفيها حصلت وفاته وبها قبره الشريف وكانت تسمى قديما يثرب وعلب عليها المدينة وهى واقعة فى سهل

---

(١) انظر تاريخ العرب ترجمة سيديو فى تقسيم بلاد العرب (٢) وذلك ان جبل السراة وهو أعظم جبال بلاد العرب أقبل من اليمن حتى بلغ اطراف بوادى الشام فسمته العرب حجازا لأنه حجز بين الغور أى تهامة وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل فى غربيه الى سواحل البحر من بلاد الاشعريين وعك وكنانة وغيرها ودونها الى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها غور تهامة وتهامة تجمع ذلك كله وصار مادون ذلك الجبل فى شرقيه من صحارى نجد الى اطراف العراق والسماوة وما يليها نجدا ونجد تجمع ذلك كله وصار الجبل نفسه هو الحجاز وما احتجز به فى شرقيه من الجبال وانحاز الى ناحية فيد والجبلين الى المدينة ومن بلاد مذحج تثليثا وما دونها الى ناحية فيد حجازا والعرب تسميه نجدا وجلسا وهما ما ارتفع من الارض والحجاز يجمع ذلك كله وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما العروض وفيها نجد وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها وسايل اودية فيها والعروض يجمع ذلك كله وصار ما خلف تثليث وما قاربها الى صنعاء وما والاها من البلاد الى حضرموت والشحر وعمان وما يلى ذلك اليمن وفيها تهائم ونجود واليمن يجمع ذلك كله (من تاريخ عزمى)

مرتفع ولكنها فى أخفض محل منه وبها الحرم المدنى وفى شمالها جبل أحد وفى جنوبها جبل عسير وأرضها سبخة وبها نخل كثير وعليها سور من لبن وفيها بئر أريس التى سقط فيها خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وجدوا فى طلبه فلم يجدوه

(الثانى اليمن) وسمى بذلك ليمنه وبركته وكثرة خيراته ولأنه على يمين الكعبة اذا استقبلت المشرق كما ان الشام عن شمالها وهو الجزء الجنوبى من بلاد العرب وفى شماله بلاد عسير وتهامة وسكانه يسمون لدى القدماء بنى حمير وفيه عدة مدن شهيرة بتجارة البن كمخا (١) والجديدة وعدن (٢) ومن أشهر مدنه صنعاء (٣) المماثلة لمكة وكانت تنافسها فى تلقيبها بتخت جزيرة العرب حيث اتخذها التبابعة ومن خلفهم عليها من عمال الحبشة والفرس دار اقامة وهى الآن مسكن أعظم أمراء اليمن

(الثالث حضرموت) وهو متصل باليمن من الشمال ومشابه له فى مزاجه ومزاياه الطبيعية ومن أشهر مدنه ظفار (٤) وشيبان وشبام (٥) ومن نباتاته العود الثقاقلى ذو الرائحة الذكية

---

(١) مخا بفتح الميم بلدة بساحل بحر اليمن (٢) وعدن ويقال لها عدن أبين وهى مرسى لمراكب اليمن والهند وهى بلدة تجارية وأبين بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة التحتية ثم نون اسم رجل اضيفت اليه عدن وعدن لاغير بلدة صغيرة بصحراء بلاد اليمن أيضا كما فى شرح القاموس (٣) بفتح الصاد المهملة وسكون النون وعين مفتوحة بعدها ألف ممدودة وهى فى شرقى عدن وهى بلدة جيدة الهواء يتقارب فيها الصيف والشتاء ذات مياه واشجار واسواق ومتاجر عظيمة وكانت كرسى ملوك اليمن فى قديم الزمان وكان بها قصر غمدان وقد تخرب ومحله الآن تل مرتفع

(٤) بفتح الظاء المعجمة والفاء وألف وراء مهملة وهى على ساحل خليج من البحر نحو مائة ميل وتقلع المراكب منها الى بلاد الهند وبها نباتات مماثلة للنباتات الهندية وبين ظفار وصنعاء أربعة وعشرون فرسخا

(٥) قال فى اللباب بكسر الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف وميم قصبة حضرموت بينها وبين صنعاء واحد وسبعون فرسخا وقيل احدى عشرة مرحلة وقد غلط ابن الاثير فى تغليط السمعانى حيث قال شبام قبيلة ليست بمكان وشبام جبل منيع فيه قرى ومزارع كثيرة وهو مشهور من جبال اليمن وفيه قلعة وفيه سكان كثيرة وهو منيع من كل ناحية وفيه معدن العقيق والجزع

(الرابع

(الرابع اقليم مهرة) (١) وهو فى شرقى حضرموت ولكنه أقل منه خصبا ولذا يحتاج أهله دائما للاستمداد بحاصلات البلاد الأخرى والبحر عندهم كثير السمك ولذا يجعلون منه غالب اقواتهم

(الخامس اقليم عمان) (٢) وهو تجاه الهندستان وهو قليل الخصب لا يوجد به غير شئ من التمر والبقول ويوجد فى بعض جباله قليل من معدن النحاس

(السادس اقليم الحسا) (٣) وهو ما يشمل جميع سواحل الخليج الفارسى من ابتداء عمان الى بصرى وأهله يستخرجون اللؤلؤ من الخليج الفارسى ويشاركهم فى ذلك غيرهم من ذوى الحاجات الذين يحضرون اليه لاخراج اللؤلؤ فى ابانه

(السابع نجد) (٤) وأرضه مرتفعة وهو يتصل بصحارى الشام شمالا والحجاز غربا والعراق شرقا واليمامة جنوبا وبه كثير من الابل والخيل الجياد المشهورة بالكحائل

---

(١) بفتح الميم ثم هاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة وفى آخرها هاء وبلاد مهرة ليس بها نخيل ولا زرع وانما أموالها الابل والسنتهم مستعجمة لا يكاد يوقف عليها وينسب اليها النجب المهرية وبينها وبين هجر ثلاثون يوما (٢) بضم العين المهملة وفتح الميم وفى آخرها نون بعد الألف وهى كثيرة النخل والفواكه وبلاد عمان حارة جدا وعمان مدينة جليلة بها مرسى السفن من الهند والسند والصين وغيرها وليس على بحر فارس مدينة أجل منها واعمالها نحو ثلثمائة فرسخ (٣) بالفتح رمل يغوص فيه الماء حتى اذا وصل الى صلابة الارض أمسكته فتحفر عليه العرب فتستخرجه والأحساء جمع للحسا وهو علم لعدة مواضع من بلاد العرب (والأحساء) بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح السين المهملتين وفى آخرها ألف قصبة بلاد البحرين وهى بلدة ذات نخيل كثير ومياه جارية ومنابعها شديدة الحرارة وهى فى البرية عند الاقطيف فى الغرب بميلة الى الجنوب على نحو مرحلتين ونخيلها بقدر غيضة دمشق ويحمل التمر منها الى اليمامة لاستبداله بالحنطة

(٤) وهى أطيب ارض من بلاد العرب وقد لهجت بها الشعراء كثيرا قال قيس بن الملوح

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

﴿وقال غيره﴾

سقى الله نجدا والسلام على نجد * ويا حبذا نجد على القرب والبعد

وفيها أرض العالية التى حماها كليب وائل بن ربيعة وافضى ذلك الى قتله وانتشاب حرب البسوس المشهورة وسيأتى الكلام عليها وبها جبل عكاد الذى لم تثبت العربية الفصيحة الا فى أهله مع تمادى الأزمان وتقلبات الحدثان

العربية وهى مرغوبة فى سائر البلاد أكثر من غيرها من جميع الخيول وبه كثير من الواحات الخصبة والمراعى الطبيعية ومن مدائنه مدينة رياض قصبة الوهابية

(الشامن اقليم الاحقاف) وهو عبارة عن بادية منخفضة مقفرة ويلحق به فى بعض الكتب أرض اليمامة وتسمى بالعروض أيضا لاعتراضها بين اليمن ونجد

(١) ﴿أمة العرب وتقسيمها الى بدو وحضر﴾

أمة العرب هى أمة متميزة من قديم الزمان بمساكنها وانسابها وصفاتها وعوائدها ولغتها ومعتقداتها وهى من أقدم الأمم من بعد قوم نوح وأعظمهم قوة وآثارا فى الارض قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة وقال الشافعى رضى الله عنه أمة العرب أولى الأمم لأنهم هم المخاطبون أولا بالشريعة الغراء ولأن الشريعة عربية والنبى عربى وأمة العرب عريقة فى المجد من قديم الزمان ففى الأعصر الأولية التى تكونت فيها الدول القديمة كاليونان والفرس والرومان والقبط وغيرهم من الأمم التى كانت فى مبدأ أمرها فى غاية من التوحش والجهالة كانت العرب على جانب من التقدم كما تشهد بذلك آثارهم وتنطق به أخبارهم وان كانت متفرقة ليس لها دولة تربطها ولا جامعة تجمعها الاستقلال كل قبيلة بنفسها وقدرتها على المدافعة عن افرادها والقيام بشؤنهم حتى كانهم لرفعتهم وشرف نفوسهم وعدم احتمالهم الضيم حاولوا ان يكونوا كلهم ملوكا ولذا لم يدخلوا فى الاحقاب القديمة تحت دولة من الدول واذا زاحمهم غيرهم من الأمم القوية لا يكاد يتمكن من ادخالهم تحت الطاعة أو ان يغير شيأ من عوائدهم وأخلاقهم ولو دخلوا فى طاعته حسبما اقتضته بعض ظروف الازمان فهم من الرفعة والعزة بأعلى مكان ولهذا بقيت عوائدهم محفوظة على ممر الدهور والايام من نحو أربعة آلاف سنة وهم يغيرون على من جاورهم من البلاد وقد حكموا مصر فى قديم الزمان نحو خمسمائة سنة ويعرفون فى تاريخها بملوك الرعاة أو العمالقة واستولوا أيضا على الشام والعراق والموصل وغيرها من الممالك وكان ذلك قبل الهجرة باثنين وعشرين سنة ومائتين وألف فاتسعت بذلك دولتهم وامتدت خارج حدود جزيرتهم سلطنتهم فأسسوا ممالك صغيرة فى العراق والشام وسكن بعضهم بوادى مصر وملكوا جميع صحارى افريقيا وانفصلوا عن أعلى شمال آسيا برمال كالبحار أمنوا بها من دهمات الملوك الفاتحين وانفردوا بحريتهم وافتخروا على كثير من الممالك بشهامتهم وفصاحتهم وحافظوا على اخلاق أجدادهم ومعتقداتهم الدينية ولكنهم بما أوتوه من الجسارة

(١) انظر مقدمة سيديو وفنديك وتوفيق الجليل

الغريزية والشهامة العربية والحمية الجاهلية كانوا سريعي الغضب كثيري الجراءة سفاكين للدماء وكانوا معتقدين كثيرا من الاوهام الكاذبة والاعتقادات الفاسدة محافظين على حب الاستقلال لما أوتوه من عزة النفس وكرم السجايا وكان تحت حكم كل رئيس يسمونه بالشيخ أو السيد قبيلة أو عدة قبائل يضمحل بعضها بالحروب فتنضم الى قبيلة أخرى قادرة على حمايتها فيكونان قبيلة واحدة تحت رئاسة كبير القبيلة ذات الشوكة وبذا يعلم سبب تلاشي كثير من القبائل التي لم يبق لها ذكر الى الآن وكان سائر مشايخ القبائل تحت حكم رئيس قائد للجيش يلقب بالأمير أو الملك موكل بجميع مصالح تلك القبائل لا يقدر على تمييز أحد عن الآخر ولا على تقديم مصلحته على مصالحهم يأخذ من القوي للضعيف ومن الضعيف للقوي وينفذ الاحكام حسبما اقتضته شريعة تلك الايام وهم ينقسمون الى بدو وحضر

(فأما البدو) فهم أهل الوبر الذين مذأبهم الحل والترحال في جميع البوادي الصالحة لسكناهم ورعي مواشيهم يسكنون في بيوت من الشعر وليس لهم بيوت ثابتة بل ينقلونها حيث ارادوا لتعودهم على سرعة الانتقال الى أي جهة تطيب بها اقامتهم حولهم على ظهور ابلهم وغالب تعويلهم في معيشتهم على ماشيتهم التي يغذونها بما تنبته الارض من الكلا والاعشاب الطبيعية فيتغذون بلحومها والبانها ويكتسون من أصوافها واشعارها واوبارها ويتصرفون فيما زاد منها لسد حوائجهم واثاث منازلهم قال تعالى ومن أصوافها واوبارها واشعارها أثاثا ومتاعا الى حين (واغلب معاملاتهم) فيما بينهم بالمبادلات لا بالنقود لقلتها عندهم وأكثر ما يسكنون السهول مراقبين في سكناهم سير الفصول فاذا اشتد بهم الحر طلبوا الانهر ومجاري المياه والارض النضرة والمراعي الخضرة واذا نزل الغيث وارتوت الارض وانبتت نباتها توغلوا في القفار مستصحبين ماشيتهم وبيوتهم وهم على كل حال لا بد لهم من مخالطة الحضر لبيع مالديهم وشراء مايحتاجون اليه من مأكول وملبوس وأثاث وهم من احرص الناس على حفظ ماورثوه من عوائد وطبائع تنتقل من الآباء الى الابناء كما قدمناه ولذلك تراهم باقين على الطبيعة الجاهلية والفطرة الاولية حسنة كانت أو سيئة وهم متصفون بكثرة الكرم وحب الضيافة وحفظ الذمام ورعاية الغريب والشهامة والحماسة والذكاء وخفة الروح والقناعة حتى انهم لعزة نفوسهم يحقرون أهل الحضر مع انهم أرقى منهم شأنا وأنعم بالا

(ويشاركهم في هذه الصفات الحميدة نساؤهم) وهن بالطبع أرق طبعا وألين جانبا وأصبح

وجها ولسن مع ذلك دون الرجال نخوة وشهامة ومع حسن الاخلاق وتمام الادب تراهن تزينهن عزة النفس وأنفة الحمية وحسن المهابة مع قيامهن مقام الرجال فى أكثر الاعمال (وقد تحمل بعضهم الشجاعة أو تدفعه المجاعة) على السلب والنهب واغتيال حقوق الغير وقتل النفس وغير ذلك من الافعال الذميمة بدون مبالاة وسلاحهم السيف والرمح وما شاكل ذلك وقد كثر الآن استعمال البنادق عندهم وهم يرجعون فى أحكامهم لمشايخ قبائلهم كما تقدم واذا اختلفوا فى أمر وأشكل عليهم رفعوه الى العرفاء الذين هم عندهم بمنزلة القضاة يحكمون بينهم بما عرفوه من الاختبار والتجربة وعادة العرب فى كل زمان ومكان ومنهم من مال الى التحضر فكره كثرة الانتقال فينزلون على مجارى الانهر الكبيرة ويقيمون قريبا منها فى بيوتهم الشعرية ومنازلهم المصنوعة من القصب وجريد النخل والبردى ويزرعون ما جاورهم من الارض حتى اذا تعودوا على الزراعة ورغبوا فيها صاروا من الحضر ومالوا لسكنى المدن وتركوا سكنى الخيام

(وأما أهل الحضر) وهم أهل الامصار والمدن فهم كما وصفهم ابن خلدون منذ سنين قد تلوثت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير والبر بقدر ما حصل لهم من أنواع الثروة ونعيم الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على حب المال والملاذ الشهوانية حتى لقد ذهبت عنهم الحشمة فى أحوالهم فتجد الكثيرين منهم يتكلمون بكلام الفحشاء فى مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصدهم عنه وازع الحشمة لما جرأتهم عليه عوائد السوء من التظاهر بالفحشاء قولا وعملا (وهم) أهل غدر ومكر وخديعة ونقض عهد اه وهذه الاوصاف وان وجدت فى البعض فانها لا تنطبق على الجميع من أهل المدن والامصار فان المسلم الورع منهم على غير ما ذكر فهو ذو صفات حميدة منها انه كثير الصدقات مؤد للصلاة والزكاة مواظب على العمل المبرور عفيف النفس طاهر الذيل مقيم شعائر الدين محافظ على النخوة العربية من حبه لاقراء الضيف ومراعاة النزيل ومصافاة الخليل ومجافاة البخيل وايواء الغريب ومواصلة البعيد والقريب الى غير ذلك من الصفات الحميدة والمحاسن العديدة وكانت دولة العرب شامخة الصيت باذخة البنيان وكان ملوك حمير فى قديم الزمان أقوياء جدا حتى انه ربما أثبت التاريخ ان بعضهم قد ملك العالم بأسره وان ذا القرنين منهم كما سيأتى (وبالجملة) فان العرب من قديم الزمان قد أغاروا على كثير من الممالك وسلكوا الاعلاء كلمتهم أقوم المسالك ولما تغلب ملوك العجم على الديار المصرية امتدت اطماعهم الى حكم العرب فلم يتمكنوا من ذلك لمنعتهم وقوة شوكتهم وكذلك لما تغلب الاسكندر المقدونى على مصر وبلاد المشرق لم

تدخل

تدخل العرب تحت لوائه وامتنعوا عن حكمه وولائه ولما قويت دولة الرومانيين أيضا وامتدت سلطتها على كثير من الممالك المجاورة لجزيرة العرب بقيت هي قائمة بأمرها مستقلة بنفسها يحكمها شيوخها وأمراؤها وملوكها وان ثبت لها رومانيين بعض ولاء صورى على طرف من بلاد العرب حتى ان عثمان بن حويرث لما تنصر وأراد ان يجعل الكعبة ضمن هياكل الروم مانعته قريش عما أتاه من العار والطيش

فاصبحوا قد أعاد الله دولتهم * اذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر

﴿فى انساب العرب القدماء وتقسيمهم الى طبقات﴾

اعلم انه لما تكاثر بنو نوح وضاقت عليهم بلاد آسيا الصغرى وتفرقت ألسنتهم قد أخذوا يجوبون الارض طلبا للرزق وسعيا وراء القوت فانتشروا على سطح المعمورة فى كل جهة يمكن الانسان ان يعيش بها وذهب من نسل سام من سكن جزيرة العرب فهم من نسل سام بالاتفاق غير ان بعض سكان العرب الاقدمين من نسل حام واخبار عصورهم الخالية سقيمة جدا قال أبو الفداء نقلا عن صاحب تواريخ الامم ليس فى جميع التواريخ أسقم من تاريخ ملوك بنى حمير وقس على ذلك أكثر أخبارهم قبل الاسلام فغالب ما ورد منها انما هو من قبيل الخرافات التى لا يعتمد عليها وان كان بعضها صحيحا فلا يمكن تمييزه من الباطل

أما كون بعض سكان هذه البلاد من نسل حام فقد تحقق من أدلة شتى منها ان بنى حام انتقلوا من آسيا الى افريقيا وسكنوا مصر والنوبة قديما وانهم دخلوا افريقيا من برزخ السويس أو على طريق باب المندب سائرين على كل حال بجوانب بلاد العرب والظاهر ان بعضهم استوطنها ويستدل أيضا من كتب موسى عليه السلام بأن بنى كوش بن حام استوطنوا بلاد العرب ولكون العرب لا يزالون معروفين بين الامم بالفصاحة فى المنطق وطلاقة اللسان سموا عربا من الابانة من قولهم أعرب الرجل عما فى ضميره اذا أبانه

﴿تقسيم العرب الى طبقات﴾

قد قسمت هذه الامة الى ثلاث طبقات وهى العرب البائدة والعرب العاربة والعرب المستعربة

أما العرب البائدة فهم الاعراب الاولون الذين بادوا ودرست آثارهم لما أزالتهم عن موضعهم العرب العاربة

وأما العرب العاربة فهم العرب الحقيقيون الذين أبادوا البائدة وتوطنوا مكانهم واما العرب المستعربة فهم الذين انضموا الى العرب العاربة من الأمم المجاورة وليسوا عربا فى الاصل وأخصهم ولد اسماعيل عليه السلام

﴿العرب البائدة﴾ (١)

هؤلاء العرب كانوا شعوبا كثيرة والذين اشتهر وامنهم عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة وأميم وعبيل وعبد ضخم وجرهم الاولى وحضورا

وأول من وردذكرهم من هذه الطبقة قوم عاد وهم بنو عاد بن عوص بن ارم بن سام وقد جعل بعضهم بني عاد دولتين دولة متقدمة ودولة متأخرة وهو الصحيح

اما الاولى فانها سكنت أحقاف الرمل بين اليمن وعمان وحضرموت والشحر حسبما نص عليه ابن خلدون قال وكان عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده وبالغ بعض المؤرخين وقال ان عادا تزوج بالف امرأة وولد له أربعمائة ولد ذكر لصلبه وعاش ألفا ومائتي سنة اه وقيل فيه غير ذلك من الخرافات التي لا يسلم بها العقل وهو يدل على ما في الاخبار القديمة من الاقاصيص السقيمة وقالوا ان من خلفاء عاد شدادا ونسبوا الى شداد المآثر العظيمة فقالوا ان قوم عاد جابوا بلاد العراق والهندستان تحت قيادة شداد ولقمان قبل الميلاد بأكثر من ألفي سنة وانهم استولوا على مدينة بابل سنة ٢٢١٨ قبل الميلاد وذهب بعضهم الى انهم حين طردهم بعد ذلك بنو قحطان من أرض اليمن ذهبوا الى الحبشة تاركين آثارا تدل على مرورهم من بلاد العرب ولا يزال يشاهد فيها الى الآن أبنية منسوبة لقوم عاد واستولوا على الهند والشام والظاهر من كل هذه الاخبار ان بني عاد قد عظم أمرهم وامتدت سلطتهم على الممالك البعيدة ويقال ان جيرون (بفتح الجيم) ابن سعد بن عاد هو الذي اختط مدينة دمشق ومصرها فسمي أحد أبوابها بباب جيرون ثم ان قوم عاد بعد ان ارتفع شأنهم زمنا طويلا أدركهم البوار وزال ملكهم وذلك انهم كثر طغيانهم وعتوهم فانتحلوا عبادة الاوثان واضروا بالعباد وأكثروا في الارض الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم حسبما ورد في القرآن الشريف قال تعالى وانه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وذلك انهم لما انتحلوا عبادة الاوثان ودين الصابئة بعث الله اليهم أخاهم هودا فوعظهم فلم يطيعوه كلهم واختلفوا عليه حيث كان لهم ملكان في عهده وهما الخلجان ولقمان فآمن لقمان وقومه وكفر الخلجان وقومه فحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين وبعثوا الوفود الى مكة يستسقون فلم يجابوا وأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح شديدة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية (وأما هود ومن آمن معه) فانهم

(١) ويقال لهم عاربة أيضا بمعنى محدثين العربية وانما سموا بائدة لكونهم بادوا ولم يبق منهم أحد

اعتزلوا فى حظيرة وبقى هود كذلك حتى مات وقبره بحضرموت وقيل بحرمكة ثم ملك لقمان الذى خالف الحبجان وقومه وآمن فلم يهلك وبقى ملكه متصلا قيل ألف سنة أو أكثر حتى غلبهم يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت الى ان انقرضوا ولقمان وقومه هم الدولة الثانية من ولد عاد والظاهر ان قوم عاد كانوا أقويا أشداء فى غاية من العتو والتجبر وبسطة الجسم قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة الآية واستفحل أمرهم زمنا طويلا وبنوا المبانى الرفيعة والقصور الشاهقة المنيعة حتى انه ضرب بهم المثل فى ذلك قال ابن خلدون نقلا عن البيهقى انه ملك بعد عاد بنوه الثلاثة شديد وبعده شداد وبعده ارم وقال الزمخشرى ان شدادا هو الذى بنى مدينة ارم فى صحارى عدن وشيدها بصخور الذهب وأساطين الياقوت والزبرجد يحاكى بها الجنة لما سمع وصفها طغيانا منه وعتوا قال ابن خلدون والصحيح انه ليس هناك مدينة اسمها ارم وانما هذا من خرافات القصاص وانما نقله ضعفاء المفسرين وارم المذكورة فى قوله تعالى ارم ذات العماد القبيلة لا البلد اه ولم يرجح الفخر فى تفسيره قولا وكذلك أغلب المفسرين ولا مانع من أن تكون هذه البلد كانت موجودة فى الازمان الخالية ودرست آثارها لتقادم الازمان وتقلبات الحدثان ويكون المنع انما هو للمبالغة فى وصفها لا فى أصل وجودها (١)

وأما قوم ثمود وهم بنو ثمود بن كاثر بن ارم فكانت ديارهم بالحجر ووادى القرى فيما بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون الجبال بيوتا ويسكنون المغارات بالجبال قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا الآية وقال تعالى وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا فارهين قال ابن خلدون وقد مر بها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ونهى عن دخولها كما فى الصحيح وفيه اشارة الى انها بيوت ثمود أهل ذلك الجيل ويشهد ذلك لبطلان ما يذهب اليه القصاص من ان أهل تلك الاجيال كانت أجسامهم مفرطة فى الطول والعظم وهذه البيوت المشاهدة المنسوبة اليهم بكلام الصادق صلوات الله عليه تشهد بانهم فى طولهم وعظمهم مثلنا سواء بسواء فلا أقدم من عاد وأهل أجيالهم فيما بلغنا انتهى ولعل الذى بعد تحريفا انما هو المبالغة فى الطول والعرض الزائدين عن الحد المعقول لان بعضهم يقول كان طول الرجل منهم سبعين ذراعا فى عرض سبعة أذرع وبعضهم يزيد عن ذلك الى أربعمائة ذراع فى الطول الى غير ذلك مما يأباه التعقل وأما مطلق القوة وبسطة الجسم

(١) انظر ابن خلدون

فهذا مما لا ينكره النكران حيث قد جاء به نص القرآن كما سبق التنبيه عليه وكون بيوتهم كبيوتنا وحجراتهم كحجراتنا في الطول والعرض لا ينافي بسطة جسمهم عن أجسامنا وقوتهم عنا فان البيت الواحد يكون فيه الطويل والقصير والصغير والكبير فلا بد ان يكونوا أشد منا قوة وآثارا في الارض وهذه القوة والبسطة في الجسم تتحقق بمطلق قوة وأية بسطة ولا نحتاج لبطلان ذلك ولا للمبالغة المردودة وكانوا كفارا وكان رئيس كفارهم رجلا يسمى قدار (١) وعاهدوا صالحا حين دعاهم على انه ان أتى بما اقترحوا عليه آمنوا به واقترحوا عليه ان يخرج لهم من صخرة معينة ناقة فسأل الله صالح فأخرجها لهم وولدت فصيلا فلم يؤمنوا وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم فأهلكوا بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء تقطعت بها قلوبهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين وسار صالح الى فلسطين ثم الى الحجاز وبقي يعبد الله به حتى مات وعمره ثمان وخمسون سنة

(وأما طسم وجديس) (١) فهم من ولد كاثر أو جاثر قبل ان هاتين الامتين سكنتا اليمامة معا وهي اذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيرا وأثمرها وكان الملك عليهما من طسم فانتهى الملك الى ملك ظلوم غشوم لا ينهاه شئ عن هواه ولا يرده أحد عن نيل مشتهاه وكان هذا الملك يدعى عمليقا (٢) استذل جديسا وأهانهم وسن ان لا تهدى بكر منها الى زوجها حتى يفترعها وكان السبب في ذلك ان امرأة منهم كان اسمها هزيلة بنت مازن طلقها زوجها (ماشئ) وأراد أخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق وقالت أيها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا حتى اذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه مني كرها ويتركني بعده ورها (٣) فقال زوجها أيها الملك اني أعطيت مهرها كاملا ولم أصب منها طائلا الا وليدا خاملا فافعل ما كنت فاعلا فامر الملك بالغلام فصار في غلمانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى هي عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فأنفذ حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا * ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم واني بعثرتي * وأصبح بعلي في الحكومة نادما

(١) قدار كتراب هو ابن سالف عاقر الناقة (٢) طسم بفتح الطاء وسكون السين وجديس كاميركما في القاموس (٢) عمليق كقنديل أو عملاق كقرطاس أو عملوق كمنصور لغات (٣) وره كفرح حمق وتوره في عمله لم يكن فيه حذق والورهرهة الحمقاء اه قاموس

فلما سمع عملاق قولها غضب وأمر ان لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتى يفترعها فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا ولم يزل يفعل ذلك حتى تزوجت الشموس وهى (١) عفيرة بنت غفار أخت الاسود فلما أرادوا حملها الى زوجها انطلقوا بها الى عملاق لينالها قبله ومعها الفتيات يضربن بالدفوف فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها فى دمائها وقد شقت درعها من قبل ودبر والدم يبين وهى فى أقبح منظر تقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس

يرضى بذا يا قوم بعل حر * أهدى وقد أعطى وسيق المهر

وقالت أيضا تحرض قومها على الملك

أيجمل ما يؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل

وتصبح تمشى فى الدماء عفيرة * جهارا وزفت فى النساء الى بعل

ولو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر لذا الفعل

فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم * وذبوا الضار الحرب بالحطب الجزل

والا فخلوا بطنها وتحملوا * الى بلد قفر وموتوا من الهزل

فللبين خير من مقام على الاذى * وللموت خير من مقام على الذل

وان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تعيب من الكحل

ودونكم طيب النساء فانما * خلقتم لاثواب العروس وللغسل

فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا * ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فلما سمع القوم قولها وسمع أخوها الاسود بن غفار ذلك وكان سيدا مطاعا فى قومه قال لرؤساء جديس قد ترون ما نحن فيه من الذل والعار الذى ينبغى للكلاب ان تعافه فاطيعونى أدعكم الى عز الدهر فقالوا وما ذاك قال أصنع للملك وقومه طعاما فاذا جاؤا يعنى طسما نهضنا اليهم بأسيافنا فنقتلهم فأجمعوا على ذلك ودفنوا سيوفهم بالرمل ودعوا عملوقا وقومه فلما حضروا قاموا عليهم فقتلوهم وقتل الاسود عمليقا وأفلت رباح (٢) بن مرة بن طسم وهرب الى اليمن واستغاث بحسان بن تبع فنهض حسان فى حمير لاغاثته حتى كان من اليمامة على ثلاث مراحل قال لهم رباح ان لى أختا متزوجة فى جديس اسمها اليمامة ليس أحد على وجه الارض أبصر منها وانها لتبصر الراكب على ثلاث مراحل وأخاف ان تنظر القوم فأمر كل رجل ان يقطع شجرة فيجعلها فى يده ويسير كانه خلفها ففعلوا وبصرت بهم اليمامة فقالت لجديس لقد صارت اليكم حمير وانى أرى رجلا من وراء شجرة بيده

(١) عفيرة كجهينة (٢) رباح كسحاب

كتف يتعرقها أو نعل يخصفها فاستبعدوا ذلك ولم يحفلوا به وصبحهم حسان وجنوده من حمير فأهلكهم وخرب حصونهم وبلادهم وقيل ان الذى سار اليهم هو تبع والد حسان وقيل انه ذو جيشان والاول أرجح وهرب الاسود بن غفار الى جبلى طى فأقام بهما ودعا تبع باليمامة أخت رباح التى أبصرتهم فتلع عينها ويقال انه وجد بها عروقا زعمت ان ذلك من اكتحالها بالاثمد وكانت تلك البلد تسمى (جوا) فسميت باليمامة اسم تلك المرأة ولم يبق لطسم وجديس ذكر بعد ذلك وبقيت اليمامة خالية الى ان نزل بها بنو حنيفة واستوطنوها وبها صبحهم الاسلام

(وأما العمالقة) فقيل انهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام قال أبو الفدا ولما تبلبلت الألسن (١) نزلت العمالقة بصنعاء من اليمن ثم تحولوا الى الحرم وأهلكوا

(١) قد ورد فى التوراة ما معناه ان أولاد نوح الثلاثة الذين عمرت بذريتهم الارض كانوا يتكلمون بلغة واحدة ويتفاهمون بلهجة متقاربة فلما توالت بعد الطوفان عدة قرون قد كثروا جدا وانتشروا فى السهول المتسعة من بلاد آسيا فيما بين دجلة والفرات المعروفة ببلاد النهرين وكثر طغيانهم وعتوهم ثم تحكم فيهم الكبر والعجب بأنفسهم لكثرتهم وزيادة قوتهم وشوكتهم حتى تخيلوا انهم قادرون على كل شئ فقال بعضهم لبعض هلموا نبنى مدينة وصرح عال نبلغ به عنان السماء وبينما هم فى بناء الصرح اذ قد انتقم الله منهم بأن خلط لغاتهم وغيرها فأصبحوا لا يفهم بعضهم كلام بعض ووقع الخلف فيما بينهم فتفرقوا فى البلاد وذهبت كل طائفة مجتمعة بما بقى معها من لغة فتكلمت بها ومن ثم كان اختلاف اللغات وبقى الصرح المذكور غير تام البناء وسمى باسم بابل ومعناه بلغة بنى سام الاختلاط لاختلاط الالسن واللغات بسببه وكانت هذه الحادثة فى زمن ولد سام المسمى فالغ وكان خامس ولد له فدعى بهذا الاسم تذكارا لهذه الحادثة لأن معنى فالغ بلغتهم الفراق وأبان شرح هذه الحادثة أبو الفدا ثم قال ولم يوجد فى نص التوراة ما يمنع من الظن من انه ربما كان قد هاجر عدة عشائر من أبناء نوح الى جهات اخرى قبل هذه الحادثة فاقاموا فيها وأنشؤا بها مستعمرات ولم يحضروا هذا المجمع العام ويقوى هذا الظن ان تناسل أولاد نوح عليه السلام من سام وحام ويافث على الوجه الذى ورد فى سفر الخليقة من التوراة لم يتعرض فيه الا لأمم الطائفة البيضاء من البشر ولم يذكر الطائفة الزنجية أو السوداء ولا الطائفة الصفراء أى بنى الاصفر التى منهم سكان بلاد الصين اه ملخصا من التاريخ العام لأبى السعود وقال ابن خلدون فى الكلام على البابليين وأصاب النمروذ وقومه على عهد ابراهيم ما اصابهم فى الصرح

من قابلهم من الامم وكان منهم جماعة بالشام وكانت ديارهم واسعة قيل ان أهل البحرين وعمان والحجاز و بعض أهل نجد منهم والمتفق عليه ان ديارهم كانت فى شبه جزيرة طور سيناء والحجاز الى تخوم مصر والظاهر انهم لم يكونوا من نسل واحد ومنهم من ملك مصر وكان فرعون ابراهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى عليهم السلام منهم

وأما أميم (١) بن لاوذ بن عميق فكانت ديارهم بأرض فارس قيل وهم أول من بنى بها البيوت من الحجارة وسقفوا بالخشب وكان من شعوبهم (٢) و بار بن أميم نزلوا برمل عالج بين اليمامة والشحر وانهالت عليهم الرمال فأهلكتهم

(وأما عبيل) فهم اخوان عاد بن عوص فيما قاله الكلبى واخوان عوص بن ارم فيما قاله الطبرى وكانت ديارهم بالجحفة بين مكة والمدينة وأهلكهم السيل

(وأما عبد ضخم) فهو ابن ارم قال الطبرى كان مسكنهم الطائف وهلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل وقال غيره انهم أول من كتب بالخط العربى

(وأما جرهم الاولى) (٣) فهى أمة كانت على عهد عاد وهى غير جرهم الثانية الآتية فى العرب العاربة حسبما نقله ابن خلدون وكانت ديارهم باليمن وأهلكهم تطاول العصور وتقلبات الدهور

(وأما حضورا ٤) فكانت ديارهم بالرس وكانوا يعبدون الاوثان فبعث الله اليهم نبيا منهم

وكانت البلبلة المشهورة وقد وقع ذكرها فى التوراة ولا أدرى معناها والقول بأن الناس أجمعين كانوا على لغة واحدة فبلوا عليها ثم اصبحوا وقد افترقت لغاتهم قول بعيد فى العادة الا ان يكون من الخوارق للانبياء ولم يذكروه كذلك والذى يظهر انه اشارة الى التقدير الالهى فى خرق العادة وافتراقها وكونها من آياته كما وقع فى القرآن الكريم ولا يعقل فى أمر البلبلة غير ذلك اه واخرج الامام فى المزهر نقلا عن أبى الحسن الاشعرى ان الله تعالى علم آدم اسماء جميع اللغات وأسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية وغيرها فكان آدم وأولاده يتكلمون بأنواع اللغات ثم ان اولاده تفرقوا فى البلاد لاحتياجهم الى القوت واحتيالهم على المعيشة وعلق كل واحد منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه واضمحل عنه ماسواها واختص بها أولاده من بعده اه ملخصا من أوائل المسنوى وقيل فى سبب اختلاف اللغات غير ماذكر والله اعلم (١) قال السهيلى يقال بفتح الهمزة وكسر الميم و بضم الهمزة وفتح الميم وهو أكثر ووجدت بخط بعض المشاهير اميم بتشديد الميم اه من ابن خلدون (٢) كقطام وقد يصرف قاموس (٣) كقنفذ (٤) بفتح الحاء بعدها ضاد مضمومة ثم واو بعدها راء وألف مقصورة قاموس

اسمه شعيب بن ذى مهرع فكذبوه فهلكوا كما هلك غيرهم من الامم المعاندين وهؤلاء الذين ذكروا من هذه الطبقة هم أشهرها وكان لكل منهم ملوك وآطام وقصور ومصانع حسبما أورده ابن خلدون فبادوا جميعا ولم يبق منهم أحد

وأهل التوراة لا يعرفون أخبار أحد من العرب البائدة لأنهم انما يعرفون اخبار من ذكر فى عمود النسب بين آدم وموسى ولا ذكر فيه لأحد من هؤلاء الاجيال الذين علمت أخبارهم من مهاجرة بنى اسرائيل لأنهم أقرب اليهم عصرا وأما من كان قبل هؤلاء العرب فلا طريق لعلم أخبارهم الا القرآن المجيد لتطاول الاحقاب وانقطاع السند

﴿ العرب العاربة ﴾ (١)

هذه الطبقة من نسل قحطان (٢) بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه

---

(١) بمعنى الراسخة فى العروبية كما يقال ليل أليل وصوم صائم لا بمعنى المحدثة لها لانهم تعلموها ممن كان قبلهم من العرب ولذلك يسميهم ابن خلدون العرب المستعربة من اليمانية ونص عبارته وليس بين الناس خلاف فى ان قحطان أبو اليمن كلهم ويقال انه أول من تكلم بالعربية ومعناه من أهل هذا الجيل الذين هم العرب المستعربة من اليمنية والا فقد كان للعرب جيل آخر وهم العرب العاربة (المعروفون بالبائدة) ومنهم تعلم قحطان اللغة العربية ضرورة ولا يمكن ان يتكلم بها من ذات نفسه وكان بنو قحطان هؤلاء معاصرين لاخوانهم من العرب العاربة (أى البائدة) ومظاهرين لهم على أمورهم ولم يزالوا مجتمعين فى مجالات البادية مبعدين عن رتبة الملك وترفهه اللذين كانا لأولئك فأصبحوا بمنحاة من الهرم الذى يسوق اليه الترف فتشعبت فى أرض الفضاء فصائلهم وتعددت فى جوالقفر أفخاذهم وعشائرهم ونما عددهم وزاحموهم فى أماكنهم وانتزعوا الملك منهم واستجدوا خلق الدولة بما استأنفوه من عزهم اه والمشهور ان أول من تكلم بالعربية من اليمانية هو يعرب بن قحطان كما سيأتى (٢) قحطان كسكران ابن عابر بكسر الباء الموحدة وان وقع فى نسخ القاموس عامر بالميم فهو غلط كما نص عليه شارحه وهذه الاسماء الاعجمية كلها منقولة من التوراة ولغتها عبرانية ومخارج حروفها فى الغالب مغايرة لمخارج الحروف العربية وقد يجىء الحرف منها بين حرفين من العربية فترده العرب الى أحد ذينك الحرفين وفى مخرجه فية غير عن أصله ولذلك تكون فيه امالة متوسطة أو محضة فيصير الى حرف العلة الذى بعده من ياء أو واو فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف والانسب أن الاعلام ان لا تختلف وقالوا فى عابر عمبر وروى شالخ بالخاء والحاء أو شليخ بالخاء المعجمة فى آخره وارفخشذ بالذال المعجمة والدال

السلام حسبما فى التوراة (ومنهم بنو جرهم ١) وكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية وهاجم بنو قحطان قوم عاد وسكنوا مكانهم وكان ملكهم اذ ذاك يعرب بن قحطان قال ابن خلدون نقلا عن البيهقى (٢) ان يعرب بن قحطان لما غلب عادا على اليمن وملكه من أيديهم وولى اخوته على الاقاليم وولى اخاه جرهما على الحجاز واتصل نسبه باسماعيل عليه السلام وهؤلاء هم جرهم الثانية وهى غير الأولى كما سبق التنبيه عليه وسيأتى الكلام على ملوك جرهم عند ذكر الملوك ان شاء الله تعالى (ومنهم حضرموت الذى سميت باسمه هذه البلاد) وكان لهم فيها ملوك اقوياء وكان يعرب المذكور من أشهر ملوكهم ولما مات ملك بعده ابنه يشجب فخرج عليه بعض من ولاهم أبوه على البلاد فقهروه وتملك بعده ابنه عبد شمس الملقب بسبا وكان له عدة أولاد اشهرهم حمير وكهلان وعمرو واشعر وعاملة ومن نسل الاول اغلب سكان الامصار ومن نسل الثانى اغلب سكان البوادى وكان لبنى حمير شهرة عظيمة حتى ذكرهم مؤرخو اليونان والرومان فى غزوات الرومانيين لبلاد العرب فى مدة اغسطس سنة ٢٤ ميلاديه واستقلوا بملك اليمن حتى فتحه الحبشة كما سيأتى وجميع قبائل عرب اليمن وملوكه التابعة من ولد سبأ المذكور وجميع الملوك التابعة من نسل ولده حمير الاعمران وأخاه مزيقيا (٣) فانهما من نسل ولده كهلان على المشهور وسيأتى ذكر التابعة فى الملوك أيضا واما هنا فنذكر أحياء عرب اليمن وقبائلهم المنسوبين الى سبأ ونبدأ بذكر بنى حمير بن سبأ فاذا انتهوا ذكرنا كهلان بن سبا وهكذا حتى نأتى على ذكر بنى سبا

﴿ذكر بنى حمير بن سبا﴾

من بنى حمير التابعة ملوك اليمن الذين سيأتى ذكرهم (ومنهم بنو قضاعة ٤) بن مالك بن حمير بن سبا وقيل قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبا وكان قضاعة المذكور مالكا لبلاد الشحر وقبر قضاعة فى جبل الشحر ومن قضاعة أيضا كلب وهم بنو كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان بنو كلب فى الجاهلية ينزلون دومة الجندل وتبوك واطراف الشام ومن مشاهير كلب زهير (٥) (ابن

(١) جرهم كقنفذ حى من اليمن تزوج فيهم اسماعيل عليه السلام قاموس (٢) يعرب كينصر وكذلك يشجب قاموس (٣) بضم الميم وفتح الزاى بعدها ياء ساكنة وقاف مكسورة ثم ياء مفتوحة بعدها ألف قاموس (٤) قضاعة بضم القاف لقب عمرو بن مالك بن حمير أبو حى باليمن قاموس (٥) كزبير (انظر أبا الفدا وابن الوردى)

جناب) الكلبي وقد ذكره صاحب كتاب الاغانى واورد له شعرا ومنهم زهير بن شريك الكلبي ﴿وهو القائل﴾

الا أصبحت أسماء فى الخمر تعذل * وتزعم انى بالسفاه موكل
فقلت لها كفى عتابك نصطبح * والا فبينى فالتعزب أمثل

(ومنهم حارثة الكلبي) وهو أبو زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد أصاب ابنه زيدا سبى فى الجاهلية فصار الى خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأنشد ابن عبد البر فى كتاب الصحابة لحارثة المذكور يبكى ابنه زيدا لما فقده

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحى يرجى أم أتى دونه الأجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * ويعرض ذكراه اذا قارب الطفل
وان هبت الارواح هيجن ذكره * فيا طول ما حزنى عليه ويا وجل

ثم اجتمع بعد ذلك بزيد أبوه حارثة وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاره على أبيه وأهله (ومن قضاعة بهراء) (١) ومن قضاعة بلى (٢) (ومن قضاعة تنوخ) وكان بينهم وبين اللخميين ملوك الحيرة حروب كثيرة (ومن قضاعة جهينة) وهى قبيلة عظيمة ينسب اليها بطون كثيرة وكانت منازلها بأطراف الحجاز الشمالى من جهة بحر جدة (ومن قبائل قضاعة بنو سليح) (٣) وكان لهم بادية بالشام فغلبتهم عليها ملوك غسان وابادوا بنى سليح (ومن قضاعة بنو نهد ٤) ومن مشاهيرهم الصقعب بن عمر والنهدى وهو أبو خالد بن الصقعب وكان رئيسا فى الاسلام (ومن قضاعة بنو عذرة) (٥) بضم العين وهم مشهورون فى العشق والعفة ويضرب بحبهم المثل قال الابوصيرى

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة * منى اليك ولو أنصفت لم تلم

---

(١) بهراء كحمراء قال ثعلب

وقد علمت بهراء ان سيوفنا * سيوف النصارى لا يليق بها الدم

والمداصلى وقد يقصر والنسبة بهرانى على غير قياس والنون فيه بدل من الهمزة وبهراوى على القياس كما فى تاج العروس (٢) بلى كرضى وهو ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة والنسبة اليها بلوى كعلوى منهم فى الصحابة ومن بعدهم خلق كثير ينسبون اليها هكذا اه تاج (٣) سليح كجريح وهو سليح بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة اه تاج
(٤) نهد كشهم وهو نهد بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة اه تاج
(٥) وهو عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة

وكان

AUC - LIBRARY

وكان الرجل منهم اذا عشق مات فسئل بعضهم ما بالكم تعشقون وتموتون فأجاب لان فى نسائنا جمالا وفى رجالنا عفة ومنهم عروة (١) بن حزام بن مالك وصاحبته عفراء بنت عمه مهاصر بن مالك مات من حبها ومنهم جميل (٢) بن عبد الله بن معمر

(١) كان شاعرا البيا تمكن منه العشق حتى قتله قيل وهو أول عاشق مات بالهجر من العذريين واشدة مقاساته فى العشق ضرب به المثل بين العرب والمولدين وسبب عشقه لعفراء ان أباه حزاما توفى ولعروة من العمر أربع سنين وكفله عمه مهاصر أبو عفراء فنشأ معا على المحبة ولما كبر طلب تزويجها منه فوعده ذلك ثم أخرجه الى الشام فى تجارة له وجاء ابن أخ له آخر يقال له أثالة بن سعيد بن مالك يريد الحج فنزل على عمه فبينما هو جالس يوما تجاه البيت اذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل اداوة سمن وعليها ازار خز أخضر فلما رآها شغف بها فخطبها من عمه فزوجه بها وبينما هو ذاهب بها اذا قبل عروة فقابلهما فى الطريق فعرفها من البعد وأخبر أصحابه ولما التقيا وحقق الأمر بهت ولم يحر جوابا حتى افترق القوم وأنشد

وانى لتعرونى لذكراك رعدة * لها بين جلدى والعظام دبيب
فما هو الا ان رآها فجاءة * فأبهت حتى ما يكاد يجيب

الى آخر ما قال ولم يزل مشغوفا بحبها حتى قطع الزاد وانحل جسمه وتحيرت فيه الاطباء ولم تنفعه الادواء وبقى كذلك الى ان مات وقصته مبسوطة بتزيين الاسواق (٢) كان شاعرا فصيحا صادق الصبابة عفيفا نشأ فى قومه بنى ربيعة بوادى القرى بين مكة والمدينة فعلق بثينة بنت يحيى بن ثعلب من قومه صغيرا فلما كبر خطبها فردلأن العرب كانت تستهجن ان تزوج من جرى بينهما عشق فكان يأتيها سرا يتحادثان فعلموا به وأرادوا قتله فنبهته فاستخفى وفى ذلك يقول

فلو ان ألفا دون بثنة كلهم * غيارى وكل حارب مزمع قتلى
لحاولتها اما نهارا مجاهرا * واما سرى ليل ولو قطعت رجلى

فلما شاع ذلك شبب حواش أخو بثينة بأخت جميل وتفاخرا فغلبه جميل بشهادة العرب ولم يزل جميل متهالكا فى حب بثينة ينشد فيها الاشعار وقد اجتمع معها كثيرا وربما باتا متعانقين وتمنعه العفة عن ان ينال منها سوى المحادثة وبقى كذلك الى ان مات وعن سهل الساعدى قال قال لى رجل هل تعود جميلا فانه مريض فدخلنا عليه فاذا هو يجود بنفسه فنظر الى وقال ما تقول فى رجل لم يزن قط ولم يشرب خمرا ولم يسفك دما ويشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله منذ خمسين سنة قلت من هذا فانى أظنه ناجيا قال أنا قلت عجيب

وصاحبته بثينة (ومن بطون حمير بنو شعبان) ومنهم الشعبي الفقيه واسمه عامر وهذا حاصل الكلام على بني حمير بن سبا

﴿ذكر بني كهلان بن سبا﴾

قد تفرع من بني كهلان المذكور أحياء كثيرة والمشهور منها سبعة وهي الازد (١) وطي (٢) ومذحج (٣) وهمدان (٤) وكندة (٥) ومراد (٦) وانمار (٧) (أما الازد) فهم من ولد الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان ابن سبا ولنذكر قبائل الازد حتى ينتهوا ثم نذكر قبائل طي ثم مذحج ثم من بعده الى آخرهم (اما قبائل الازد) فمنهم الغساسنة ملوك الشام وهم بنو عمرو بن مازن بن الازد (ومن الازد الاوس والخزرج) أهل يثرب والمسلمون منهم هم الانصار رضي الله عنهم ومن

منك تشبب ببثينة هذه المدة وأنت كذلك قال أنا في آخر يوم من الدنيا لا تنالني شفاعة محمد ان كنت وضعت يدي عليها بريبة وأكثر ما كان مني ان أسند يدها الى فؤادي أستريح ساعة ثم أغمى عليه ولما حضرته الوفاة قال من ينعاني الى بثينة قال رجل أنا فأعطاه حلته فلما توفي جاء الى الحي ونعاه فلما سمعت بثينة خرجت مكشوفة وهي تقول

وان سلوى عن جميل لساعة * من الدهر لا حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر * اذا مت بأساء الحياة ولينها

ثم قالت للناعي ان كنت صادقا فقد قتلتني وان كنت كاذبا فقد فضحتني فقال لها والله اني لصادق واخرج الحلة فلما رأتها صرخت وصكت وجهها وخرت عليه ولم تزل تبكيه حتى قضى نحبها وقصتها أيضا في تزيين الاسواق مطولة

(١) الازد بفتح الهمزة وسكون الزاي آخره دال ينسب الى أزد بن الغوث أو هم الاسد وهو أفصح ولكنه بالزاي أكثر كما في تاج العروس (٢) طي بالهمز وتركه (٣) مذحج كمجلس بفتح الميم وسكون الذال وكسر الحاء آخره جيم وهو اسم لامكة ولد عندها فسمي بها قاموس (٤) همدان بفتح الهاء وسكون الميم بعدها دال مهملة مفتوحة وألف ونون في آخره (٥) كندة بكسر الكاف وسكون النون وفتح الدال لقب ثور بن عفير أبو حي من اليمن وبالضم قرية بسمرقند وبالفتح ناحية بخجند من فرغانة توصف نساؤها بالحسن (٦) مراد كغراب أبو قبيلة باليمن وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا وكان اسمه يحابر فسمي مرادا لتمرده وقال ابن دريد يحابر جمع يحبور وسمي مرادا لانه أول من تمرد باليمن اه من تاج العروس (٧) انمار كاشجار

الازد خزاعة وبارق ودوس والعتيك وغافق فهؤلاء بطون الازد (أما خزاعة ١) فانها لما انخزعت عن غيرها من قبائل اليمن الذين تفرقوا أيدى سبا من سيل العرم ونزلت ببطن مر على قرب مكة سميت خزاعة وثبتت لهم سدانة البيت والرياسة

ولما اصطلح رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش فى عام الحديبية دخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وقد اختلف فى نسب خزاعة بين المعدية واليمانية والاكثر انها يمانية والذى تنتسب اليه خزاعة هو كعب بن عمرو بن لحى بن حارثة بن عمرو مزيقيا وسيأتى ذكر عمرو مزيقيا ابن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الازد فى الكلام على تبابعة اليمن

ومازالت سدانة البيت فى خزاعة حتى انتهت الى رجل منهم يقال له أبو غبشان وكان فى زمان قصى بن كلاب فاجتمع مع قصى فى الطائف على شراب فأسكره قصى وخدعه واشترى منه مفاتيح الكعبة بزق خمر وأشهد عليه فتسلم قصى المفاتيح وأرسل بها ابنه عبد الدار الى مكة فلما وصل اليها رفع صوته وقال معاشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم اسماعيل قد ردها الله عليكم من غير عار ولا ظلم فلما صحا أبو غبشان ندم حيث لا ينفعه الندم فضرب به المثل فى الخسارة وقيل أخسر من أبى غبشان وأكثرت الشعراء القول فى ذلك فمنه

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت * بزق خمر فبئست صفقة البادى
باعت سدانتها بالنزر وانصرفت * عن المقام وظل البيت والنادى

﴿ومنه﴾

اذا افتخرت خزاعة من قديم * وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهرا * بزق بئس مفتخر الفخور

وجمع قصى اشتات قريش وظهر على خزاعة وأخرجهما من مكة الى بطن مر ولذلك دانت له قريش وقلدوه أمرهم وكانوا يتيمنون برأيه ويشاورونه فى جميع أمورهم واتخذوا دار الندوة بازاء الكعبة للمشاورة والمعاقدة وصار له لواء الحمد والحجابة (ومن خزاعة بنو المصطلق) (٢) الذين غزاهم (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى

---

(١) كقضاعة (٢) بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المشالة المهملتين وكسر اللام وبعدها قاف لقب جزيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بطن من بنى خزاعة بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى المخففة (٣) كانت غزوة بنى المصطلق فى شعبان سنة ست من الهجرة وكان قائدهم الحارث بن أبى ضرار أبا جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم غزاهم فغلبهم وغنم ووقعت جويرية فى سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها فأدى

فى سيرته الشريفة (وأما بارق) فهم من ولد عمرو مزيقيا الازدى نزلوا جبلا بجانب اليمن يقال له بارق فسموا به ﴿ومن مشاهيرهم معفر بن حماد البارقى﴾ ذكره صاحب الاغانى وهو صاحب القصيدة التى من جملتها البيت المشهور

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

(وأما دوس) فهو ابن عدثان (١) بن عبد الله بن وهزان بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الازد وسكنت بنو دوس احدى السروات (٢) المطلة على تهامة وكان لهم دولة بأطراف العراق وأول من ملك منهم مالك بن فهم بن غنم بن دوس وسيأتى ذكر مالك بن فهم المذكور ومن ملك بعده فى الكلام على ملوك العرب ومن الدوس (أبو هريرة) وقد اختلف فى اسمه والاكثر على ان اسمه عمير بن عامر (وأما العتيق وغافق) فهما قبيلتان مشهورتان فى الاسلام وهما من ولد الازد (ومن الازد أيضا بنو الجلندى) ملوك عمان والجلندى لقب لكل من ملك منهم عمان وكان ملك عمان فى الاسلام قد انتهى الى جيفر وعبد ابنى الجلندى واسلما مع أهل عمان على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه انتهى الكلام فى الأزد

﴿ذكر الحى الثانى من بنى كهلان وهم قبائل طى﴾

ولما تفرق أهل اليمن بسبب سيل العرم نزل طى بنجد الحجاز فى جبلى اجا وسلمى بضم السين فعرفا بجبلى طى الى يومنا هذا (وأما طى) فهو أدد بن زيد بن كهلان بن سبا فمن بطون طى جديلة ونبهان وبولان وسلامان وهنى بفتح الهاء وسكون النون وسدوس بضم السين وأما سدوس التى فى قبائل ربيعة بن نزار ففتوحة السين (ومن سلامان بنو بحتر) ومن هنى اياس بن قبيصة الذى ملك بعد النعمان ومن طى عمرو بن المشيح وهو من بنى ثعل الطائى وكان عمرو أرمى أهل وقته وفيه يقول امرؤ القيس

صلى الله عليه وسلم عنها كتابتها وتزوجها فقال الناس اصهار النبى صلى الله عليه وسلم فأعتق بتزويجها مائة من بنى المصطلق فكانت عظيمة البركة على قومها

(١) عدثان بن عبد الله بن وهزان أبو القبيلة المشهورة التى هى الدوس ومنها أبو هريرة رضى الله عنه ووقع تحريف للمؤرخين فى عدثان فمنهم من كتبه عدنان ومنهم من كتبه عربان ومنهم من كتبه عريان الى غير ذلك والصحيح عدثان كما فى تاج العروس

(٢) قال فى المختار وسراة كل شئ أعلاه وسراة الفرس أعلى ظهره ووسطه والجمع سروات وفى الحديث ليس للنساء سروات الطريق أى ظهره ووسطه ولكنهن يمشين فى الجوانب اه

رب رام من بنى ثعل * مخرج كفيه من ستره

(ومن بنى ثعل الطائى) أيضا زيد الخيل وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ومن طى حاتم طى المشهور بالكرم والجود (وأما الحى الثالث من بنى كهلان) فهم بنو مذحج واسم مذحج مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا ولمذحج بطون كثيرة منها خولان وجنب ومن جنب (١) معاوية الخير الجنبى صاحب لواء مذحج فى حرب بنى وائل وكان مع تغلب (٢) (ومن مذحج أود) (٣) قبيلة الافوه الأودى الشاعر ومن كلامه ملكنا ملك لقاح أول * وأبونا من بنى أود خيار

(ومن مذحج بنو سعد العشيرة) وسمى بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل وكان اذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتى دفعا للعين عنهم فقيل له سعد العشيرة لذلك ومن بطون سعد العشيرة جعف بضم الجيم وسكون العين المهملة آخره فاء (وزبيد) (٤) قبيلة عمرو بن معديكرب الزبيدى (ومن بطون مذحج النخع) (٥) ومنهم (الاشتر النخعى) واسمه مالك بن الحارث صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على بن أبى طالب ومن النخع (سنان بن أنس) قاتل الحسين (ومنهم أيضا القاضى شريك) ومن مذحج (عنس) (٦) وهى قبيلة الاسود العنسى الكذاب الذى ادعى النبوة باليمن وعنس أيضا رهط عمار بن ياسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأما الحى الرابع من بنى كهلان وهم همدان) فهم من ولد ربيعة بن حيان بن مالك بن زيد بن كهلان ولهم صيت فى الجاهلية والاسلام (وأما الحى الخامس) من بنى كهلان (وهم كندة) فهم بنو ثور وثور المذكور هو كندة بن عفير بن الحارث من ولد زيد بن

---

(١) جنب كقبر بطن من العرب أو حى من اليمن وهو لقب لهم لا أب سموا جنبا لأنهم جانبوا بنى عمهم صدا ويزيد بنى سعد العشيرة من مذحج اه تاج

(٢) تغلب بفتح التاء وسكون الغين وكسر اللام آخره باء اه قاموس (٣) قال الازهرى وأود بفتح الهمزة وسكون الواو قبيلة من اليمن وهو اسم لجدهم أود بن صعب بن سعد العشيرة واليهم تنسب خطة بنى أود بالكوفة اه تاج (٤) وزبيد كزبير بطن من مذحج وهم رهط عمرو بن معديكرب وكأمير بلدة باليمن اه قاموس

(٥) النخع محركة بالفتح قبيلة باليمن تنسب الى نخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد اه قاموس (٦) بفتح العين وسكون النون وعنس فى الاصل لقب زيد بن مالك الملقب بمذحج قال سيبويه وعنس بطن من مذحج وأنشد

لا مهل حتى تلحقى بعنس * أهل الرباط البيض والقلنس

كهلان وسمى كندة لأنه كند أباه نعمته و بلاد كندة باليمن تلى حضرموت وسيأتى ذكر ملوك كندة عند ذكر ملوك العرب ان شاء الله تعالى ومن كندة حجر (١) بن عدى صاحب على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو الذى قتله معاوية صبرا (ومنهم القاضى شريح) ومن بطون كندة (السكاسك والسكون ٢) بنو اشرس (٣) بن كندة فمن السكون معاوية بن خديج قاتل محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما ومنهم حصين ابن نمير السكونى الذى صار صاحب جيش يزيد بن معاية بعد مسلم بن عقبة نوبة وقعة الحرة (٤) بظاهر مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم (وأما الحى السادس) من أحياء بنى كهلان فهم (بنو مراد) و بلادهم الى جانب زبيد من جبال اليمن واليه ينسب كل مرادى من عرب اليمن (وأما الحى السابع) من أحياء بنى كهلان فهم بنو أنمار بن كهلان ولأنمار فرعان وهم بجيلة وخثعم و بجيلة (٥) هى رهط جرير بن عبد الله البجلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقال لجرير المذكور يوسف الامة لحسنه وفيه قيل

لولا جرير هلكت بجيله * نعم الفتى و بئست القبيله

انتهى الكلام فى بنى كهلان بن سبا

﴿ذكر بنى عمرو بن سبا﴾

اما القبائل المنتسبة الى عمرو بن سبا فمنهم لخم بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة آخره ميم

---

(١) حجر بالضم و بضمتين والد امرئ القيس وجده الاعلى وابن ربيعة وابن عدى وابن النعمان وابن يزيد صحابيون وابن العنبسى تابعى اه قاموس وقصة قتل عدى بن حجر مذكورة فى أسد الغابة فى مادة حجر (٢) بفتح السين المشددة وكسر الثانية حى باليمن جدهم سكسك بن أشرس وهم غير سكاسك حمير المنسوبين الى السكاسك ابن وائلة كما فى تاج العروس والسكون بالفتح حى من اليمن كما فى الصحاح

(٣) بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الراء بعدها السين المهملة اه قاموس

(٤) اسم لعدة مواضع قال فى القاموس والحرة (بفتح الحاء) موضع وقعة حنين وموضع بتبوك و بين المدينة والعقيق وقبلى المدينة و بلاد عبس و بلاد فزارة و بلاد بنى القين و بالدهناء و بعالية الحجاز وقرب فيد و بجبال طى و بأرض بارق و بنجد وموضع لبنى مرة وقرب خيبر و بظاهر المدينة تحت راقم و بها كانت وقعة الحرة أيام يزيد و بالبريك فى طريق اليمن الى آخره (٥) بجيلة كسفينة حى باليمن والنسبة بجلى بفتح الباء وسكون الجيم اه قاموس

ابن عدى بن عمرو بن سبا ومن لخم (بنو الدار) رهط تميم الدارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لخم (المناذرة) ملوك الحيرة وهم بنو عمرو بن عدى بن نصر اللخمى وكانت دولتهم من أعظم دول ملوك العرب وسيأتى ذكرهم مع باقى ملوك العرب ان شاء الله تعالى (ومن القبائل المنتسبة الى عمرو بن سبا جذام ١) وهو وأخو لخم وجميع جذام من ابنيه (حزام وجشم ٢) وكان فى بنى حزام العدد والشرف ومن بطون جشم بن جذام عتيب بن أسلم

﴿ذكر بنى أشعر بن سبا﴾

وأما بنو الأشعر بن سبا فيقال لهم الأشعريون وهم رهط ابى موسى الاشعرى وهو عبد الله بن قيس

﴿ذكر بنى عاملة﴾

وأما بنو عاملة فهم أيضا من القبائل اليمانية التى خرجت الى الشام من سيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق فى جبل هناك يعرف بجبل عاملة ومن عاملة عدى بن الرقاع الشاعر انتهى ذكر أولاد سبا وهم عرب اليمن

﴿العرب المستعربة﴾

هم الذين دخلوا فى قبائل العرب وليسوا عربا فى الاصل وأخصهم ولد اسماعيل عليه السلام وسبب توجه اسماعيل الى بلاد العرب انه لما غارت سارة من هاجر أمر الله تعالى خليله ان يخرج اسماعيل وأمه هاجر ويسكنهما بالحجاز وكانت أرضا قحلة لا نبات فيها فخرج ابراهيم باسماعيل وأمه وقدم بهما الى مكة وأنزلهما بموضع الحجر حسبما أمره الله تعالى وجعلهما فى كفالة الله تعالى وقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع الآية فأنبع الله لهم ماء زمزم اكراما وأتاهم قوم من جرهم فانضموا اليهم وتعلم اسماعيل العربية منهم (وكان يتكلم بالعبرانية) وعاد ابراهيم الى الشام وبعد مدة زار الخليل ابنه ورفعا قواعد البيت ثم تزوج اسماعيل برعلة بنت مضاض (٣) سيد هم فولدت له اثنى عشر ولدا ذكرا صاروا فيما بعد اثنتى عشرة قبيلة ومنهم قيدار ٤ وماتت هاجر ودفنت بالحجر ودفن معها ابنها اسماعيل بعد ذلك وقد اختلف المؤرخون فى أمر الملك على الحجاز بين جرهم وبين اسماعيل فمن قائل كان الملك على الحجاز فى جرهم ومفتاح الكعبة وسدانتها فى يد ولد اسماعيل ومن قائل ان قيدار توجته اخواله من

(١) جزام كغراب أوله جيم مضمومة (٢) جشم كصرد احياء من مضر ومن اليمن قاموس (٣) كغراب كما فى القاموس (٤) قيدار بفتح القاف قال ابن دريد فان كان عربيا فالياء زائدة وهو فيعال من القدرة اه تاج العروس

جرهم وعقد والله الملك عليهم بالحجاز وأما سدانة البيت الحرام ومفاتيحه فكانت مع بنى اسماعيل من غير خلاف حتى انتهى ذلك الى نابت من ولد اسماعيل فصارت السدانة بعده لجرهم ويدل على ذلك قول عامر بن الحرث الجرهمى من قصيدته التى منها

وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والأمر ظاهر
كان لم يكن بين الحجون (١) الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والجدود (٢) العواثر
ملكنا فعز زنا فأعظم ملكنا * فليس لحى عندنا ثم فاخر
فأخرجنا منها المليك بقدرة * كذلك يا للناس تجرى المقادر
فبدلنا ربى بها دار غربة * بها الذيب يعوى والعدو المحاصر
أقول اذا نام الخليون لم أنم * اذا العرش لم يبعد سهيل وعامر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة * كذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكى لبلدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر
ونبكى لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام أنيسة * اذا خرجت عنه فليست تغادر

﴿ وقال أيضا ﴾

كهفنا جرهم وأية كهف * وولاة لبيته والحجاب
فسقوا فى الحرام بعدة تقاهم * واستعاضوا العقاب بعد الثواب

ثم ولد لقيدار ابنه جمل ثم ولد لجمل نبت بفتح النون وسكون الموحدة التحتية آخره مثناة فوقية ويقال له نابت وقيل ان نبت بن اسماعيل وفى ذلك خلاف كثير ثم ولد لنبت (٣) سلامان ثم ولد لسلامان (الهميسع) ابن نبت ثم ولد للهميسع (اليسع) ثم ولد لليسع (٤ أدد) ولاددا بنه (أد) ثم ولد لادا بنه (عدنان) بن أدوقيل عدنان بن أدد ثم ولد لعدنان (معد) ثم لمعد نزار (٥) ثم ولد لنزار أربعة منهم (مضر) على عمود النسب النبوى أولهم اياد وكان أكبر من مضر والى اياد بن نزار المذكور يرجع كل ايادى من بنى معد وفارق اياد (٦) الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق فمن بنى اياد كعب بن مامة الايادى وكان يضرب بجوده المثل (وقس (٧) بن ساعدة) الايادى وكان يضرب بفصاحته

(١) الحجون بفتح الحاء جبل بمعلاة مكة (٢) الجدود الحظوظ وعثر الجد تعس
(٣) بضم السين (٤) بضم الهمزة وفتح الدال (٥) بكسر النون وفتح الزاى مخففة
(٦) بكسر الهمزة وفتح الياء مخففة (٧) بضم القاف قاموس

المثل (والثانى من بنى نزار ربيعة بن نزار) ويعرف بربيعة الفرس (١) لانه ورث الخيل من مال أبيه وولد لربيعة المذكور أسد وضبيعة (٢) فولد لاسد جديلة وعنزة ومن جديلة وائل ومن وائل بكر وتغلب فمن تغلب كليب ملك بنى وائل قتله جساس فهاجت الحرب فى بنى وائل بين بنى بكر وبنى تغلب كما سيأتى ومن بكر بن وائل بنو شيبان ومن رجالهم مرة وابنه جساس قاتل كليب (وطرفة (٣) بن العبد) الشاعر ومن بكر أيضا (المرقشان) (٤) الاكبر والاصغر ومن بكر بن وائل أيضا بنو حنيفة ومنهم (مسيلمة الكذاب) وأما عنزة بن أسد بن ربيعة المذكور فمنه بنو عنزة وهم أهل خيبر ومن بنى عنزة (القارظان) (٥) وأما ضبيعة بن ربيعة فمن ولده المتلمس الشاعر ومن قبائل ربيعة النمر (٦) ولجيم (٧) والعجل (٨) وبنو عبد

---

(١) بفتح الفاء والراء (٢) كجهينة بن ربيعة بن نزار وابن أسد بن ربيعة وابن قيس ابن ثعلبة وضبيعة كسفينة بلدة باليمامة (٣) محركة بالفتح وبها لقب طرفة بن العبد واسمه عمرو وأولقب بذلك لقوله

لا تجعلا بالبكاء اليوم مطرفا * ولا أمير يكما بالدار اذ وقفا

(٤) المرقش الاكبر هو عمرو بن سعد والمرقش الاصغر هو ربيعة بن حرملة وهما شاعران شهيران وسمى المرقش الاكبر مرقشا لقوله

الدار قفر والرسوم كما * رقش فى ظهر الأديم قلم

والمرقش الاكبر هو عم المرقش الاصغر والاصغر هو عم طرفة بن العبد اه تاج

(٥) والقارظان هما بنو كرز بن عنزة وعامر بن رهن بضم الراء وسكون الهاء وكلاهما من بنى عنزة خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا فضرب بهما المثل فقالوا لا آتيك أو يؤوب القارظان يضرب فى انقطاع الغيبة وايا هما أراد أبو ذؤيب بقوله

وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وينشر فى القتلى كليب لوائل اه تاج

(٦) النمر ككتف أبو قبيلة وهو نمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة والنسبة اليه نمرى بفتح الميم استيحاشا من توالى الكسرات لأن فيه حرفا واحدا غير مكسور ومنه المثل اسق أخاك النمرى يصطبح (٧) لجيم كزبير (٨) بكسر العين وسكون الجيم قبيلة من ربيعة نسبت الى جدهم عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وقول الشاعر

علمنا اخوالنا بنو عجل * شرب النبيذ واعتقالا بالرجل

انما حرك الجيم فيه للضرورة اه تاج العروس

القيس وهم من ولد أسد بن ربيعة ومن بني ربيعة سدوس (١) واللهازم (والثالث
انمار) بن نزار ومضى انمار (٢) الى اليمن فتناسل بنوه بتلك الجهات وحسبوا من
العرب اليمانية ثم ولد لمضر الياس بن مضر على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود
النسب (قيس عيلان ٣) بن مضر وعيلان بالعين المهملة قيل فرسه وقيل كلبه وقيل
بل عيلان هو أخو الياس واسمه عيلان الياس وقيل قيس هو ابن عيلان بن مضر وقد
جعل الله تعالى لقيس المذكور من الكثرة أمرا عظيما فمن ولده قبائل هوازن ومن
هوازن بنو سعد بن بكر بن هوازن الذين كان فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيعا
ومن قبائل قيس (بنو كلاب) وصار منهم أصحاب حلب وكان أولهم صالح بن مرداس ومن
قيس قبائل (عقيل ٤) وهم الذين كان منهم ملوك الموصل المقلد وقراوش وغيرهما
ومن ولد قيس أيضا بنو عامر وصعصعة وخفاجة ومازالت لخفاجة امرة العراق من قديم
والى الآن ومن هوازن أيضا بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان ومن هوازن أيضا (جشم ٥) بن
معاوية بن بكر بن هوازن، ومن جشم (دريد بن الصمة ٦) الشاعر المشهور ومن
قيس عيلان ايضا بكر وبنو هلال وثقيف واسمه عمرو بن منبه بن بكر بن هوازن وقد قيل
ان ثقيفا من اياد وقيل من بقايا ثمود وهم أهل الطائف ومن قيس بنو نمير وباهلة ومازن
وغطفان (٧) وهو ابن سعد بن قيس عيلان ومن قيس بنو عبس (٨) بن بغيض بن
ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ومن بني عبس (عنترة العبسي) المشهور
بالشجاعة والحماسة وادعاه أبوه شداد بعد الكبر ومن قيس أشجع (٩) وهم ايضا من
ولد غطفان ومن قيس أيضا قبائل (سليم ١٠) ومن قيس أيضا بنو ذبيان بن بغيض
ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ومن بني ذبيان (بنو فزارة) ومنهم

---

(١) بفتح السين كما سبق التنبيه عليه (٢) انمار كاشجار كما سبق (٣) العيلان
الذكر من الضباع وبلا لام أبو قيس أو الصواب قيس عيلان مضافا وليس له سمي في
العرب وهو في الاصل اسم فرسه قاموس (٤) بضم العين المهملة وفتح القاف بعدها
مثناة تحتية (٥) بضم الجيم وفتح الشين المعجمة آخره ميم كما سبق (٦) بكسر الصاد
المشددة الشجاع والأسد والد دريد الشاعر قاموس (٧) غطفان محركة بالفتح حي من
قيس قاموس (٨) كفاس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان أبو
قبيلة مشهورة اه تاج (٩) على وزن أفعل بن ريث بن غطفان أبو قبيلة قاموس
(١٠) كزبير أبو قبيلة من قيس عيلان وأبو قبيلة من جذام وخمسة عشر صحابيا قاموس

حصن بن حذيفة بن بدر الذى مدحه زهير بقوله

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذى أنت سائله

وأسلم حصن ثم نافق وكان بين بنى ذبيان وبين عبس الحرب المشهورة بحرب داحس وهو اسم حصان تسابقوا به واختلفوا بسبب السباق فثارت الحرب بينهم أربعين عاما ومن بنى ذبيان أيضا النابغة الذبيانى الشاعر المشهور ومن قبائل قيس عدوان (١) بن عمرو بن قيس عيلان وكانوا ينزلون الطائف قبل ثقيف ومنهم ذو الاصبع العدوانى الشاعر انتهى الكلام على قيس بن مضر الخارج عن عمود النسب ولنرجع الى ذكر الياس بن مضر وولد الياس مدركة على عمود النسب واسم مدركة عمرو ولقب بمدركة لأنه أدرك كل عز وفخر كان فى آبائه وولد له خارجا عن عمود النسب طابخة بن الياس وبعضهم ينسب مدركة وطابخة الى أمهما خندف (٢) واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وجميع ولد الياس من خندف المذكورة واليها ينسبون دون أبيهم فيقولون بنو خندف ولا يذكرون الياس بن مضر وصار من طابخة الخارج عن عمود النسب عدة قبائل فمنهم بنو تميم بن طابخة والرباب وبنو ضبة (٣) وبنو مزينة (٤) وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة نسبوا الى أمهم مزينة بنت كلب بن وبرة ثم ولد لمدركة بن الياس خزيمة بن مدركة على عمود النسب وولد لمدركة خارجا عن عمود النسب هذيل (٥) بن مدركة ومن هذيل المذكور جميع قبائل الهذليين فمنهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو ذؤيب (٦) الهذلى الشاعر وغيره

ثم ولد لخزيمة بن مدركة المذكور كنانة بن خزيمة على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب الهون (٧) واسدا بنا خزيمة فمن الهون عضل (٨) وهى قبيلة تنسب الى أبيهم عضل ابن الهون بن خزيمة ومن الهون أيضا قبيلة الديش (٩) سموا باسم أبيهم الديش بن الهون

---

(١) عدوان كشعبان (٢) كزبرج لقب ليلى بنت حلوان وكان الياس خرج من نجعة فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها وخرج عامر فاصطادها وطبخها وانقمع عمير فى الخباء وخرجت أمهم تسرع فقال لها الياس أين تخندفين فقالت ما زلت أخندف فى أثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخندف قاموس (٣) بفتح الضاد (٤) كجهينة (٥) كشعيب بن مدركة أبو حى قاموس (٦) كشعيب (٧) بضم الهاء ابن مدركة قاموس (٨) بفتح العين المهملة والضاد المعجمة بعدها لام (٩) بكسر الدال مشددة ابن مدركة ولغة فى الديل على لغة من يقلب الدال شينا اه تاج

السابق ويقال لهاتين القبيلتين وهما عضل والديش القارة وأما أسد بن خزيمة فمنه الكاهلية ودودان بضم الدال الاولى وغيرهما واليه يرجع كل اسدى ثم ولد لكانة بن خزيمة المذكور النضر بن كانة على عمود النسب وكان النضر المذكور عدة اخوة ليسوا على عمود النسب وهم ملكان (١) وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك أولاد كانة فصار من ملكان بنو ملكان وصار من عبد مناة عدة بطون منهم بنو غفار (٢) رهط أبي ذر الغفارى الصحابى المشهور وبنو بكر ومن بنى بكر الدؤل (٣) رهط ابى الاسود الدؤلى ومن بطون عبد مناة أيضا بنو ليث وبنو الحارث وبنو مدلج (٤) وبنو ضمرة وصار من عمرو بن كانة العمريون ومن أخيه عامر العامريون ومن مالك بن كانة بنو فراس (٥) ومن بطون كانة الاحابيش وكان الحليس بن عمرو رئيس الاحابيش نوبة أحد ومن لم يقف على ذلك اذا سمع ذكر الاحابيش فى نوبة أحد ظن أنهم من الحبشة وليس كذلك بل هم عرب من بنى كانة وهؤلاء اخوة النضر بن كانة وأما النضر المذكور فقد قيل انه قريش والصحيح ان قريشا هم بنو فهر الذى سنذكره وولد للنضر المذكور مالك على عمود النسب ولم يشتهر له ولد غيره ثم ولد لمالك فهر على عمود النسب وفهر المذكور هو قريش (٧) عند الاكثر فكل من كان من ولده فهو قرشى ومن لم يكن من ولده فليس قرشيا وقيل سمى قريشا لشدته تشبيها له بدابة من دواب البحر يقال لها القرش تأكل دواب

---

(١) محركة بالفتح ابن هرم وابن عباد فى قضاعة ومن سواهما فى العرب فبالكسر قاموس (٢) غفار ككتاب قاموس (٣) الدئل بالضم وكسر الهمزة فى كانة رهط أبى الاسود وبضم الهمزة أبو قبيلة فى الهون والنسبة دؤلى ودولى بفتح عينهما وديلى ودئلى بكسرتين نادر وبفتح الهمزة نسبة الى دئل كعنب وهى قبيلة أخرى غير المتقدمة قاموس (٤) بضم الميم وسكون الدال بعدها لام مكسورة قاموس

(٥) ككتاب (٦) كز بير بن علقمة سيد الاحابيش وابن صيفى والحصى صحابيان قاموس (٧) قال فى القاموس سموا قريشا لتجمعهم الى الحرم أولأنهم كانوا يفتشون التجار فيشترونها أولان النضر بن كانة اجتمع فى ثوبه يوما فقالوا تقرش من قرشه اذا جمعه وضم بعضه الى بعض أولأنه جاء الى قومه فقالوا كانه جمل قريش أى شديد أولأن قصيا كان يقال له قريش أولأنهم كانوا يفتشون على حاجة المحتاج فيسدون خلتها أو سميت بمصغر القرش بكسر القاف وسكون الراء وهى دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها أو سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة قرشى وقريشى قاموس

البحر وتقهرها كما قيل

وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحـ * ـر على سائر الوحوش جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك فيه لذي الجناحين ريشا

وقيل ان قصي بن كلاب لما استولى على البيت وجمع اشتات بني فهر سموا قريشا لأنه قرش بني فهر أي جمعهم حول الحرم فقيل لهم قريش كذا نقله ابن سعيد المغربي فعلى هذا يكون قريش اسما لبني فهر لا لفهر نفسه وقيل غير ذلك ولم يولد لمالك غير فهر المذكور على عمود النسب وولد لفهر غالب على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب ولدان وهما محارب والحارث ابنا فهر فمن محارب بنو محارب ومن الحارث بنو الحلج (١) ومنهم أبو عبيدة عامر بن الجراح أحد العشرة رضي الله عنهم ثم ولد لغالب لؤي (٢) على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب تيم الأدرم والأدرم الناقص الذقن ومن تيم المذكور بنو الادرم ثم ولد للؤي المذكور ستة أولاد وهم كعب على عمود النسب واخوته الخمسة خارجون عن عمود النسب وهم سعد وخزيمة والحرث وعامر واسامة أولاد لؤي بن غالب ولكل منهم ولد ينسبون اليه خلا الحرث ومن ولد عامر ابن لؤي عمرو بن عبدود (٣) فارس العرب الذي قتله علي بن أبي طالب في الاسلام في غزوة الاحزاب كما سيأتي ثم ولد لكعب مرة على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب هصيص (٤) وعدي ابنا كعب فمن هصيص بنو جمح (٥) ومن مشاهيرهم امية بن خلف عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه أبي بن خلف وكان مثله في العداوة ومن هصيص أيضا بنو سهم ومن بني سهم (٦) عمرو بن العاص ومن عدي بن كعب بنو عدي ومنهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد من العشرة رضي الله عنهم ثم ولد لمرة على عمود النسب كلاب (٧) وولد له خارجا عن عمود النسب تيم ويقظة (٨) ابنا مرة

---

(١) والحلج بضمتين قوم من العرب كانوا من عدوان فألحقهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالحارث بن مالك بن النضر والمرتعد والابدان والقوم المشكوك في نسبهم قاموس (٢) بالهمزة أكثر من تركها (٣) بالفتح ويضم (٤) كزبير (٥) بكسر الجيم وسكون الميم من قريش وهم بنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي اه تاج (٦) كمنبر قاموس كسحاب (٧) بالتحريك والفتح وفيه يقول الشاعر

جاءت قريش تعودني زمرا * وقد وعى أجرها لها الحفظه
ولم يعدني سهم ولا جمح * وعادني الغر من بني يقظه

فمن تيم بنو تيم ومنهم أبو بكر الصديق وطلحة من العشرة رضى الله عنهم ومن يقظة بنو مخزوم نسب خالد بن الوليد وأبى جهل بن هشام واسمه عمرو بن (١) هشام المخزومى ثم ولد لكلاب (٢) قصى (٣) بن كلاب على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب زهرة (٤) بن كلاب ومنه بنو زهرة نسب سعد بن أبى وقاص أحد العشرة ونسب آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسب عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وقصى المذكور كان عظيما فى قريش وهو الذى ارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة كما سبق وائل مجدهم ثم ولد لقصى المذكور عبد مناف بن قصى على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب عبد الدار وعبد العزى ابنا قصى فمن عبد الدار بنو شيبة الحجبة ومن ولد عبد الدار النضر بن الحرث وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا يوم بدر ومن ولد عبد العزى بن قصى الزبير بن العوام أحد العشرة ومن ولد عبد العزى أيضا خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم ومن بنى عبد العزى أيضا ورقة بفتح الراء ابن نوفل ابن سد بن عبد العزى بن قصى وولد لعبد مناف هاشم على عمود النسب واسم هاشم عمرو العلا لعلو مرتبته ولقب بهاشم لهشمه الثريد للناس فى مجاعة اصابتهم قال الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مقفرون عجاف

وولد له خارجا عن عمود النسب عبد شمس والمطلب ونوفل فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية ومنهم عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ومعاوية بن أبى سفيان ابن حرب بن أمية وسعيد بن العاص بن أمية وعقبة بن أبى معيط (٥) بن أبى عمرو بن أمية وعتبة (٦) بن ربيعة بن عبد شمس وبنت عتبة المذكور هند أم معاوية وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم عقبة صبرا يوم بدر ومن المطلب بن عبد مناف المطلبيون ومنهم الامام الشافعى رضى الله عنه ومن نوفل النوفليون ثم ولد لهاشم عبد المطلب على

لا يبرح العز فيهما أبدا * حتى تزول الجبال من قرظه

(١) ككتاب (٢) واسمه حكيم وقيل روعة ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد وكان أكثر صيده بالكلاب (٣) واسم قصى زيد وقيل يزيد ولقب بقصى لأنه قصى أى بعد عن عشيرته وكان لقصى فى الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرفادة والندوى وهى الشورى فكان لا يتم أمرا الا فى بيته ولا تعقد راية لحرب الا بيده كما سبق (٤) بضم الزاى وسكون الهاء (٥) كزبير أو كأمير أبو حى من قريش منهم المعيطى أحد أئمة المالكية من تاج العروس (٦) بضم العين وسكون التاء

عمود النسب ولم يعلم لهاشم ولد غيره واسم عبد المطلب شيبة الحمد قيل لانه ولد وفى رأسه شيبة مع رجاء حمد الناس له وانما قيل له عبد المطلب لان عمه المطلب أردفه خلفه وكان بثياب رثة فصار يقول لكل من يسأله عنه هو عبدى حياء من أن يقول هو ابن اخى وولد لعبد المطلب عبد الله على عمود النسب وولد له خارجا عن عمود النسب جميع اعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم حمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق (١) ومنهم من يقول هو حجل والحارث (٢) وحجل (٣) والمقوم وضرار (٤) والزبير (٥) وتم (٦) مات صغيرا وعبد الكعبة ومنهم من يقول ان عبد الكعبة هو المقوم ثم ولد لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عام الفيل كما سيأتى ولم يولد له سواه

﴿ذكر ملوك العرب قبل الاسلام﴾ (٧)

قد كانت جزيرة العرب فى غابر الازمان منقسمة الى دول متفرقة وملوك كثيرة ومن أعظم ملوكها وأشهرد ولها أيام نشأتها ملوك اليمن ودولتهم حيث كان لهم شهرة عظيمة حتى ذكرهم مؤرخو اليونان والرومان كما سبق التنبيه عليه وان كانت أخبارهم سقيمة بالنسبة لتقادم عهدهم عنا وانه لم يصل الينا من صحيح اخبارهم الا النزر اليسير وقد قسمت ملوك اليمن الى دولتين الدولة الاولى وهى دولة الحميريين غير التبابعة والدولة الثانية وهى دولة التبابعة منهم

﴿ذكر ملوك الدولة الاولى﴾

أول من ملك منهم قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام حسبما فى التوراة وهو جد ملوك اليمن وكان ملكه نحو سنة ١٨٤٥ قبل الميلاد قال ابن سعيد المغربى فى كتابه انه بعد تبلبل الالسنة وتفرق بنى نوح فأول من نزل من اليمن قحطان بن عابر وتملك فيها ولبس التاج واتخذ صنعاء تختا لملكه انتهى وكان عادلا محمود السيرة والسريرة حسن

---

(١) الغيداق بفتح الغين المعجمة لقب به لكثرة جوده لانه كان أجود قريش وأكثرها طعاما ومالا واسمه مصعب وقيل نوفل اه من السيرة الحلبية (٢) بفتح الحاء وسكون الجيم لقبه واسمه مغيرة كذا فى القاموس وفى السيرة الحلبية حجل بتقديم الجيم على الحاء والحجل السقاء الضخم وقيل بتقديم الحاء المفتوحة على الجيم والحجل بالفتح والكسر الخلخال اه من السيرة الحلبية (٣) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة (٤) بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء مفتوحة (٥) الزبير كامير (٦) كزفر (٧) (انظر ابن خلدون وأبا الفدا وتاريخ فنديك فى ملوك حمير)

السياسة فى الرعية قادرا على تدبير الملك مع كثرة السماحة والجود ولذا قال فيه بعض مادحيه

فما مثل قحطان السماحة والندى * ولا كابنه رب الفصاحة يعرب

ولما انقضى عهد قحطان ومات قام بالملك بعده ابنه يعرب وكان من الملوك الموصوفين بالاقدام والشجاعة وكثرة الفتوحات ووفرة العمران

وفى السنة الاولى من حكمه غزا بلاد الحجاز فقهر أهلها وتغلب عليها وأسر عدة من ملوكها وضرب عليهم اتاوة سنوية يدفعونها وولى عليها أخاه جرهما ثم رجع ظافرا منصورا فأحبته الرعية ورفعت منزلته وهو الذى طرد بقية عاد من اليمن وأزال دولتهم الثانية

قال ابن خلدون نقلا عن البيهقى ان يعرب بن قحطان لما غلب عادا على اليمن وملكه من أيديهم ولى اخوته على الاقاليم وولى أخاه جرهما على الحجاز الخ

ولما استقر به المقام فى صنعاء وجه معظم همته الى تشييد المبانى العظيمة والمدائن الرفيعة والحصون المنيعة وعلى عهده عظم شأن اليمن واتسع نطاق الملك وهو أول من حياه قومه بتحية الملك وهى أبيت اللعن وانعم صباحا وأول من نطق بالعربية من قومه وتعلمها من البائدة وكان من الفصاحة والبلاغة بمكان عظيم وهو الذى ذكره حسان بن ثابت الانصارى بقوله

تعلمتموا من منطق الشيخ يعرب * أبينا فصرتم معربين ذوى نفر

وكنتم قديما مالكم غير عجمة * كلام وكنتم كالبهائم فى القفر

والظاهر انه كان عظيم السلطان فاستولى على اليمن والحجاز وحضرموت وشحر وعمان وقال بعض المؤرخين ان يعرب لقب غلب عليه وان اسمه يمن أو يمن وبه سميت البلاد والصحيح غير ذلك وان البلاد سميت يمنا لميمنها وبركتها أو لوقوعها على يمين الكعبة عند استقبال المشرق كما سبق ومدة حكمه ٣٣ سنة

ولما احتضر دعا بنيه وأوصاهم بهذه الوصية أوصيكم بحسن السيرة والسلوك بين الرعية وان تتعلموا العلم وتعملوا به واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا اليه فانه داعية القطيعة بينكم وتجنبوا الشر وأهله فان الشر جالب للشر وانصفوا الناس من أنفسكم فانهم ينصفونكم من أنفسهم واجتنبوا الكبرياء فانها تبعد قلوب الرجال عنكم وعليكم بالتواضع فانه يقربكم من الناس ويحببكم اليهم واذا استشاركم أحد فأشيروا عليه بما

(١) النفر التفرق والنفر القوة والنفر القوم ينفرون معك ويتناصرون فى القتال واستنفرهم فنفروا أى استنصر بهم فنصروه

تشيرون به على أنفسكم فى مثل ما استشاركم فيه فانها أمانة قد القاها فى أعناقكم اه
وملك بعده ابنه يشجب ولم يكن مثل أبيه فى الحزم والقوة بل كان ضعيف الرأى واهن العزيمة كثير الغفلة متساهلا فى المعاقبة على الذنوب ولذا طمعت فيه الرعية وخرج عليه بعض من ولاهم أبوه على البلاد فقهروه ولم يكن له عمل يذكر ولا قول يؤثر
وتملك بعده ابنه عبد شمس ولقب بسبا لكثرة غزوه وقيل ولأنه أول من سن السبى فى العرب وكان ملكا عظيم الشان قوى السلطان عالى الهمة كثير المغازى والفتوحات غزا غزوات كثيرة وافتتح مدنا حصينة وعاد بالسبايا الى بلاد اليمن وهو الذى أغار على بابل وافتتحها وفيه قال الشاعر

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها * الى الغرب منها عبد شمس بن يشجب
سعى بالجياد (١) الاعوجية والقنا * الى بابل فى مقنب (٢) بعد مقنب

وقيل انه غزا الديار المصرية وأخذ منها غنائم كثيرة وحمل السبايا الى بلاده وأسر منها عشرة آلاف أسير ولم يتيسر ذلك لأحد من ملوك العرب غيره وهو الذى شيد مدينة مأرب (٣) وبنى سدها المشهور (٤) وفجر اليه سبعين نهرا وساق اليه السيول من أمد بعيد

---

(١) الضامر من الابل والخيل واعوج فرس سابق ركب صغير انتسب اليه الاعوجيات قال الازهرى الاعوجية منسوبة الى فحل كان يقال له اعوج يقال هذا الحصان من بنات أعوج وفى حديث أم زرع ركب اعوجيا أى فرسا منسوبا الى أعوج وهو فحل كريم تنسب اليه الاعوجيات اه تاج (٢) المقنب كمنبر من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين أو زهاء ثلاثمائة (٣) بفتح الميم بعدها همزة مفتوحة ممدودة هذا هو المشهور وفى الصحاح بفتح الميم وهمزة ساكنة وراء مهملة مكسورة وفى آخرها باء موحدة وبين مأرب وصنعاء ثلاث مراحل وقيل أربع وقد خربت وكانت من عواصم بلاد اليمن وموقعها فى آخر جبال حضرموت وتسمى مدينة سبا أيضا باسم بانيها اه من تقويم البلدان لأبى الفدا

(٤) وقيل ان الذى بنى السد بلقيس فخزنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على قدر ما يحتاجون اليه فى سقيهم وهو الذى يسمى العرم وقيل ان الذى بناه هو حمير أبو القبائل اليمانية وفى ذلك يقول الاعشى

ففى ذلك للمؤتسى اسوة * مأرب غطى عليه العرم
رخام بناه لهم حمير * اذا جاء من رامه لم يرم

وقيل بناه لقمان الاكبر ابن عاد كما قاله المسعودى وجعله فرسخا فى فرسخ وجعل له ثلاثين

وهو أول من خطب على الجماعة فى الجاهلية وعظم أمر سبأ جدا فقهر العصاة وفتح البلاد حتى ضرب به المثل فى التفريق فقيل (تفرق القوم أيدى سبا) وكان له أولاد كثيرة أشهرهم حمير وكهلان ومن الاول بنو حمير بكسر الامصار ومن الثانى بنو كهلان سكان الوبر واستقل ملوك بنى حمير باليمن حتى فتحها الحبشة كما سيأتى قال فى أقرب الموارد سبا أبو امة قبائل اليمن والمثل تفرق القوم أيدى سبا أى تبددوا تبددا لا اجتماع بعده وذلك لأن الله أرسل على تلك الارض السيل فأغرقها وأذهب جناتها فانتزع سبا وقومه وتبددوا فى البلاد فضرب به المثل فى التفريق وقيل المراد بايدى سبا وايديه جنوده لانه كان يسطو بهم ويفرق بهم جنود الاعداء اه وهذا هو الاقرب والأحسن فى توجيه المثل لان التوجيه الاول مردود عليه بدليل ان سيل العرم لم يحصل فى أيامه فان سبا هو الملك الرابع من ملوك اليمن وكان ملكه بين القرن السابع والثامن قبل الميلاد وسيل العرم الذى أغرق تلك البلاد حدث فى القرن الاول أو الثانى بعد الميلاد فكيف يصح أن يكون سبا أبو عامة قبائل اليمن هو الذى تبدد مع قومه فى البلاد بسبب سيل العرم اللهم الا أن يكون ذلك التبدد كان لأولاده لا له وكان ملك سبا خمسا وثلاثين سنة ولما هلك سبا ملك بعده ابنه حمير ويقال انه أول من تتوج بالذهب وهو الذى أخرج ثمود من اليمن الى الحجاز وسمى بحمير لكثرة لبسه من الثياب الحمر واسمه عمر نجج (١) وعاش عمر اطويلا وبنى مدنا كثيرة وفتح بلادا عديدة حتى بلغ حكمه على ما قيل الى حدود الصين وكانت الملوك من بعده تضع على تيجانها خرزا بعدد سنى حكمهم أى انهم يضعون لمضى كل سنة من حكمهم خرزة ويزيدون عليها هكذا وكان ملكه ٨٥ سنة

وملك بعده ابنه وائلة ويقال له وائل أووائل وزعم أبو الندا انه أخوه لا ابنه ولم يذكر عنه شئ ثم ملك بعده ابنه السكاسك (٢) وكان عمه مالكا قد تملك على ملك عمان فى مدة أبيه

شعبا والصحيح ماذكرناه من ان الذى بناه هو سبا ولا مانع من ان يكون قواه غيره من الملوك الذين قد أتوا بعده ممن نسب اليهم بناؤه فان مثل هذا البناء العظيم لا يستقل به واحد كما نص عليه ابن خلدون فراجعه

(١) كسفرجل وهو بعين مهملة وراء ونون وجيمين وعمر نجج جد فى الامر قبل ومنه اخذ اسم العرنجج قاموس (٢) واسمه زيد ولقب بالسكاسك لقوته وشجاعته مأخوذ من السكسكة بمعنى الشجاعة لانه كان شجاعا فدرد البلاد التى أخذت من أبيه بحزمه وشجاعته كذا فى تاج العروس وقد وهم بعض المؤرخين فسماه بالسكسك والصحيح ان هذا هو السكاسك وان سكسك بن اشرس هو الذى سبق فى كندة

وائلة ومات عمه مالك واستولى ابنه قضاعة على ملك عمان كابيه فحاربه السكاسك وأخرجه منها والى السكاسك هذا تنسب سكاسك حمير وهم غير سكاسك كندة على الصحيح (١) ولما مات السكاسك ملك بعده ابنه يعفر فحاربه بنو قضاعة وتغلبوا على ملك اليمن وتولى عليه ذو رياش عامر بن بازان بن عوف بن حمير ثم نهض من بني وائل النعمان بن يعفر بن السكاسك بن وائل بن حمير واجتمع عليه الناس وطرد عامر بن بازان عن الملك وقيل انه لما مات يعفر لم يكن النعمان قد بلغ الحلم وقيل بل كان جنينا في بطن أمه وولد بعد أبيه بأربعة أشهر وكان على سرير الملك عامر المذكور الملقب بذي رياش أي ذي اللباس الفاخر لانه كان يلبس لباسا يشبه ريش الطائر في نعومته وافتخاره فلما استقر له الامر وأطاعه الناس واشتهر ذكره في البلاد ظن أنه لم يبق له منازع فعزم على قتل ابن الملك طمعا في الملك أن يكون لأعقابه من بعده فلما بلغ أعيان حمير ما عزم عليه أنكروا عليه ذلك وخلعوا طاعته واجتمعوا الى النعمان وبايعوه بالملك وحدث بينه وبين ذي الرياش وقائع كثيرة قتل فيها خلق كثير وكانت العاقبة للنعمان فانهزم ذو الرياش شر هزيمة وكان آخر العهد به وكانت مدة اقامته على سرير المملكة اثنتي عشرة سنة ولما انقضى عهد عامر عاد الملك الى النعمان بن يعفر وكان من أعقل ملوك اليمن وأكملهم رأيا وأكثرهم تدبيرا وأعظمهم فطنة وكان صادق المهيباذا جبروت وسطوة غزا غزوات كثيرة ورجع ظافرا منصورا وقد لقب بالمعافر لقول الشاعر فيه

اذا أنت عافرت الامور بقدرة * بلغت معالي الأقدمين المقاول

(٢) والمقاول لفظه جمع وهم الذين يلون الجهات الكبار من اليمن وكان ملكه أربعا

---

(١) قال في القاموس السكاسك بفتح السين الاولى مشددة وسكون الكاف وفتح السين الثانية آخره كاف هو ابن وائلة واسمه زيد والسكاسك حي باليمن جدهم القيل سكسك ابن اشرس أو السكاسك بن وائلة قال شارحه وهذا وهم والصواب كما حققه النسابة الجواني وغيره من الائمة انهما قبيلتان الاولى من كندة والثانية من حمير وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير ولقب زيد بالسكاسك لقوته واليه تنسب سكاسك حمير وهم غير سكاسك كندة والنسبة سكسكي وكلاهما باليمن وتدوهم المصنف في جعلهما واحدا اه

(٢) المقاول جمع مقول كمنابر ومنبر قال في القاموس والمقول كمنبر اللسان والملك أو من ملوك حمير يقول ما شاء فينفذ وجمعه مقاول وقيل هو دون الملك الاعلى فهو في حمير كالوزير في الاسلام قاموس

وأربعين سنة ثم ملك بعده ابنه السمح وهو لقب غلب عليه لسماحته وكرم أخلاقه ولم يؤثر عنه ما يستحق الذكر ثم ملك بعده شداد بن عاد بن الملطاط بن سبا وهو الذى جمع الملك وغزا البلاد الى أقصى المغرب وبنى المدائن والمصانع وأبقى الآثار العظيمة والخبيرات العميمة وملك بعده أخوه لقمان بن عاد وكان عادلا شجاعا حازم الرأى وعاش عمرا طويلا ولم يصل الينا من تفصيل سيرته ما يسطر ثم ملك بعده أخوه ذو سدد (١) وقيل ذو سداد ولم نقف على شئ من تفصيل أخباره وتحقيق آثاره ثم ملك بعده ابنه الحارث وكان يلقب بالرائش لانه كان يلبس ثيابا لطيفة تشبه فى نعومتها وحسنها ريش الطائر كما سبق ولانه كان قد غزا البلاد فاصاب الغنائم وأدخلها أرض اليمن فراش الناس فى أيامه وجمعوا المال والأثاث ثم ملك بعده ابنه الصعب الملقب بذى القرنين لضفيرتين كان يرسلهما من شعره الى قرنيه أى جانبى رأسه وكان هذا الملك كثير المغازى والفتوحات ولعله هو المذكور فى الكتاب العزيز كما نقله الفخر فى تفسيره عن أبى الريحانى فى كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية انه من ولد حمير واسمه أبو كرب وهو الذى افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول

قد كان ذو القرنين جدى مسلما * ملكا علا فى الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغى * أسباب ملك من كريم مرشد
فرأى مآب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب (١) وثأطة حرمد

ويؤيده ما نقله ابن سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن ذى القرنين الذى ذكره الله فى كتابه فقال هو من حمير وهو الصعب المذكور وليس بالاسكندر الرومى فيكون ذو القرنين المذكور فى الكتاب العزيز هو الصعب بن الرائش لا الاسكندر الرومى كما نص عليه أبو الفدا فى تاريخه وصاحب المال والنحل وغيرهما وان استظهر الفخر انه الاسكندر الرومى ابن فيلبش حيث قال بعد ذكره للقولين والظاهر الاول اى انه الرومى لأجل الدليل الذى ذكرناه وهو ان مثل هذا الملك العظيم يجب أن يكون معلوم الحال عند أهل الدنيا والذى هو معلوم الحال بهذا الملك العظيم هو الاسكندر المقدونى فوجب ان يكون المراد بذى القرنين هو هو الا ان فيه اشكالا قويا وهو انه كان تلميذ

(١) السدد محركة القصد والاستقامة كالسداد بالفتح الاول مقصورا من الثانى يقال قولا سددا وسدادا وسديدا أى صوابا قال الاعشى

ماذا عليها وماذا كان ينقصها * يوم الرحيل ولو قالت لنا سددا اه تاج

(٢) أى عين حمئة والثأطة الحمئة أيضا اه

ارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه وتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطاليس (١) حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه اه والله أعلم ثم ملك بعده ابنه ذو المنار ابرهة (٢) وكان كثير المغازى والحروب أيضا وغزا بلاد السودان وقهر أهلها وأدخلهم تحت طاعته وهو أول من ضرب المنار فى طريقه فى مغازيه ليهتدى بها فى رجوعه ولذا لقب بذى المنار ثم ملك بعده ابنه افريقش (٣) وكان كثير المغازى والفتوحات وهو الذى غزا أرض المغرب وبنى بها مدينة عظيمة وشن الغارات فى تلك البلاد الى أقصى العمران وبه سميت أفريقيا وقد ساق البربر اليها من أرض كنعان مر بها لما غلبهم يوشع عليه السلام عليها وهم أهل بعثته فغزاهم وساقهم الى افريقيا وأنزلهم بها وقتل ملكها وكان يقال له جرحيرا ويقال ان افريقش هذا هو الذى سمى البربرة بهذا الاسم لأنه لما سمع لغتهم قال ما أكثر بربرتهم فسموا البربرة لذلك لأن البربرة فى لسان العرب هى اختلاط أصوات غير مفهومة ومنه بربرة الاسد ولما رجع بعد ان فتح المغرب ترك به قبائل من العرب كصنهاجة وكتامة فهم به الى الآن وليسوا من البربر وقد طالت مدة حكم هذا الملك كثيرا ثم مات (وملك بعده أخوه ذو الاذعار (٤) عمرو بن ذى المنار) قال ابن هشام لقب به لكثرة ما ذعر الناس منه لجوره عليهم وتخويفه لهم وقيل لقب بذلك لأنه حمل النساس الى بلاد اليمن فذعر الناس منه أولا لأنه غزا بلاد المغرب وسبى قوما وحشية الاشكال وجوههم فى صدورهم فذعر الناس منهم وكان عمرو ظلوما جافيا كثير الكبرياء والتجبر قبيح السيرة وكان أبوه ابرهة ذو المنار قد أوصاه عند موته بحسن السلوك والعدل بين الرعية والاحسان

---

(١) وكتب شيخنا العلامة الشيخ محمد عبده حفظه الله بخطه هذه العبارة كان مذهب ارسطو توحيد الله وتنزيهه عن مخالطة المادة وكان أقرب المذاهب اليونانية الى الحق فقد كان اليونانيون وثنيين وقام بينهم سقراط وافلاطون وارسطو يدعون الى التوحيد اه وعبارته ليست نصا فى ان هؤلاء الحكماء كانوا على التوحيد الخالص من شوائب الوثنية فان مذهب ارسطاطاليس مشهور مذكور فى الملل والنحل مردود عليه كما أبان ذلك فى درسه حفظه الله حيث قال وهؤلاء الحكماء ولو انهم كانوا يدينون بتوحيد الله تعالى وتنزيهه عن مخالطة المادة فانهم كان لهم فى عبادات تجعل مذاهبهم مشوبة بالوثنية (٢) ابرهة بفتح الهمزة وسكون الباء وفتح الراء (٣) افريقش بفتح الهمزة وسكون الفاء وكسر الراء بعدها ياء ساكنة وقاف مكسورة وشين قاموس

(٤) بفتح الهمزة وسكون الذال

الى لقريب والغريب وقال فيما أوصاه

يا عمرو انك ماجهلت وصيتى * اياك فاحفظها فانك ترشد
يا عمرو لا والله ماساد الورى * فيما مضى الا المعين المرشد
يا عمرو من يشرى العلى بنواله * كرما يقال له الجواد السيد
كل امرئ يا عمرو حاصد زرعه * والزرع شئ لا محالة يحصد
واصل ذوى القربى وحطهم انهم * بهم وتذل الابعدين وتكمد
احسن الى كل الأنام تسودهم * فالمرء بالحسنى له يستعبد

فلم يكترث بوصيته وتمادى فى البغى والجور وبالغ فى نكاية الرعية حتى كرهته حمير وخلعت طاعته وكان ملكه عشر سنين

(ثم ملك بعده شرحبيل) بن عمرو بن غالب بن لمنتاب بن زيد بن يعفر ابن السكاسك بن وائل بن حمير بعد قتال شديد بينه وبين ذى الاذعار قتل فيه كثير من العرب وكان عاقلا شجاعا شديد البأس والتجبر وهو الذى بنى قصر غمدان بظاهر صنعاء باليمن وله غرف شهيرة يسمونها المحاريب وهو محكم البناء بديع الصنع عجيب الارتفاع له سبع طبقات وفيه مالا يوصف من الزخارف والصنائع البديعة وكان مقام شرحبيل فى مدينة ماءرب الى الجنوب الشرقى من صنعاء فلما بنى هذا القصر اقام فيه مابقى من عمره ثم صار بعده دار الملوك اليمن وكانت مدة ملكه عشرين سنة

(ثم ملك بعده ابنه الهدهاد) ويقال له اليشرح ولم يكن ملتفتا لأمر الملك بل كان منهمكا فى اللذات والملاهى غافلا عن أحوال الرعية وملك ستة أو عشرا من السنين فيما قاله المسعودى

ثم ملكت بعده ابنته بلقيس التى اجتمعت بسليمان عليه السلام وكان من شأنها ما كان مما قصه الله فى القرآن واسم بلقيس بلقمة (١) وقيل بلقمة اسم أمها وهى بلقمة بنت عمرو بن عمير وقيل اسم أمها راحة بنت السكر وهى من العرب على الصحيح وقال بعض الرواة انها جنية وذكر فى قصتها خرافات كثيرة نقلها ابن الاثير وانتقد عليها وشنع على قائليها كثيرا لما أتوه من الأشياء الخارجة عن حد التعقل وقال ان سبب ملكها اليمن ان أباها قد فوض لها الأمر بعده فولت اليمن وقيل بل مات من غير وصية بالملك لأحد فاقام الناس ابن أخ له وكان فاحشا خبيثا فاسقا لا يبلغه عن بنت قيل ولا ملك ذات جمال الا أحضرها وفضحها حتى انتهى الى بلقيس بنت عمه فاراد ذلك منها فوعدته

(١) بلقيس بكسر الباء وسكون اللام وكسر القاف بعده ياء ساكنة ثم سين قاموس

أن يحضر عندها الى قصرها وأعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل عليها وانفرد بها فلما دخل عليها وثبا عليه فتتلاه فلما قتل أحضرت وزراءه فقررتهم وقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته ثم أرتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى بغيرك فملكوها وقيل ان أباها لم يكن ملكا وانما كان وزير الملك وكان الملك خبيثا قبيح السيرة يأخذ بنات الأقيال والاعيان والاشراف وانها قتلته فملكها الناس عليهم اه والاول أرجح حيث قد عد أبوها من ملوك اليمن فى أغلب كتب المؤرخين ولما وصلت الى سليمان عليه السلام الذى كان قد آتاه الله ملكا كبيرا وكان من ضمن ملكه مملكة بنى اسرائيل وكان مقامه فى بيت المقدس بارض الشام ورأت ما هو عليه من هيبة الملك وقوة السلطان وعاينت منه المعجزات الباهرة ورأت دلائل نبوته الظاهرة وسمعت ما يدعو اليه من التوحيد آمنت به وصدقته وندمت على ما كان منها فى الجاهلية قال تعالى حكاية عنها قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وأقامت عنده زمنا طويلا وقيل انه تزوج بها (١ ثم قام ذو الاذعار) الذى كانت خلعت طاعته حمير وجيش جيوشا كثيرة واستظهر على ملك اليمن واستولى على كرسيه فلما أخبرت بلقيس بذلك رجعت اليه وانتزعت الملك منه بعد قتال شديد وقيل انه قهر بلقيس أخيرا وتغلب عليها ثم تزوج بها فأقامت معه شهرا وسقته سما فمات وعاد الملك اليها وكانت هذه الملكة من أجل النساء وجها وأحسنهن عقلا وأدبا وكانت عادلة تحب الانصاف وتكره الظلم وكانت مدة ملكها ثلاث عشرة سنة وقال أبو الفدا انها ملكت عشرين سنة

ثم ملك بعدها عمها مالك وكان يلقب بناشر النعم (٢) لانعامه على الناس بما جمع من أمرهم وقوى من ملكهم وفى السنة الاولى من ملكه غزا بلاد المغرب وتوغل فيها حتى انتهى على ما قيل الى وادى الرمال فلما دخل جيشه الى تلك الجهات الكثيرة الرمل عصفت عليهم ريح شديدة فأبادت جانبا عظيما من عسكره فقفل راجعا من حيث أتى ونصب فى أول مسالك تلك البقاع عمودا من النحاس وأقام عليه تمثالا من النحاس

---

(١) وقيل بل عزلها فى التأيم فتزوجت سدد بن زرعة بن سبأ وأقاموا فى ملك سليمان وابنه أربعا وعشرين سنة كما قاله ابن خلدون (٢) لفظين مركبين جعلا اسما واحدا كما ضبطه الجرجانى وقال السهيلى ناشر بن عمرو ويقال له ناشر النعم وهذا على القول بان الذى ملك بعد بلقيس هو ناشر بن عمرو بن ذى الاذعار وقال هشام بن الكلبى ان ملك اليمن صار بعد بلقيس الى ناشر بن عمرو بن يعفر والاول أصح اه من ابن خلدون

أيضا وكتب على صدره بالخط الحميرى هذه الكتابة (هذا الصنم لياسر أنعم الحميرى ليس وراءه مذهب فلا يتكلف أحد ذلك فيه تطب) وعاد الى بلاده سالما وأقام فى المملكة ما بقى له من الحياة حتى توفاه الله تعالى وكانت مدة ملكه خمسا وثمانين سنة

ثم ملك بعده ابنه شمر يرعش (١) وقيل انه ابن افريقش بن ابرهة وكان من أشد ملوك العرب عزيمة وأنفذهم كلمة وأعلاهم همة وأقواهم جاشا وكان كثير الغزوات والحروب وأول غزوة غزاها كانت ببلاد المشرق فدخل بجيش كثير أرض العراق ثم ارتحل عنها قاصدا بلاد الصين وجعل طريقه على بلاد فارس فدوخها وهدم كثيرا من المدائن والمعاقل وأسر ملكهم قباذ ودخل مدينة السغد (٢) فخربها ولذا قيل لها بالفارسية شمركند اى شمر أخربها ثم عربت الى سمرقند بفتح السين والميم واسكان الراء واسكان الميم وفتح الراء لحن كما فى القاموس وهى من المدن المشهورة فى بلاد فرغانة وقد وجد فى بعض قصورها عمود كتب عليه بالقلم المسند هذا مابناه شمر يرعش اسيدته الشمس ووجد بها أيضا باب مصفح بالحديد عليه كتابة بالحميرية معناها من صنعاء الى سمرقند ألف فرسخ ولما استخلص بلاد فارس صار منها طالبا بلاد الصين فلما بلغها قاده الخبراء الى فلوات معطشة مهلكة بعيدة عن الماء فأجهدهم العطش وهم يجدون السير فى طلب الماء ولا يدركونه حتى هلكوا جميعا وهلك شمر يرعش

قال ابن خلدون وذكر بعض الاخباريين انه ملك بلاد الروم وانه الذى استعمل عليها الماهان فيصر فهلك وملك بعده ابنه دقيوس ونقل ابن خلدون أيضا ان شمر هذا ملك مائة وستين سنة وفيه بعد والذى عليه الاكثر ان مدة ملكه سبع وثلاثون سنة

(ثم قام بالملك بعده ابنه أبو مالك) وكان قد عزم على المسير الى بلاد الصين للاخذ بثار أبيه فبلغه خبر وجود معدن من الزمرذ فى بلاد المغرب فطمع فيه وسار بجم غفير طالبا ذلك المعدن فأدركته المنية فى الطريق ومات جانب عظيم من عسكره وفيه يقول الشاعر

وخان الزمان أبا مالك * وأى امرئ لم يخنه الزمان

وبموته انتقل الملك من ولد حمير بن سبا الى ولد أخيه كهلان فملك منهم عمران بن عامر الأزدى وكان من أرباب الكهانة وهو عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن

---

(١) شمر كذا فى متن وفى القاموس ذو مرعش كمقعد ملك من ملوك حمير بلغ بيت المقدس فكتب عليه باسمك اللهم آله حمير أنا ذو مرعش الملك بلغت هذا الموضع ولم يبلغه أحد قبلى ولا بعدى وسمى بذلك لارتعاش كان به اه تاج (٢) بضم السين وسكون الغين كما فى القاموس

ابن الازد والازد من ولد كهلان بن سبا * وبعد وفاة عمران استولى على سرير الملك أخوه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا وذلك سنة ثمان وستين من الميلاد وانما قيل له مزيقيا لانه كان يلبس كل يوم حلة منسوجة بالذهب فاذا أراد الدخول الى مخدعه مزقها لانه يكره أن يعود اليها ويأنف من أن يلبسها سواه وكان له أولاد كثيرة فتمزقت جامعتهم بعد موته وتشتتوا فى البلاد ولم يقدر أحد منهم على القيام بأعباء الملك من بعده لضعف آرائهم وحصول الخلف بينهم وعدم اجتماع كلمتهم ولذلك عاد الملك بعده وتة الى بنى حمير ونقل أبو السعود فى تفسيره على ما رواه الكلبى عن أبى صالح ان عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا أخبرته طرفة الكاهنة بخراب سد مآرب وتفريق سيل العرم لاهل اليمن وقيل ان عمرا رأى جرزا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا فعلم ذلك بكهانته فباع املاكه التى باليمن وسار بقومه وهم ألوف من بلدالى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة وأهلها يومئذ جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت وتغلبوا على بنى اسمعيل وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى أن يرجع اليه رواده الذين أرسلهم الى البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا ثلاثة أيام فانهزمت جرهم وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولا فأصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن تبعهم وصار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة والمسلمون منهم هم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحى فولى أمر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم أولاد اسماعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم فى ذلك انتهى والاول أرجح وأن تفرق غسان وغيرهم كان بعد سيل العرم كما سيأتى

وبعد انقضاء ملك عمرو مزيقيا باليمن عاد الملك الى بنى حمير فملك منهم الاقرن واسمه زيد وهو ابن أبى مالك على الصحيح وقال السهيلى انه ابن شمر مرعش وقال الطبرى انه ابن عمرو ذى الأذعار وسمى الاقرن لشامة كانت فى قرنه وملك ثلاثا وخمسين سنة وقال المسعودى ثلاثا وستين وبعد موت الاقرن قام باعباء الدولة ابنه ذو حيشان وهو آخر ملوك الدولة الاولى من الحميريين وكانت وفاته نحو سنة ١٧٥ بعد الميلاد

قال ابن خلدون وليس يتحقق فى هذه الانساب كلها انها للصلب فان الآماد طويلة والاحقاب بعيدة فقد يكون بين الاثنين منهم عدد من الآباء وقد يكون ملصقا به اه وكما انهم اختلفوا فى انسابهم كثيرا فكذلك قد اختلفوا فى أول التبابعة منهم فمنهم من

يجعله الحارث الرائش ومنهم من يقول هو شمر مرعش ومنهم من يقول غير ذلك كما أبانه ابن خلدون والذى اخترناه هو ما جرى عليه المحققون من المؤرخين

﴿الدولة الثانية﴾

من الحميريين وهى دولة التبابعة (١) منهم وزمن ملكهم (من سنة ١٧٥ الى سنة ٥٢٩ بعد الميلاد عبارة عن ٣٥٤ سنة)

وأول ملوك هذه الدولة هو تبع الاول ويقال له تبع الأكبر قيل انه غزا بلاد الروم حتى بلغ واديا هنالك كان يقال له وادى المياقوت فمات قبل أن يدخله والظاهر انه كان قوى البأس عظيم السلطان ملك بلادا عديدة وعمل اعمالا مفيدة حتى استحق بها أن يجعل أول التبابعة وكل من اقتفى آثاره ونسج على منواله وعمل مثل أعماله قيل له تبع وان لم يصل الينا تفصيل سيرته وهو ابن زيد الأفرن من ملوك الدولة الاولى وتولى الملك من سنة ١٧٥ الى سنة ١٩٠ ميلادية ومدة ملكه ١٥ سنة

(ثم خلفه على سرير الملك ابنه كليكرب) أو ملكى كرب ويسميه أحمد بن يوسف مليك يكرب من سنة ١٩٠ الى سنة ٢٢٠ ميلاديه ومدة ملكه ٣٠ سنة وكان ضعيفا ولم يغز قط الى أن مات

(ثم ملك بعده أبو كرب) أسعد بن عمرو من ولد ذى جيشان وهو تبع الاوسط سنة ٢٢٠ ميلاديه وكان شديد الوطأة كثير المغازى والفتوحات قال ابن خلدون وهو المشهور من ملوك التبابعة وقال الطبرى ويقال له الرائش وانه شخص من اليمن غازيا ومر بالحيرة فتحير عسكره هنالك فسميت الحيرة وخلف قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فأقاموا هنالك وبنوا الآطام واجتمع عليهم الناس من طيرة وكلب والسكون واياد والحرث بن كعب ثم توجه الانبار ثم الموصل ثم اذربيجان ولقى الترك فهزمهم وقتل وسبى ثم رجع الى اليمن وهابته الملوك وهادنته ملوك الهند ثم رجع لغزو الترك وبعث ابنه حسان الى الصغد وابنه يعفر الى الروم وابن أخيه شمر ذى الجناح الى الفرس وان شمر

(١) قال ابن خلدون نقلا عن السهيلى معنى تبع الملك المتبع وقال صاحب المحكم التبابعة ملوك اليمن واحدهم تبع لانهم يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام آخر تابعا له فى سيرته وزادوا الباء فى التبابعة لارادة النسب قال الزمخشرى قيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون قال المسعودى ولم يكونوا يسمون الملك منهم تبعا حتى يملك اليمن والشحر وحضرموت وقيل حتى يتبعه بنو جشم بن عبد شمس ومن لم يكن له شئ من الامرين يسمى ملكا ولا يقال له تبع اه

لقى كيقباذ ملك الفرس فهزمه وملك سمرقند وقتله وجاز الى الصين فوجد أخاه حسان قد سبقه اليها فأثخنا فى القتل والسبى وانصرفا بما معهما من الغنائم الى أبيهما وبعث ابنه يعفر الى القسطنطينية فتلقوه بالجزية والاتاوة فسار الى رومة وحاصرها ووقع الطاعون فى عسكره فاستضعفهم الروم ووثبوا عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد ثم رجع الى اليمن مهزوما ويقال انه ترك بلاد الصين قوما من حمير وانهم بها الى هذا العهد وانه ترك ضعفاء الناس بظاهر الكوفة فتحيروا هنالك وأقاموا معهم من كل قبائل العرب وهو فيما يقال أول من كسا الكعبة وذكر ابن اسحاق الملاء والوصائل وأوصى ولانه من جرهم بتطهيرها وجعل لها بابا ومفتاحا وذكر ابن اسحاق انه أخذ بدين اليهودية وذكر فى سبب تهوده انه لما غزا بلاد المشرق مر ببئر ب فلكها وخلف ابنه فيها فعدوا عليه وقتلوه غيلة ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلة من بنى النجار فلما أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة مجمعا على خرابها وشن الغارة عليها وبينما هو كذلك اذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بنى قريظة وقالا له لا تفعل فانك لن تقدر وانها مهاجر نبى قرشى يخرج آخر الزمان فتكون قراره فاعجب بهما واتبعهما على دينهما ثم مضى لوجهه ولقيه دون مكة نفر من هذيل وأغروه بمال الكعبة وما فيها من الجواهر والكنوز فنهاه الحبران عن ذلك وقالا له انما أراد هؤلاء هلاكك فتمثل النفر من الهذليين وقدم مكة فامره الحبران بالطواف بالكعبة والخضوع عندها ففعل ثم كساها كما تقدم وأمر ولاتها من جرهم بتطهيرها من الدماء والحيض وسائر النجاسات وجعل لها بابا ومفتاحا ثم سار الى اليمن وذكر لقومه ما أخذ به من دين اليهودية وحملهم على اتباعها فخالفوه أولا ثم اتبعوه لما ثبت لهم بطلان ما هم عليه من عبادة الاوثان (١) وذكروا فى أسباب غزوه المدينة غير ذلك وبالجملة فانه كان من الشجاعة والشهامة بمكان عظيم وانه غزا بلاد الفرس والروم والعراق والصين وذل ملوكهم ودانت له كل بلاد العرب وفى ذلك يقول فى قصيدة فخر له

اذ حسينا جيادنا من دماء * ثم سرنا بها مسيرا بعيدا

(١) ونقل ابن خلدون انه لما أخبرهم باخذه باليهودية تعرضوا لمنعه ثم حاكموه الى النار التى كانوا يتحاكمون اليها فتأكل الظالم وتدع المظلوم وجاؤا باوثانهم وخرج الحبران اللذان حضرا معه متقلدين الصحف ودخل الحميريون فاكلتهم وأوثانهم وخرج الحبران ترشح جباههم ووجوههم عرقا ولم يمسهما سوء فآمنت حمير عند ذلك وأجمعوا على اليهودية والله أعلم

واستبحنا بالخيل خيل قباذ * وابن اقليد جاءنا مصفودا
وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء منضدا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه اقليدا

﴿وقال أيضا﴾

لست بالتبع اليمانى ان لم * تركض الخيل فى سواد العراق
أوتؤدى ربيعة الخرج قسرا * لم يعقها عوائق العواق

وقد كانت الكندة معه وقائع وحروب حتى غلبهم حجر بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة من ملوك كهلان فدانوا له ورجع أبو كرب الى اليمن فشق على الحميريين ما كان يحملهم عليه من مهالك الحروب فقتلوه سنة مائتين وثمانية وثلاثين بعد الميلاد وندموا على قتله ونقل ابن خلدون ان مدة ملكه ثلاثمائة وعشرون سنة وهو من الغرابة بمكان فان مدة ملك ملوك الدولة الثانية جميعها ٣٥٤ سنة على الصحيح كما تقدم واختلفوا فيمن يملكونه بعده فلم يجدوا من يقوم بأعباء المملكة مثل ابنه حسان فملكوه مكان أبيه

ولما ملك حسان بن تبع جعل يكثر الحروب ويتتبع الذين قتلوا أباه ويقتلهم واحدا بعد واحد فكرهوه واجتمعوا الى أخيه عمرو ولم يزل حسان يكثر الغزو والأسر حتى قيل انه هو الذى أوقع بطسم وجديس وحمل الحميريين على تحمل مشاق الحروب الكثيرة حتى علموا من حالته أنه يريد أن يغزوبهم جميع بلاد العرب والعجم فكرهوه واجتمعوا الى أخيه عمرو واتفقوا معه على قتل أخيه وتمليكه بعده فاجابهم الى ما طلبوا وكان هذا الأمر موافقا لرأى الجميع ما عدا واحدا منهم اسمه ذو رعين كان رجلا عاقلا وعلم أنه لابد أن يندم على ذلك بعد وينتقم من الذين حرضوه على قتل أخيه فلم يوافقهم على غيهم ونهى عمرا عن قتل أخيه وأكثر له النصائح فى ذلك فلم يقبل منه وسولت له نفسه قتل أخيه فقتله (١) فكتب ذو رعين بيتى شعر وأودعهما عنده وهما

الا من يشترى سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
فاما حمير غدرت وخانت * فعذرة الاله لذى رعين

ولما كان ما كان من قتل حسان بعدان ملك من سنة ٢٣٨ الى سنة ٢٥٠ ميلاديه وجلس عمرو وأخوه على تخت الملك مكانه وتوالت عليه الاسقام ولزم الفراش ولم يستطع النهوض الى الغزو قيل له الموتبان أى المقعد بلغة الحميريين ولما أنهكه المرض وأوهى

(١) وكان مقتل حسان بعرصة تخم وهى رحبة مالك بن طوق اه من ابن خلدون

قواه صار لا يخرج الا محمولا على اعواد فسمى ذا الأعواد وسبب ذلك على ما قيل انه لما قتل أخاه استولى عليه الارق والسهر حتى منع النوم فتحير فى شأنه وشكا حالته الى الحكماء والكهان وأهل المعرفة من العرب فقالوا له ما قتل رجل أخاه الا ابتلى بالسهر والأمراض فأسف على قتل أخيه وندم حيث لا ينفع الندم وأخذ ينتقم من كل من ساعده على قتل أخيه حتى أفناهم وهم بقتل ذى رعين فذكره بنصيحته له بعدم قتله وبالشعر الذى كان أودعه اياه فى الصحيفة فخلى سبيله وبقى فى حالة تمرض الى أن مات قال ابن خلدون وكانت مدة ملكه ثلاثا وستين سنة واختلفت بعده أحوال حمير وبقيت مدة وهى من نهاية ملكه الى سنة ٢٧١ لا يعلم لها تاريخ ولا يعلم من قام فيها بشأنهم من الملوك

وقال بعضهم انه بعد ملك ذى الاعواد أعقبه أربعة ملوك ذهبت عنا تفاصيل أحوالهم ولم نعرف من الكتب أسماءهم ومدة ملكهم من نهاية ملك ذى الأعواد الى سنة ٢٧١ ميلادية ولا أدرى من أين جاءه هذا الحصر مع كونه لم يقف على معرفة أسمائهم ولا أحوالهم

ثم جلس على سرير ملك حمير بعد هذه المدة (السها) ولم يبق على تخت المملكة الا حولا واحدا وذلك من سنة ٢٧٢ الى سنة ٢٧٣ ميلادية وأسقطه ابن خلدون وأبو الفدا وابن الوردى

وخلفه على سرير الملك عبد كلال وهو ابن ذى الأعواد وكان متدينا بالنصرانية كثير العبادة والزهد وكان ملكه من سنة ٢٧٣ الى سنة ٢٩٧ ميلادية عبارة عن ٢٤ سنة وقال ابن خلدون انه ملك أربعا وتسعين سنة ثم قام باعباء الدولة بعده تبع حسان وهو تبع الاصغر وفى تاريخ أبى الفدا وابن الوردى تبع بن حسان بن كليكرب وكان كثير المغازى والفتوحات ومدة ملكه من سنة ٢٩٧ الى سنة ٣١٣ ميلادية عبارة عن ست عشرة سنة ونقل ابن خلدون عن الجرجانى انه ملك ثلاثا وسبعين سنة ثم قام بالامر بعده الحارث بن عمرو بن ذى الأعواد وكان ملكه من سنة ٣١٣ الى سنة ٣٢١ ميلادية

وخلفه على سرير الملك مرثد (١) بن عبد كلال ومدة ملكه من سنة ٣٢١ الى سنة

(١) مرثد كمسكن قال فى القاموس هو ملك لليمن ملكها استمائة سنة ولم يعلق عليه شارحه شيأ مع غرابته وفى سبائك الذهب مرثيد وفى تاريخ ابن خلدون انه مدثر ولعله تحريف وكلال كغراب

٣٤٥ عبارة عن أربع وعشرين سنة وقال ابن خلدون انه ملك احدى وأربعين سنة ثم ملك بعده ابنه وكيعة (١) وكان مذموم السيرة ضعيف العزيمة وكان كثيرا ما يميل الى اليهودية ويظهر أنه يهودى ثم بعد مدة يميل الى النصرانية ويظهر أنه نصرانى وفى أيامه حصل اضطراب عظيم فى المملكة وعصت عليه عدة قبائل وخلعوا الطاعة وكان ملكه من سنة ٣٤٥ الى سنة ٣٧٠

ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح بن لهيعة بن شيبة بن مرثد قال ابن خلدون نقلا عن الجرجانى وبعض الناس يزعم ان ابرهة بن الصباح انما ملك تهامة فقط اه وكان ابرهة كريما جوادا حسن المحاضرة مقصودا من كل الجهات ومدة ملكه من سنة ٣٧٠ الى سنة ٣٩٩ ميلاديه

وبعد موت ابرهة بن الصباح خلفه على تخت المملكة صهبان بن محرث وحصل بينه وبين التغلبيين حروب كثيرة انتهت بقتله وكان ملكه من سنة ٣٩٩ الى سنة ٤٤٠ ميلاديه

ثم قام بالامر بعده الصباح بن ابرهة وكان رجلا جلدا شديد البأس فقام يطلب دم صهبان بن محرث من التغلبيين فاستجاش كليب وائل بن معد بن عدنان وانتشرت بينهما الحرب فكانت الدائرة على الصباح بن ابرهة وكان ملكه من سنة ٤٤٠ الى سنة ٤٥٥ ميلاديه

ثم قام بامر الملك بعده حسان الثانى ولم يتعرض لبنى معد بن عدنان لما عرف من سطوتهم وفى أيامه وقعت حرب البسوس بين بنى بكر وتغلب وبقيت مستمرة أربعين سنة حتى أصلح بينهما عمرو بن هند وكفهم عن القتال ومدة ملك حسان الثانى من سنة ٤٥٥ الى سنة ٤٧٨ ميلاديه

ثم ملك بعده لخيعة (٢) بن ينوف الملقب بذى الشناتر أى الاقراط بلغة حمير وقيل له ذلك

(١) وكيعة بالكاف هكذا فى أغلب كتب المؤرخين وفى تاريخ ابن خلدون وليعة باللام ولم أجده فى كتب اللغة وانما الذى نص عليه بنو وليعة كسفينة حى من كندة وأنشد ابن برى لعلى بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم

ابى العباس قرم بنى قصى * واخوالى الملوك بنو وليعه
هم منعوا ذمارى يوم جاءت * كتائب مسرف وبنو اللكيعه
وكندة معدن للملك قدما * يزين فعالهم عظم الدسيعه اه تاج

(٢) لخيعة كما فى القاموس وقيل لخنيعة أنظر تاج العروس

لانه

لانه كان يلبس اقراطا ليتحلى بها ولم يكن من بيت الملك بل كان من بنى عمه الاباعد قال ابن خلدون نقلا عن ابن اسحاق انه لما ملك عليهم قتل خيارهم وعبث برجالات بيوت المملكة منهم قيل انه كان ينكح ولدان حمير يريد بذلك أن لا يملكوا عليهم لانهم كانوا لا يولون شأنهم من وصف بهذه الصفة ولم يزل مجاهرا بالفحشاء والفسق الى أن مات قتيلا قتله ذونواس (١) وهو زرعة بن كعب الحميرى من سلالة الحارث الرائش وقيل انه من نسل أسعد أبى كرب وهو حسان أبى ذى معاهر فيما قاله ابن اسحاق وكان صبيا جميل الخلق ولكنه ذو هيبة وفضل فاستقدمه ذو الشناتر اليه وكان عارفا بمقصده فاحضر معه سكينا وأخبأها فى نعله ولما دخل عليه وأراد منه ما أراد قتله ثم خرج وأنشد

أساس الملك ويحكمو رجال * اذا ما الملك زل عن الاساس
فكم من تاج ملك قد رأيتم * تنقل من أناس فى أناس
أطيعوا الرأس منكم كى تسودوا * وهل جسد يسود بغير راس
فان الناس مثل الارض أرض * وان ملوكهم مثل الرواسى

ولما علمت بذلك حمير فرحوا به واستحسنوا ما فعله وملكوه عليهم وكانت مدة ملك ذى الشناتر من سنة ٤٧٨ الى سنة ٤٨٠ ميلاديه (ثم قام بالأمر بعده ذونواس) وهو زرعة بن كعب وكان يرسل ذوائب من شعره على ظهره فلقب بذى نواس وكان جلوسه على سرير الملك سنة ٤٨٠ ميلاديه وهو صاحب الاخدود تهوّد وتغالى فى حب اليهودية ودعا أهل اليمن اليها وكان قد نزل يثرب مجتازا فاعجبته اليهودية فتهوّد وسمى نفسه يوسف واشتهر بهذا الاسم وتبعه أهل اليمن الا طوائف من حضرموت وعدن فغزاهم وقتلهم جميعا ثم دعا العرب الى دين اليهودية فكان من لا يتهوّد يسير اليه ويوقع به فشاع ذكره فى الآفاق وعظمت شوكته وأطاعته العباد وكانوا يجيبون دعوته خوفا من شدة نقمته فكرهته أعيان حمير وحسدوه على الملك الذى هو فيه ونده واعلى تمليكه لما ظهر لهم منه فعزموا على خلع طاعته فلم يخف عليه ذلك لكنه لم يحفل بهم بل قبض على البعض وعذبه أشد العذاب ولما رسخت قدم ذى نواس فى الملك حملته اليهود على غزو نجران لامتحان من بها من النصارى فاغار عليهم ودعاهم الى اليهودية فامتنعوا فقتل ملكهم عبد الله بن التامر وجمع أهل البلد وألقاهم فى حفرة قد احتفرها واضرم فيها

(١) بضم النون وفتح الواو المخففة هو زرعة بن حسان وزرعة بضم الزاى وسكون الراء وفتح العين لقب به لذؤابة كانت تنوس على ظهره اه قاموس

النار فاحترقوا بها وهى المراد بالاخدود وكان ممن هرب منهم رجل من عظمائهم يقال له دوس ثعلبان فصار الى النجاشى ملك الحبشة وشكا اليه ما ارتكبه ذونواس الحميرى فكتب النجاشى الى قيصر ملك الروم يستأذنه فى تجريد خيل الى اليمن فامر قيصر أن يستخلف دوس ثعلبان على مملكته ويخرج بجنوده الى اليمن فيقيم بها وينزع الملك من ذى نواس الحميرى فخرج ملك الحبشة الى اليمن فى سبعين ألف فارس ولما علم ذونواس بقدومه تجهز للحرب وفرق السلاح على جنوده وصار يستقبل الجيش فالتقوا على ساحل عدن وسار النجاشى باصحابه وقال لهم هذا البحر خلفكم والسيوف أمامكم فلا ملجأ لكم الا الصبر حتى تموتوا أو تظفروا فاقتتل القوم قتالا شديدا وقتل من الفريقين عدد كثير وكان الظفر للحبشة فانهزم ذونواس باصحابه وتبعتهم الحبشة وخاف ذونواس من الاسر فاقتحم البحر بجواده وقال ان الغرق أفضل من أسر السودان فضربته الامواج وكان آخر العهد به ومدة ملكه ثمان وأربعون سنة

وقام بالحكم بعده ذوجدن (١) الحميرى فلم تتركه الحبشة يتمكن من الملك وجرت لهم وقائع معه ثم هزموه فاقتحم أيضا البحر ولحق بذى نواس وكانت مدة استيلائه على الملك حولا واحدا وذلك من سنة ٥٢٨ الى سنة ٥٢٩

وبعد ان دهمته المنية بالغرق أفضى الامر بعده الى ذى يزن (٢) الحميرى سنة ٥٢٩ وهو آخر ملوك الدولة الثانية من ملوك اليمن فلم يكد يجلس على تخت المملكة الا وقد اضطهدته الحبشة فلم يتمكن من الاقامة بارض اليمن فاستغاث بكسرى أنوشروان واستنصر به فوعده النصر وبينما كسرى عازم على انجاز وعده اذ دهمت المنية ذا يزن وهو بباب كسرى قبل انجاز وعده له واستولت الحبشة على اليمن استيلاء تاما بعد موت ذى يزن وانقضى ملك الحميريين وزال ما كان لهم من قوة السلطان وشامخ البنيان وتحكم العبيد الاشرار فى السادة الاحرار وخربوا حصونهم وقصورهم مثل سلجيق وسون وغمدان وقال ذو يزن فى رثاء حمير وقصور الملك باليمن

هوّنك ليس يرد الدمع ما فاتا * لا تهلكن أسفا فى اثر من ماتا
أبعد سون فلا عين ولا أثر * وبعد سلجيق يبنى الناس أبياتا

فسبحان من يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

---

(١) قال فى القاموس الجدن محركة حسن الصوت وذوجدن علس بن يشرح وهو أول من غنى باليمن ولذلك لقب به اه ملخصا

(٢) يزن واد باليمن وذو يزن ملك لحمير لقب به لانه حمى ذلك الوادى واسمه عامر بن أسلم قاموس

وهذا ما استخلصناه من تاريخهم ومن الاختلافات الكثيرة الواقعة فى انسابهم ورأيناه أقرب الى الحقيقة بعد الاطلاع على كثير من الكتب التى لا تكاد تتوافق فى أحوالهم وانسابهم وقال ابن خلدون نقلا عن ابن حزم بعد ذكر التبابعة بطرق مختلفة وفى انسابهم تخليط واختلاف ولا يصح منها الا القليل وقال أيضا وكانوا ملوكا عدة فى عصور متعاقبة واحتاب متطاولة لم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد اه وقال صاحب تواريخ الامم ليس فى التواريخ أسقم من تاريخ ملوك حمير لما يذكر فيه من كثرة سنيهم مع قلة ملوكهم فانهم يزعمون ان ملوكهم ستة وعشرون ملكا ملكوا مدة ألفين وعشرين سنة اه

وهذا الذى ذكرناه من أحوالهم وعدد سنى ملكهم هو الذى عليه الاكثر وهو الاقرب الى الحقيقة مع عدم الوثوق بمدة حكمهم على التحقيق لكثرة الخلاف فيه وعدم علمه محققا من كتب القوم وغاية ما يعلم انهم كانوا ملوكا أقوياء لم يضبطهم الحصر ملكوا أحقابا متطاولة من الدهر مع طيب الهواء وكثرة الماء واشتغال الرعية بالفلاحة والتجارة وكانت دولتهم أحسن ما يكون من المنعة والترف والرفعة والشرف ولهم فيها جنات عن يمين وشمال كما جاء فى القرآن الشريف فطغوا وأعرضوا فسلط الله عليهم الخلد وهو الجرذ (١) فنقب سد مأرب من أسفله فصبحهم السيل وأغرق أرضهم وأتلف جنانهم وتمزق ملكهم قال تعالى حكاية عنهم لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم (٢) وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط (٣) وأثل وشئ من

---

١ الجرذ كصرد ضرب من الفأر والخلد بالضم والفتح الخلود ونوع من الفأر وهو المراد هنا

(٢) العرم المطر الشديد أو الامر الصعب أو اسم للوادى أو هو الجرذ الذى نقب عليهم السكر بفتح السين مشددة وسكون الكاف وبعده راء أى السد الذى يحجز الماء وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل هو اسم للبناء الذى يجعل سدا

(٣) خمط أى ثمر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحامض والمر من كل شئ وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع تشبه الخشخاش لا ينتفع بها وقيل الاراك أو كل شجر ذى شوك (والاثل) هو الطرفاء أو شجر يشبهه أعظم منه ولا ثمر له والسدر شجر النبق وقيل ان السدر صنفان صنف يؤكل ثمره وينتفع بورقه وصنف لا يؤكل ثمره ولا ينتفع بورقه وهو الضال وهو المراد فى الآية وقال قتادة كان شجرهم خيرا الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية

سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور

* ثم لما انقرض ملك التبابعة وآل الى الحبشة تملك منهم أربعة ومن الفرس ثمانية ثم صارت اليمن للاسلام وأول من تملك اليمن من الحبشة هو أرباط الذي كان قد أرسله ملك الحبشة قائدا على جيوشه التي ذهبت الى اليمن هو وأبرهة وبقيا في وفاق مدة ثم وقع الخلف بينهما وكان كل منهما رئيسا على فريق من العسكر فتبارزا وخدع ابرهة ارباطا وأكمن له عبدا في موضع المبارزة فلما التقيا ضرب ارباط ابرهة فشرم أنفه ولذلك لقب بالاشرم وخرج العبد من الكمين فضرب ارباطا فقتله وتولى ملك اليمن من وقتئذ وخلع طاعة النجاشي ولما بلغ النجاشي خبر قتل ارباط وخلع طاعة ابرهة تغيظ وحلف لا يترك ابرهة حتى يطأ أرض اليمن ويجز ناصيته فبلغ ابرهة ذلك فارسل اليه من تراب اليمن وجز ناصيته وأرسلها أيضا وكتب اليه بالطاعة وارسال شعره وتراب أرضه ليبر في قسمه بوضع التراب تحت قدمه فرضي عنه النجاشي وأقره على عمله وهو صاحب الفيل الذي غزا به الكعبة * وسبب ذلك انه لما صار ملك اليمن اليه بنى كنيسة عظيمة بصنعاء وقصد حج الناس اليها دون الكعبة فتغيظ العرب من ذلك وأحدثوا فيها فغضب وسار بجيشه وفيله المشهور المسمى محمودا وقيل بثلاثة عشر فيلا لهدم الكعبة ووصل الطائف وبعث الاسود بن مقصود الى مكة فساق أموال أهلها اليه وأرسل ابرهة الى قريش يقول اني لست أقصد حربا وانما جئت لهدم الكعبة فقال عبد المطلب والله لا نتعرض لحربه هذا بيت الله فان منع عنه فهو بيته وحرمه وان خلى بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع ثم انطلق عبد المطلب مع رسول ابرهة اليه فقيل له هذا سيد قريش فاحترمه وأذن له بالجلوس ونزل عن سريره وجلس معه وسأله عن حاجته فذكر عبد المطلب أباعره التي أخذت له فقال ابرهة اني كنت أظن انك تطلب مني أن لا أخرب الكعبة التي هي دينك فقال عبد المطلب أنا رب الأباعر فاطلبها وللبيت رب يحميه فانصرف بها الى قريش وأمرهم بالخروج من مكة الى الجبال والشعاب للتحرز فيها ثم قام عند الكعبة ممسكا بحلقة الباب ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه وعبد المطلب ينشد ويقول

البدل جنتين للتهكم والمشاكلة اه ملخصا من تفسير أبي السعود

لاهم ان العبد يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
لايغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك
وانصر على آل الصليـ * ـب وعابديه اليوم آلك

ولما قارب ابرهة مكة وتهيأ لها صار كلما وجه الفيل الى مكة ينام ويرمى بنفسه الى الارض ولم يسر فاذا استقبلوا به غيرها قام يهرول وبينما هم كذلك اذ أرسل الله على جيوشه طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار فى منقاره ورجليه يقذفهم بها وهى مثل الحمص والعدس فلم تصب منهم أحدا الا هلك وليس كلهم اصابت ثم أرسل الله عليهم السيل فالقاهم فى البحر والذى سلم منهم ولى هاربا مع ابرهة الى اليمن يتساقطون انطريق وتساقطوا بكل منهل وأصيب ابرهة فى جسده وسقطت أعضاؤه ووصل الى صنعاء كذلك ومات فخرجت قريش الى منازلهم وغنموا أشياء كثيرة وكان ملك ابرهة على اليمن سنتين وذلك من سنة ٥٦٩ الى سنة ٥٧١ ميلاديه

وملك بعد ابرهة ابنه (مكسوم) وكانت مدة ولايته سنة ٥٨٩ الى سنة ٦٠١ ميلاديه ثم ملك بعده أخوه (مسروق) وكان مبدأ ولايته سنة ٦٠١ ميلاديه وهو ابن ابرهة ومنه أخذ العجم اليمن ثم عاد ملك اليمن الى حمير وملكها (سيف بن ذى يزن الحميرى) أنجده كسرى أنوشروان بجيش من العجم قائده وهرز فطرد الحبشة وقرر سيفا باليمن فجلس يوما يشرب فى غمدان (وهو قصر لاجداده باليمن) فامتدحته العرب بالاشعار منها قول أمية بن أبى الصلت يصف تغرب سيف وقصده قيصر ثم كسرى ونجدته له

لاتقصد الناس الا كابن ذى يزن * اذ خيم البحر للاعداء أحوالا
وافى هرقل وقد شالت نعامته * فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة * من السنين نهين النفس والمالا
حتى أتى بنى الاحرار يقدمهم * تخالهم فوق متن الارض اجبالا
لله درهم من فتية صبروا * ما ان رأيت لهم فى الناس أمثالا
بيض مرازبة غلب أساورة * أسد تربب فى الغيضات أشبالا
فاشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا * برأس غمدان دارا منك محلالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

واصطفى سيف المذكور جماعة من الحبشان وجعلهم من خاصته فاغتالوه وقتلوه وكانت مدة حكمه على اليمن سبع سنين فارسل كسرى عاملا على اليمن من قبله واستمرت عمال كسرى على اليمن الى ان كان آخرهم باذان الذى كان على عهد النبى صلى الله

عليه وسلم وأسلم ثم صارت اليمن للاسلام

ولما تفرق ملك اليمن وصاروا طوائف بعد سيل العرم توجه أهل المنذر الى الحيرة والانبار وملكوا هناك وصاروا عمالا للاكاسرة على عرب العراق ويعرفون بالمناذرة وكان ملكهم من سنة ٢١٠ الى سنة ٦٣٤ ميلاديه عبارة عن ٤٢٤ سنة وتوجه آل غسان الى الشام وملكوا بها وصاروا عمالا للقياصرة على عرب الشام ويدعون بالغساسنة

﴿ذكر ملوك العرب الذين كانوا في غير اليمن﴾

أول من ملك بأرض الحيرة هو مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن وهزان بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الازد والازد من ولد كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في أيام ملوك الطوائف قبل الاكاسرة واستولى على الملك سنة ٢١٠ ميلاديه وكان مقره بالانبار (١) وبقي بها الى ان رماه سليمة بن مالك بسهم فاصاب مقتله ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم) ثم ملك بعده ابن أخيه جذيمة (٢) بن مالك بن فهم سنة ٢٣٠ ميلاديه وكان قويا حازما شديد البأس وهو أول من غزا بالجيوش وشن الغارات على قبائل العرب وأول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب وطالت مدته وشاع ذكره في كل مكان وعظم شأنه وخشيت سطوته العرب وكان به برص فتلطفوا وقالوا جذيمة الابرش أو الوضاح كناية عن البرص ايضا وعظم شأن جذيمة المذكور وكانت له أخت تسمى رقاش (٣) فهويت شخصا من أياد كان جذيمة قد اصطنعه وكان يقال له عدي بن نصر بن ربيعة وأحبها عدي أيضا وكان متسلما مجلس شراب جذيمة فاتفقت معه رقاش على ان يخطبها من أخيها جذيمة حال غلبة السكر عليه ففعل ذلك وأذن له جذيمة فدخل عدي برقاش فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه فهرب عدي المذكور فقيل انه ظفر به جذيمة وقتله وحملت رقاش من عدي المذكور فقال لها جذيمة

خبريني رقاش لا تكذبيني * أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت بل من خيار العرب وجاءت بولد فربته وألبسته طوقا وسمته عمرا وفرح به جذيمة وتبناه ثم تاه الغلام (وتزعم العرب ان الجن اختطفته) ثم وجده شخصان يقال لهما

(١) الانبار بلدة قديمة البناء وهي على نهر الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ وانما قيل لها الانبار لان ملوك الفرس من الاكاسرة كانوا يخزنون فيها الطعام (٢) وجذيمة كسفينة (٣) رقاش كقطام

مالك وعقيل فاحضراه الى جذيمة ففرح به فرحا عظيما وقال لمالك وعقيل اللذين احضراه اقترحا ما شئتما فقالا ننادمك ما بقيت ونبقيا فهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال كندمانى جذيمة وفى أيامه كان تملك الجزيرة وأعلى الفرات ومشارق الشام رجل من العمالقة يقال له عمرو بن الظرب (١) ابن حسان العمليق وجرى بينه وبين جذيمة حروب فانتصر جذيمة عليه وقتل عمرا المذكور وكان لعمرو بنت تدعى الزباء (٢) لكثرة ما عليها من الشعر واسمها نائلة فملكت بعده وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وكانت عاقلة أديبة ذات حيل وعزم وتدبير فصارت تدبر كيفية تأخذ بها ثار أبيها من جذيمة وأخذت فى الحيلة على جذيمة وأطمعته فى نفسها حيث أرسلت اليه أحد قواد جيوشها تخطبه لنفسها وتقول له انها امرأة لا يليق لها الملك وانها ترغب فى زواجه وفى اضافة ملكها الى ملكه فطمع فى ذلك وسار اليها فاحتالت عليه وقتلته وهؤلاء الثلاثة ملوك من بنى كهلان

﴿ذكر اللخميين ملوك الحيرة﴾ (٣)

وهم المناذرة بنو عدى بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عدى بن عمرو بن سبا

ولما قتل جذيمة ملك بعده ابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة المعروف بالرقاش وكان لجذيمة عبد يقال له قصير فاتفق معه عمرو بن عدى وجذع انف قصير (٤) وضربه بالسياط وحضر قصير على تلك الحالة الى الزباء على انه مغاضب لعمرو فصدقته الزباء وآمنت له لما رأت من حاله وصار قصير يتجر للزباء ويأخذ المال من مولاه ويحضر به الى الزباء على انه كسب متجرها مرة بعد أخرى حتى أتى بعير نحو ألف جمل من الصناديق واقفالها من داخلها وفيها رجال فلما شاهدت الزباء تلك الجمال ارتابت منها وقالت

ما للجمال مشيها وئيدا (٥) * اجندلا (٦) يحملن أم حديدا
أم صرفانا (٧) باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

فلما دخلوا الى حصن الزباء خرجت الرجال من الصناديق وأخذوا المدينة عنوة وقتلوا الزباء وأخذ قصير بثار مولاه جذيمة وطالت مدة عمرو بن عدى المذكور وكان يغزو

---

(١) ظرب ككتف ماتتأمن الحجارة واسم رجل قاموس (٢) الزباء بفتح الزاى والباء مشددين بعدهما ألف ممدودة (٣) انظر ابا الفدا وابن الوردى وبداية القدماء وتاريخ فنديك (٤) قصير كامير (٥) الوئيد التؤدة بفتح الهمزة وسكونها ومشى مشيا وئيدا أو على تؤدة ابطأ اه صحاح (٦) الجندل الحجارة (٧) الصرفان محركة بالفتح الرصاص والنحاس وتمرر زين صلب المضاغ يعده ذوو العائلات قاموس

المغازى و يصيب الغنائم وتجبى اليه الأموال ومدة حكمه ثمان وثلاثون سنة
و بعد موته صار الملك ينتقل الى ذريته وهم من بنى لخم فتولى بعده ابنه امرؤ القيس الأول سنة ٣٠١ ميلاديه وهو ابن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى وكان ملكه فى ايام سابور (١) ذى الاكتاف ولم يؤثر عنه شئ وملك ثلاثا وثلاثين سنة
ثم ملك بعده ابنه عمرو الثانى سنة ٣٣٤ ميلاديه وكان عالى الهمة شديد البأس شاعرا فصيحا متكلما لبيبا وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة
ثم ملك بعده أوس بن قلام العمليقى الذى جلس على سرير الملك سنة ٣٦٩ ميلاديه وخرج به الملك من بنى عدى غير انه لم يقم من العماليق سوى ملك آخر ثم عاد الملك الى بنى عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخميين
وملك منهم امرؤ القيس الثانى سنة ٢٧٤ ميلاديه وهو من ولد عمرو بن امرئ القيس الأول و يعرف بالمحرق لانه أول من عاقب الناس بالحريق بالنار
ثم ملك بعده ابنه النعمان وذلك فى ابتداء المائة الرابعة بعد الميلاد و يعرف بالنعمان الأعور وهو الذى بنى (الخورنق والسدير) (٢) وكان كثير العظمة شديد النكاية فى الاعداء غزا الشام مرارا وانتصر على أهلها واغتنم منهم مغانم كثيرة وكان من أحزم الملوك رأيا وأعظمهم بأسا ولذلك جمع من الأموال والذخائر مالم يجمعه غيره من ملوك الحيرة ومن شعره

واذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير

---

(١) سابور معرب شاه بور ولقب سابور بذى الاكتاف لانه غار فى ألف الى نواحى العرب الذين كانوا يعيثون فى الارض فقتل من قدر عليهم ونزع أكتافهم قاموس

(٢) الخورنق كقنفذ وكس قصر بالعراق وسدير كأمير نهر بناحية الحيرة من أرض العراق وقيل النهر مطلقا وتدغلب على ذلك النهر وقيل قصر فى الحيرة من منازل آل المنذر وأبنيتهم اه تاج العروس وتذكره الشعراء كثيرا فى أشعارهم ولا مانع من أن يكون اسما لقصر بنى على هذا النهر فسمى به أو بالعكس فان عبارة المؤرخين وأغلب الشعراء تقضى بأنه بناء وكذلك أصل التعريب فانه معرب عن سه دلى أى ثلاث شعب وفى الصحاح ان أصله سه دله أى فيه قباب متداخلة وقال الاصمعى السدير فارسى كان أصله سه دل أى قبة فيها ثلاث قباب متداخلة وهى التى تسميها الناس اليوم سدلى فعربته العرب فقالوا سدير كما فى التاج

ولما تم له ثلاثون سنة فى الملك وعظم ملكه وارتفع شأنه خرج يوما الى قصره الخورنق وتأمل فيما عنده من الاموال وماله من الملك ورأى ان ما آل ذلك الى الفناء فتمثل لاخير فى ملك عاقبته الفناء ثم تزهد وأمر حجابه ان يعتزلوا عنه حتى اذا جن الليل التحف بكساء خلق وساح فى الارض وكان ذلك فى زمن بهرام جور بن يزدجرد وهو الذى ذكره زيد فى قصيدته الرائية بقوله

وتدبر رب الخورنق اذ أشـ * ـرف يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـ * ـلك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ * ـطة حى الى الممات يصير

ولما تزهد النعمان الأعور تملك بعده ابنه المنذر بن النعمان سنة ٤٣٠ ميلادية وانتهى ملكه فى زمن فيروز بن يزدجرد بعد ان حكم ٤٣ سنة

ثم ملك بعده ابنه الأسود بن المنذر وذلك سنة ٤٧٣ ميلادية وهو الذى حارب الغساسنة وانتصر عليهم وأسر عدة من ملوكهم وأراد أن يعفو عنهم وكان له ابن عم يقال له أبو أذينة قد قتل آل غسان له أخا فى بعض الوقائع فقال أبو أذينة فى ذلك قصيدته المشهورة يغرى الأسود بقتلهم منها

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا * ولا يسوغه المقدار ما وهبا
وأحزم الناس من ان فرصة عرضت * لم يجعل السبب الموصول مقتضبا
وأنصف الناس فى كل المواطن من * سقى المعادين بالكاس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم * بحد سيف له من قبلهم ضربا
والعفو الا عن الاكفاء مكرمة * من قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلت عمرا وتستبقى يزيد لقد * رأيت رأيا يجر الويل والحربا (١)
لا تقطعن ذنب الانعى وترسلها * ان كنت شهما فأتبع (٢) رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزرا * وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
ان تعف عنهم تقول الناس كلهم * لم يعف حلما ولكن عفوه رهبا
هم أهلة غسان ومجدهم * عال فان حاولوا ملكا فلا عجبا
وعرضوا بفداء واصفين لنا * خيلا وابلا تروق العجم والعربا
أيحلبون دماءنا ونحلبهم * رسلا لقد شرفونا فى الذى (٣) حلبا

(١) حربه حربا كطلبه طلبا سلب ماله فهو محروب وحريب قاموس (٢) وفى رواية فالحق (٣) وفى رواية فى الورى حلبا

عـــلام نقبل منهـــم ندية وهـــم * لافضـــة قبـــلوا منا ولاذهبا

هذا هو المشهور الذى عليه أغلب المؤرخين ورأيت فى تاريخ ابن الاثير خلاف ذلك وقال ان الأسود قاتل آل غسان فانتصروا عليه وقتلوه ثم قال وقيل غير ذلك وانتهى ملك الأسود بن المنذر المذكور فى زمن فيروز بعد ان حكم عشرين سنة

ثم ملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان الأعور سنة ٤٦٣ ميلاديه

ثم ملك بعده علقمة الذميلى (وذميل بطن من لخم) ولم يعلم ابتداء مدة حكمه وبعد وفاة علقمة خلفه على الملك النعمان الثانى وكان ذلك سنة ٥٠٠ ميلاديه

ثم ملك بعده أبو جعفر وجلس على سرير الملك سنة ٥٠٤ ميلاديه

ثم ملك بعده امرؤ القيس الثالث بن النعمان بن امرئ القيس المحرق سنة ٥٠٧ ميلاديه وهو الذى قتل بسمار (١) الذى بنى له قصرا (٢) لم يوجد أحسن منه لئلا يبنى مثله لاحد غيره

﴿وفيه يقول المتلمس﴾

جزانى أبو نلحم على ذات بيننا * جزاء سمار وما كان ذا ذنب

وغزا بنى بكر فى ديارهم وفى أيامه كثرت النصارى فى مملكة فارس وظهرت النصرانية فى العراق

ثم ملك بعده ابنه المنذر بن امرئ القيس وكانت أم المنذر المذكور يقال لها ماء السماء ولقبت بماء السماء لحسنها وجمالها واسمها ماوية بنت عوف بن جشم وقيل انما لقب بهذا الاسم لانه كان يقيم ماله مقام القطر فيملأ الارض جودا وكان حكمه سنة ٥٢٠ ميلاديه وطرده كسرى قباذ من ملك الحيرة وملك موضعه الحارث بن عمرو بن حجر الكندى سنة ٥٢٣ ميلاديه لان قباذ كان قد

(١) سمار بكسر السين والنون وتشديد الميم رجل أعجمى رومى وكان بناء مجيدا بنى قصر البعض ملوك المناذرة فلما فرغ ألقاه من أعلاه فحرمية لئلا يبنى لغيره مثله اه تاج (٢) وقيل انه بناه للنعمان بن امرئ القيس الأكبر وقيل للنعمان بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس الثانى ونص أبو عبيد للنعمان ابن المنذر وزاد فبنى الخورنق الذى بظهر الكوفة اه من تاج العروس والذى ذكرناه هو الأشهر

دخل فى دين مزدك (١) ووافقه على ذلك الحارث ولم يوافقه المنذر فطرده لذلك
ثم لما تملك كسرى أنوشروان بن قباذ الملك طرد الحارث وأعاد المنذر ابن ماء السماء
الى الحيرة

ثم ملك بعد المنذر عمرو ملقط الحجارة وكان جلوسه على تخت المملكة سنة ٥٦٤
ميلادية وكان مقداما كثير المغازى شديد البأس والسلطان ولذا لقب بملقط الحجارة
لشدته وهو ابن المنذر ابن ماء السماء وكان اسم أمه هندا ولذا يعرف بعمرو بن هند أيضا
ولثمان سنين مضت من ملكه كان مولد النبى صلى الله عليه وسلم

ثم ملك بعده أخوه قابوس بن المنذر ابن ماء السماء وكان ضعيفا مهينا مولعا بكثرة اللهو
والصيد ولذا قال فيه طرفة بن العبد

لعمرك ان قابوس بن هند * يخالط ملكه حمق كثير
قسمت الدهر فى وقت رخى * كذاك الحكم يعدل أو يجور

وأقام قابوس فى الملك ثمان سنين ثم قتله رجل من بنى يشكر

ثم ملك بعده أخوه المنذر الرابع وهو المنذر بن المنذر ابن ماء السماء وكان ابتداء
ملكه سنة ٥٨٤ ميلادية وكان معتدل القامة حسن الوجه سمحا كريما وملك
أربع سنين

وبعد وفاة المنذر خلفه على سرير الملك ابنه النعمان بن المنذر بن المنذر ابن ماء السماء سنة
٥٨٨ ميلادية وكان يكنى بأبى قابوس وكان أحمر أبرش قصيرا ذميما سيئ الخلق وهو
الذى قتل داهية العرب عبيد بن الأبرص الاسدى فى يوم بؤسه الذى جعله على نفسه حزنا
على ندمائه اللذين قتلهما وكان أحدهما خالد بن المضلل والآخر عمرو بن مسعود وهما من بنى
أسد أغضباه فى حال سكره فأمر أن يحفر لكل واحد منهما حفرة فى ظهر الكوفة ويدفن
بها ففعل بهما كذلك ولما أصبح سأل عنهما فأخبروه بخبرهما فندم على ذلك وحزن عليهما
حزنا شديدا ثم أمر أن يبنى فوقهما بنا آن طويلان يقال لهما الغريان (مثنى غرى وهو
البناء الحسن) وجعل لنفسه يومين من السنة يجلس فيهما عند القبة أحدهما يوم نعيم

(١) كان زنديقا وادعى النبوة وأمر بالتساوى فى الأموال والاشتراك فى النساء ولما
اتبعه قباذ طلب منه امرأته أم أنوشروان فسمح له فيها فترجى أنوشروان مزدك فى تركها
فتركها له بعد ان قبل أنوشروان رجله ولكنه أسرها له فى نفسه وأضمر انه اذا آل اليه
الملك يقتل المزدكية عن آخرهم فلما آل اليه الملك أهدر دماءهم وقتل مزدك رئيسهم
وأحرقه فعاد من بقى من أتباعه للديانة الأصلية التى هى المجوسية اه ملخصا من ابن الاثير

والآخر يوم بؤس فكان أول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الابل وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يقتله ويطلى بدمه القبة ثم تنصر النعمان وأهل الحيرة جميعا وكان قبل ذلك على دين العرب وأبطل تلك السنة وأمر بهدم الغريين وهو الذى بنى فى منازل آل النعمان الكنائس العظيمة وأقام النعمان الى ان قتله ابرويز كسرى بسبب قتله عدى بن زيد العبادى ترجمان كسرى بينه وبين العرب وكان قتل النعمان سببا لحرب ذى قار بين العرب والفرس على اثر ظهور الاسلام وكانت مدة ملكه فى العراق اثنتين وعشرين سنة ولما قتل النعمان أقام ابرويز كسرى مكانه فى الحيرة اياس بن قبيصة الطائى وبه انتقل الملك من اللخميين وذلك سنة ٦١١ ميلاديه وكان اياس المذكور من أشراف طى فصيحا جوادا له شهرة عظيمة فى الشجاعة والحروب عالما بأيام العرب ووقائعهم وله أشعار كثيرة فى الحماسة واستة أشهر من ملك اياس بعث النبى صلى الله عليه وسلم

ثم ملك بعد اياس ذارويه سنة ٦١٧ ميلاديه وفى أيامه وقعت حرب ذى قار بين العرب والفرس فانهزم ذارويه مع المنهزمين وعاد الملك الى أهله من اللخميين

(فملك بعده الاسود بن المنذر أخو الملك النعمان) وفى أيامه اشتهر الحرث بن كلدة الثقفى بالطب وكانت العرب تقصده من جهات بعيدة فيستوصفه من كان به علة

وبعد موت الاسود ملك المنذر بن النعمان بن المنذر ابن ماء السماء وهو المنذر الخامس وسمته العرب المغرور ولى الملك سنة ٦٣٤ ميلاديه واستمر مالكا بالحيرة الى ان قدم خالد بن الوليد واستولى عليها بعد قتله فكان هو آخر ملوك اللخميين الذين كانوا عمالا للاكاسرة على عرب العراق ومن هذا الوقت صارت الحيرة للاسلام

﴿ذكر ملوك غسان﴾

وكانوا عمالا للقياصرة على عرب الشام ومدة حكمهم (من سنة ٣٧ الى سنة ٦٣٦ ميلاديه) وأصل غسان من اليمن من بنى الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن ازد بن زيد ابن كهلان بن سبأ تفرقوا من اليمن بسبب سيل العرم الى الشمال الغربى من بلادهم وتملكوا أرض حوران (١) والبلقاء (٢) ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه والدليل على ذلك قول حسان بن ثابت الانصارى

اما سألت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان

وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعمة وكانوا من ملوك الطوائف من سليح (بفتح

(١) حوران بفتح الحاء وسكون الواو كورة عظيمة بدمشق وقصبتها بصرى

(٢) البلقاء كورة بالشام أيضا مشتملة على قرى عظيمة ومزارع واسعة اه تاج

السين المهملة وكسر اللام) فأخرجت غسان سليحا عن ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم ودام ملكهم نحو ستمائة سنة على المشهور وقيل ان ابتداء ملك الغساسنة كان قبل الاسلام بما يناهز أربعمائة سنة على ما حققه المتأخرون وعدد ملوكهم اثنان وثلاثون ملكا وأول من ملك منهم جفنة (١) بن عمرو سنة ٣٧ ميلاديه وحكم خمسين سنة وهو جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا وانما ملك جفنة المذكور وقتل ملوك سليح دانت له قضاعة ومن بالشام من الروم وعظمت دولته وبنى بالشام عدة مصانع وكانت مدة حكمه خمسين سنة

وملك بعده ابنه عمرو بن جفنة سنة ٨٧ ميلاديه وبنى بالشام عدة ديور منها دير حالى ودير أيوب ودير هند وكانت مدة حكمه نحو سبع عشرة سنة

ولما مات ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو سنة ١٠٤ ميلاديه وبنى صرح الغدير فى أطراف حوران مما يلى البلقاء وكان ملكه نحو عشرين سنة

ثم ملك بعده ابنه الحرث بن ثعلبة وذلك سنة ١٢٤ ميلاديه وكان ملكه عشر سنين

ثم ملك بعده ابنه جبلة (٢) بن الحرث سنة ١٣٤ ميلاديه وبنى القناطر (٣) وأذرح وكان ملكه عشر سنين أيضا

ثم ملك بعده ابنه الحرث بن جبلة سنة ١٤٤ ميلاديه وكانت أمه ماريه ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل فى النفاسة وماريه هذه هى التى ذكرها حسان بن ثابت فى

---

(١) جفنة اسم منقول من الجفنة التى هى بمثابة القصعة (والجفنة الرجل الكريم) وجفنة هذا هو أول من ملك من الغساسنة قال صاحب حماة وكان ذلك قبل الاسلام بما يزيد عن أربعمائة سنة وبقى الملك فيهم الى ان كان آخرهم جبلة بن الايهم الذى أسلم فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم ارتد وتنصر ولحق ببلاد الروم اه من سبائك الذهب للبغدادى (٢) جبلة كشجرة اسم لعدة مواضع ولكثير من الرجال

(٣) أذرح بفتح الهمزة وسكون الذال وضم الراء آخرها حاء مهملة بلدة بجانب الجرباء بالشام بينهما ثلاثة أميال على ما صححه المحدثون وخطؤا من قال بينهما ثلاثة أيام وقال ياقوت وحدثنى الامير شرف الدين يعقوب بن محمد الهذبانى قال رأيت أذرح والجرباء غير مرة وبينهما ميل واحد أو أقل لان الواقف فى هذه ينظر تلك واستدعى رجلا من تلك الناحية ونحن بدمشق واستشهده على صحة ذلك فشهد به ثم لقيت أنا غير واحد من أهل تلك الناحية وسألتهم عن ذلك فكل قال مثل قوله وفتحت أذرح والجرباء فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع وصولح أهل أذرح على مائة دينار جزية

قصيدة يمدح بها آل جفنة يقول فيها

لله درّ عصابة نادمتهم * يوما بجلق (١) فى الزمان الأوّل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية المعمّ المخول
يسقون من ورد البريص (٢) عليهم * بردى (٣) يصفق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شمّ الأنوف من الطراز الأوّل
يغشون حتى ماتهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

وكان مسكنه بالبلقاء وبنى بها عدة مصانع وقصور وولد له أولاد خمسة وهم المنذر الأكبر والنعمان وجبلة والايهم وعمرو ومدة حكمه ثلاث سنين

(ثم ملك بعده ابنه المنذر الأكبر) ابن الحرث بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الأوّل سنة ١٤٧ ميلاديه ومدة حكمه خمس عشرة سنة

(ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحرث) سنة ١٦٢ ميلاديه ومدة حكمه ثلاث عشرة سنة

ثم ملك بعده أخوه المنذر الثانى بن الحرث وذلك سنة ١٧٥ ميلاديه وكان ملكه أربعا وثلاثين سنة

ثم ملك بعده أخوه جبلة الثانى بن الحرث وتولى من سنة ٢٠٩ الى سنة ٢١٢ ميلاديه

اه ملخصا من تاج العروس (١) قال فى تاج العروس جلق كجمص بكسرتين مشدّدة اللام وقنب وعبارة الجوهرى تحتمل الوجهين اسم دمشق نفسها أو غوطتها يصرف ولا يصرف اه ونص عبارة الجوهرى فى الصحاح جلق بالتشديد وكسر الجيم واللام موضع بالشام (٢) قال فى القاموس والبريص كأمير موضع بدمشق وقال شارحه الصواب نهر بدمشق كما فى المحكم والتهذيب والفرق لابن السيد والمعجم ونبه على ذلك شيخنا والمصنف قلد الصاغانى وقال ابن دريد انه ليس بالعربى الصحيح واحسبه رومى الاصل وقد تكلمت به العرب وذكر بيت حسان رضى الله عنه ثم قال وقال بعض ان البريص اسم للغوطة بأجمعها (وتذكر ياقوت ما يؤيد ذلك وهو اليق ببيت حسان) واستدل بقول واعلة الجرمى فالحم الغراب لنا بزاد * ولا سرطان انهار البريص

وقال شيخنا ورأيت كثيرا من شراح الشواهد وغيرهم يروونه البريض بالضاد المعجمة ويتشدقون به كثيرا فى مجالسهم جهلا وتقاعدا للتصحيف أو عدم وقوف على الحقيقة أو أخذ عن ماهر عرّيف نعم وان كان البريض أو البريض بلدة أو واد أو موضع وقع فى كلام امرئ القيس فانه لا يصح ارادته هنا اه تاج (٣) بردى بثلاث فتحات كجمزى نهر دمشق الاعظم قال نفطويه وهو مما يكتب بالياء ومخرجه من قرية يقال لها قنوا من

ثم ملك بعده أخوه الأيهم بن الحرث وملكه من سنة ٢١٢ الى سنة ٢٣٨ ميلاديه وبنى دير ضخم وغيره

ثم ملك بعده أخوه عمرو الثانى بن الحرث وكان كثير الكبرياء ذميما قبيح السيرة والمنظر أنشأ فى دمشق وضواحيها ومعاملاتها عدة قصور شامخة منها قصر القضاء وصفات العجلات وقصر منار وصوّر فى بعض هذه القصور مجالسه وجلساء دولته وأشكال صورته فكانت قصوره متنزهات لامثيل لها وقد قيل انه كان قد جعل لنفسه فى كل ليلة جارية عذراء من السبايا التى كانت تصيبها خيله التى كانت تغير فى البلاد على العصاة وبقى ذلك دأبه حتى وقعت عنده فى بعض السبايا أخت عمرو العدوانى فلم يشعر الا وقد وقف به أخوها وهو يقول

يا أيها الملك المهيب أما ترى * صبحا وليلا كيف يختلفان
هل تستطيع الشمس أن يأتى بها * ليلا وهل لك بالصباح يدان
فاعلم وأيقن أن ملكك زائل * وكما تدين تدان عقد رهان

فكانت هذه الابيات رادعة له وسببا فى تركه هذه العادة فانه لما سمعها قال له قد أمنك الله على من لك عندى وأمن كل الناس على من بقى عنده من السبايا ولم يعد الى هذه الحالة بعد وكان هذا أقل فوائد الشعر ونتائجه فى تلك الازمان

ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وكان ملكه ثلاثين سنة

ثم ملك بعده جفنة الاصغر بن المنذر الاكبر سنة ٢٦٨ ميلاديه وهو الذى أحرق الحيرة ولذلك سموا ولده آل محرق

ثم ملك بعده أخوه النعمان الاصغر بن المنذر الاكبر سنة ٢٦٩ ميلاديه

ثم ملك بعده النعمان بن عمرو بن المنذر وهو الذى بنى قصر السويداء وقصر حارب ولم يكن عمرو أبو النعمان ملكا وفيه يقول النابغة الذبيانى

على لعمرو نعمة بعد نعمة * لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان ابنه جبلة سنة ٣١٢ ميلاديه وهو الذى قاتل المنذر ابن ماء السماء وكان جبلة المذكور ينزل بصفين وهو صاحب يوم عين اباغ الذى فتك فيه ببنى نجم ونزار وكان ملكه ٢٢ سنة

ثم ملك بعده النعمان بن الايهم بن الحرث بن ثعلبة سنة ٣٣٤ ميلاديه وكان ملكه سبعا وثلاثين سنة

ثم ملك بعده أخوه الحرث بن الايهم سنة ٣٧١ ميلاديه وملك ١٨ سنة

ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحرث سنة ٣٨٩ ميلاديه وهو الذى أصلح صهاريج الرصافة (١) وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين

ثم ملك بعده المنذر بن النعمان سنة ٤٠٨ ميلاديه وملك ثلاثا وثلاثين سنة

ثم ملك بعده أخوه عمرو بن النعمان سنة ٤٤١ ميلاديه

ثم ملك بعدهما أخوهما حجر بن النعمان سنة ٤٥٣ ميلاديه وملك ستا وعشرين سنة

ثم ملك بعده ابنه الحرث بن حجر ومدة ملكه ١٧ سنة

كورة (الزبدانى) بفتح فسكون على خمسة فراسخ من دمشق مما يلى بعلبك يظهر الماء من عيون هنالك ثم يصب الى قرية على فرسخين من دمشق وتنضم اليه أعين أخرى ثم يخرج الجميع الى قرية تعرف بجمزايا فيفترق حينئذ فيصير أكثره فى بردى ويحمل الباقى نهر يزيد فى لحف بعض جبل قاسيون فاذا صار ماء بردى الى قرية يقال لها دامرا افترق على ثلاثة أقسام لبردى منه نحو النصف ويفترق الباقى نهرين يقال لاحدهما ثورا فى شمالى بردى وللآخر باناس فى قبليه وتمر هذه الانهار الثلاثة بالبوادى ثم بالغوطة حتى يمر بمدينة دمشق فى ظاهرها فيشق ما بينها وبين العقبة حتى يصب فى بحيرة المرج فى شرقى دمشق ويساوقه من الجهة الشمالية نهر ثورا وفى شمال نهر ثورا يزيد الى ان ينفصل عن دمشق وبساتينها وأما باناس فانه يدخل فى وسط مدينة دمشق فيكون منه مياه قنواتها وينفصل باقيه فيسقى زروعها من جهة الباب الصغير والشرقى وقد أكثر الشعراء فى وصف بردى فى شعرهم وهو جدير بذلك فانه من أنزه انهار الدنيا قال أبو المطاع بن حمدان

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها * فلى بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء الا استخفنى * الى بردى والنيرين حنين

وقال العماد يذكر هذه الانهار من قصيدة له

الى ناس باناس لى صبوة * فلى الوجد داع وذكرى مثير
يزيد اشتياقى وينمو كما * يزيد يزيد وثورا يثور
ومن بردى برد قلبى المشوق * فها أنا من حره مستجير

(١) قال فى لسان الرصافة كل منبت بالسواد وقد غلب على موضع ببغداد والشام وقال ياقوت فى المشترك الرصافة أحد عشر موضعا منها بلد بالشام غربى الرقة وهى رصافة هشام بن عبد الملك ومحله ببغداد بها تربة أكثر الخلفاء ويقربها مشهد الامام أبى حنيفة وفيها يقول الشاعر

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

(ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث) واستقر على سرير الملك من سنة ٤٩٦ الى سنة ٥١٧
(ثم ملك بعده ابنه الحارث بن جبلة) وهو الذى أوقع ببنى كنانة وكان يسكن احيانا بالجابية (١) واحيانا بالبلقاء وكان ابتداء ملكه سنة ٥١٧ ميلاديه وكان الحارث كثير المغازى والغارات على قبائل العرب كريما جوادا كثير المواهب ولذا كانت العرب تدعوه الوهاب وقيل انه لم يجتمع من الشعراء بباب أحد من ملوك عصره كما كان يجتمع ببابه وكان حسان بن ثابت الانصارى الشاعر المشهور منقطعا اليه وله فيه مدائح كثيرة وكانت مدة ملكه ٣٧ سنة

(ثم ملك بعده النعمان بن الحرث) سنة ٥٥٤ ميلاديه وكنيته أبو كرب وكان النعمان ملكا عادلا شجاعا فاضلا كثير الخير قليل الشر حسن الخلق والخلق يحب العلماء والفضلاء ويقدمهم على أشراف الناس وكان شديد الاجتهاد فى انتشار النصرانية أكثر من أجداده وتوفى النعمان قتيلا فى بعض مغازيه سنة ٥٨١ ميلاديه وكانت مدة ملكه ٢٧ سنة

ثم ملك بعده الأيهم سنة ٥٨١ ميلاديه وهو ابن جبلة بن الحرث وهو صاحب تدمر وكان عامله يقال له القين بن جسر وبنى له بالبرية قصرا عظيما ومصانع

ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة سنة ٥٩٤ ميلاديه وملك ٢٥ سنة

ثم ملك بعدهما أخوهما شراحيل وقيل شرحبيل سنة ٦١٩ ميلاديه وكانت مدة ملكه عشر سنين ولم يؤثر عنه شئ

ثم ملك بعدهم أخوهم عمرو بن جبلة سنة ٦٢٩ ميلاديه وملك أربع سنين

ثم ملك بعده ابن أخيه جبلة الخامس ابن الحارث بن جبلة سنة ٦٣٣ ميلاديه وملك ثلاث سنين

ثم ملك بعده (جبلة بن الايهم) وهو آخر ملوك غسان واستقر على سرير الملك سنة ٦٣٦ ميلاديه وكان طويل القامة نحيف الجسم يلبس الثياب الفاخرة وهو الذى بنى مدينة جبلة بين طرابلس واللاذقية (وتعرف الآن بجبلة الادهمية نسبة الى السلطان ابراهيم ابن أدهم الزاهد المدفون بها) وسماها باسمه وقد أسلم فى خلافة عمر بن الخطاب عند افتتاح الشام ثم عاد الى الروم وتنصر وسبب ذلك انه خرج الى الحج فى السنة المذكورة فحج جبلة معه فبينما جبلة بالطواف اذ وطئ رجل من بنى فزارة على ازار فاطمه جبلة فهشم أنفه فاقبل الفزارى الى عمر فشكاه له فاحضره عمر وقال افد نفسك والا أمرته أن يلطمك

(١) بلدة مشهورة بدمشق وباب الجابية أحد أبوابها المشهورة قاموس

فقال جبلة كيف ذلك وأنا ملكك وهو سوقة فقال عمر ان الاسلام جمعكما وسوّى بين الملك والسوقة فى الحد فقال جبلة أتنصر فقال عمر ان تنصرت ضربت عنقك فقال انظرنى ليلتى هذه فانظره فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورحله الى الشام ثم سار الى القسطنطينية وتبعه رجل من قومه فتنصروا عن آخرهم وفرح هرقل بهم وأكرمهم ثم ندم جبلة على فعله ذلك وقال

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تعنفنى فيها لجاج ونخوة * فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت امى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى القول الذى قاله عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى سالم السمع والبصر

ولما تنصر جبلة ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية اقطعه هرقل الاموال والضياع وبقى عنده ماشاء الله ثم ان عمر رضى الله عنه بعث الى هرقل رسولا يدعوه الى الاسلام أو اتيان الجزية فاجاب الى الجزية فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل ألقيت ابن عمك الذى عندنا يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا قال ما لقيته قال القه ثم ائتنى اعطك كتابك قال الرسول فلم أزل أتلطف فى الاذن حتى أذن لى فدخلت عليه وهو جالس على سرير من قوارير قوائمه من الذهب فلما عرفنى أجلسنى معه على سريره وجعل يسألنى عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت قد زادوا اضعافا على ما تعرف قال وكيف تركت عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين قلت بخير حال فرأيت الغضب فى وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم أبيت الكرامة التى أكرمتك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال على ما جلست فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فى اسلامه فقلت له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال بعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من بنى فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل منه ذلك وقد خلفته بالمدينة مسلما وأمرك أخف من أمره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل الفزارى قال ذرنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر بعده ان أسلمت قال اضمن لك التزويج ولا أضمن لك الامر قال ثم أومأ الى خادم بجواره فذهب مسرعا فاذا خدم جاؤا يحملون اطباق الطعام ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى

كل فقبضت يدى وقلت ان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فاكل فى الذهب وأكلت فى الخلنج (١) ثم جىء بطست الذهب وأباريق الفضة فغسل يده فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم أومأ الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت صوتا فاذا خدم معهن كئوس مرصعة بالاحجار والجواهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى عليهن تيجان الذهب المرصعة بالاحجار والجواهر فقعدن عن يمينه وشماله على كراس مصفوفة ثم جاءت جارية كانها الشمس حسنا على رأسها تاج فاخر وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها اليمنى جامة فيها المسك المبثوث وفى يدها اليسرى جامة فيها دهن الورد فاومأت تلك الجارية وصفرت للطائر الذى على رأسها فنزل فى جامة دهن الورد فاضطرب فيه ثم اومأت اليه ثانيا فطار ونزل الجامة التى فيها فتيت المسك ثم طار ونزل على صليب فى تاج جبلة ولم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت نواجذه ثم التفت الى الجوارى اللواتى عن يمينه وقال لهن بالله اضحكننا فاندفعن يغنين وعيدانهن تخفق

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال فضحك جبلة حتى بدت نواجذه ثم قال أتدرى من قال هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى الجوارى اللاتى عن يساره وقال لهن ابكينا فاندفعن يغنين تخفق عيدانهن ويقلن

لمن الديار اقفرت بغان (٢) * بين أعلى اليرموك والصمان (٣)

---

(١) والخلنج كسمند فارسى معرب يتخذ من خشبه الأوانى وفى اللسان قيل هو كل جفنة وصحفة وآنية صنعت من خشب ذى طرائق وأساريع موشاة والجمع خلانج اه تاج

(٢) قال فى الصحاح المغنى واحد المغانى وهى المواضع التى كان بها أهلوها وفى القاموس المغنى المنزل الذى غنى به أهله ثم ظعنوا (٣) والصمان بالفتح والتشديد كل أرض صلبة ذات حجارة الى جنب رمل كالصمانة سميت به لصلابتها وشدتها وقيل هى أرض غليظة دون الجبل واسم لموضع كذلك بالشام جهة اليرموك والصمان أيضا موضع بعالج وعالج رمل بالدهناء وقال نصر الصمان جبل أحمر فى أرض تميم يمتد ثلاث ليال بينه وبين البصرة تسعة أيام وقيل على ضفة فلج الى الرمل وآخره فى ديار أسد قال الازهرى وقد شتوت فى الصمان شتوتين وهى أرض فيها غلاظ وارتفاع وفيها قيعان

﴿الى ان قلن﴾

ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـ * ـر وحقا تصرف الازمان

فبكى حتى سالت دموعه على لحيته وقال أتدرى من يقول هذا فقلت لا قال حسان ثم أنشده تنصرت الاشراف الابيات ثم سألنى عن حسان أحى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى كذلك وأمر بمال لحسان ونوق موقرة ثم قال لى ان وجدته حيا فادفع له الهدية واقرئه منى السلام وان وجدته ميتا فادفعها لأهله وانحر النوق على قبره فلما عدت الى المدينة وأخبرت عمر بخبره وما اشترط على وما ضمنت له قال فهلا ضمنت له الأمر فاذا أفاء الله به قضى علينا بحكمه ثم جهزنى عمر الى هرقل ثانية وأمرنى ان أضمن له ما اشترط رغبة فى اسلامه فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء قد غلب عليه فى ام الكتاب اه من جواهر السلوك فى تاريخ الملوك وما ذكرناه من الدول هو الاشهر وهذه الدول الثلاثة كانت مالكة على العرب فى مملكة اليمن ومملكة العراق ومملكة الشام وكان يوجد فى بلاد العرب غير هذه الممالك الكبيرة عدة ممالك صغيرة اخرى مستقلة بنفسها كـكندة ومعد وكلاب وقد وجد فى بعض ملوك هذه الممالك من اشتهر بالحكمة والعدالة الا انه قد غاب عنا كثير من اخبارهم ولم يبق معلوما لنا منها الا اشتغالهم بمحاربة بعضهم بعضا أما قبيلة كندة التى هى من نسل قحطان فقد أسست مملكة فى نجد وذلك من سنة ٤٥٠ الى سنة ٥٣٠ ميلاديه

﴿ذكر ملوك كندة﴾

كان تملكهم على الحجاز من سنة ٤٥٠ ميلاديه الى سنة ٥٣٠ ميلاديه وأول من ملك منهم هو (حجر آكل المرار بن عمرو) وهو من ولد كندة واسم كندة ثور بن عفير بن الحارث من ولد زيد بن كهلان بن سبا وكانت كندة قبل ان يملك عليهم حجر بغير ملك فاكل القوى الضعيف فلما ملك حجر سدد أمورهم وساسهم أحسن سياسة وانتزع من اللخميين ما كان بايديهم من أرض بكر بن وائل وكان ابتداء ملكه سنة ٤٥٠ ميلاديه وبقى حجر آكل المرار كذلك حتى مات وكانت مدة ملكه عشرين سنة ولقب بآكل المرار لانه كان قد بلغه وقوع خيانة من زوجته فاستشاط غضبا وصار يأكل المرار فقيل له ذلك وقيل لكون امرأته قالت فى ذمه كانه جمل قد أكل المرار لبغضها له فغلب ذلك

واسعة وبرار تنبت السدر ومياه عذبة ورياض معشبة واذا أخصب الصمان رتعت العرب جميعها وكانت الصمان فى قديم الدهر لبنى حنظلة والحزن لبنى يربوع والصمان متاخم الدهناء اه تاج

عليه

عليه وصار لقبا له

(وملك بعد حجر المذكور ابنه عمرو) ويقال له المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه ولم يفتح فتوحات اخرى وأقام فى الملك مدة الى ان قتله الحارث بن شمر الغسانى ولم تعلم مدة اقامته فى الملك

(ثم ملك بعده ابنه الحرث) وقوى ملكه ووافق كسرى قباذ بن فيروز على الزندقة فساعده كسرى وطرد المنذر بن ماء السماء عن ملك الحيرة وملك الحرث المذكور موضعه فعظم شأنه وبقى كذلك الى ان تملك كسرى أنوشروان فاعاد المنذر الى ملك الحيرة وطرد الحرث منها فخرج هاربا وتبعته تغلب وعدة قبائل فظفروا باموواله وبار بعين نفسا من بنى حجر آكل المرار منهم اثنان من ولد حارث المذكور وقتلهم المنذر عن آخرهم فى ديار بنى مرين وفى ذلك يقول امرؤ القيس بن حجر بن الحرث المذكور

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبناء الملوك مصفدينا
ملوك من بنى حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة اصيبوا * ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن فى الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

وهرب الحرث الى ديار كلب وبقى بها حتى عدم واختلف فى صورة عدمه وكان الحرث المذكور قد ملك ابنه حجر بن الحرث على بنى أسد بن خزيمة بن مدركة وملك أيضا باقى بنيه على قبائل العرب فملك ابنه شراحيل بن الحرث على بكر بن وائل (وملك ابنه معدى كرب بن الحرث) وكان يلقب بغلفاء لتغليفه رأسه بالطيب (وملك ابنه سلمة على تغلب والنمر) أما حجر المذكور وهو أبو امرئ القيس الشاعر فبقى أمره مطاعا فى بنى أسد مدة ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم وبالغ فى نكايتهم فدخلوا تحت طاعته واتبعوا جميع أوامره ثم هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة وسبب ذلك انه مع سوء تصرفه وقبح معاملته لهم وتكثير المظالم عليهم كان له عليهم اتاوة سنوية يدفعونها اليه فقصروا عن أدائها وهربوا فبعث اليهم جابيه فامتنعوا عليه وضربوه وأهانوا أصحابه وكان حجر يومئذ بتهامة وهى خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن كما سبق فلما بلغه ذلك سار اليهم برجال من ربيعة وجند من رجال أخيه فظفر بهم وأخذ سراتهم وجعل يضربهم بالعصا فقيل لهم عبيد العصا وقتلهم واستباح أموالهم وسير من بقى منهم الى تهامة وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كلدة بن فزارة الاسدى وكان سيد قومه وعبيد بن الابرص

الشاعر المشهور وأما بنو أسد فلما رأوا ذلك تآمروا وقالوا لئن قهركم هذا ليحكمن عليكم حكم الصبي فما خير عيش يكون بعد قهر وأنتم بحمد الله أشد العرب فوثبوا كرا مائم ساروا الى حجر وقد ارتحل اليهم في بني كندة فالتقوا به واقتتلوا قتالا شديدا وكانت المعركة بين أبرقين من بلادهم يدعيان الى اليوم أبرقا حجر وكان صاحب أمر الاسديين علباء بن الحرث الكاهلي فحمل على حجر وطعنه بالرمح في شاكلته فخر قتيلا وقيل ان قاتله كان ابن اخت علباء وكان حجر قد قتل اباه ولما قتل حجر انهزمت بنو كندة وكان آخر العهد بهم وفي مقتل حجر المذكور يقول ابنه امرؤ القيس أبياتا منها

بنو أسد قتلوا ربهم * الا كل شئ سواه جلل (١)

وكان امرؤ القيس لما سمع بمقتل أبيه بموضع يقال له دمون من أرض اليمن قال في ذلك شعرا

تطاول الليل على دمون * دمون انا معشر يمانون

ثم استنجد امرؤ القيس ببكر وتغلب على بني أسد فانجدوه وهربت بنو أسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم ثم تخاذلت عنه بكر وتغلب وتطلبه المنذر بن ماء السماء فتفرقت جموع امرئ القيس خوفا من المنذر وخاف امرؤ القيس أيضا وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من اناس الى اناس حتى قصد السموأل بن عاديا اليهودي فأكرمه وأنزله وأقام امرؤ القيس عند السموأل ما شاء الله ثم سار امرؤ القيس الى قيصر ملك الروم مستنجدا به وأودع أدرعه عند السموأل بن عاديا المذكور ومر على حماة وشيزر وقال في مسيره قصيدته المشهورة التي مطلعها (سما لك شوق بعد ما كان أقصرا) الى ان قال

تقطع أسباب اللبانة والهوى * عشية جاوزنا حماة وشيزرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينيك انما * نحاول ملكا او نموت فنعذرا

وكان بامرئ القيس قرحة قد طالت به وفي ذلك يقول أبياته التي منها

وبدلت قرحا داميا بعد صحة * (٢) لعل منايانا تحولن أبؤسا

---

(١) تأتي حرف جواب بمعنى نعم واسما بمعنى حقير أو يسير كما في هذا البيت وبمعنى عظيم كقوله

فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمي

(٢) أي لعل ما بي من الشدة والبلاء عوض من الموت وفي رواية (فيالك من نعمى تحولن أبؤسا) وهو توجع لفقد صحته وتلهف على ذهابها وتأسف على تبدلها اسقاما وقد رد الضمير على نعمى ضمير جمع على الرواية الاخرى كما في شرح ديوانه

فمات امرؤ القيس بعد عوده من عند قيصر فى بلاد الروم عند جبل يقال له عسيب ولما علم بموته هناك قال

أجارتنا ان الخطوب تنوب * وانى مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا مقيمان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وقد قيل ان ملك الروم سمه فى حلة وجعل بعض المؤرخين هذا القول من الخرافات ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبى شمر الغسانى الى السموأل وطلبه بادرع امرئ القيس وماله عنده وكانت الادرع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموأل فلما امتنع السموأل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث اما ان تسلم الادرع واما قتلت ابنك فأبى السموأل ان يسلم الادرع فقتل ابنه امامه فقال السموأل فى ذلك أبياتا

وفيت بادرع الكندى انى * اذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بان لا * تهدم ياسموأل ما بنيت

وقد ذكر الاعشى هذه الحادثة فقال

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار
فشك غير طويل ثم قال له * أقتل أسيرك انى مانع جارى

انتهى الكلام فى ملوك كندة

﴿ذكر ملوك جرهم﴾

أما جرهم فهم صنفان جرهم الاولى وكانوا على عهد عاد فبادوا ودرست اخبارهم وهم من العرب البائدة كما سبق وأما جرهم الثانية فهم من ولد جرهم بن قحطان وكان جرهم أخا يعرب بن قحطان فملك يعرب اليمن وملك أخوه جرهم الحجاز ثم ملك بعد جرهم ابنه عبد ياليل بن جرهم ثم ابنه جرشم بن عبد ياليل ثم ابنه عبد المدان بن جرشم ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح ثم ابنه عمرو بن مضاض ثم أخوه الحرث بن مضاض ثم ابنه عمرو بن الحرث ثم أخوه بشر بن الحرث ثم مضاض ابن عمرو بن مضاض وجرهم المذكورون هم الذين اتصل بهم اسمعيل وتزوج منهم كما سيأتى

ولما انقضى عهد مضاض بن عمرو آخر ملوك جرهم تولى مملكة الحجاز عدة من الملوك من قضاعة من نسل قحطان أيضا وقد ذهبت عنا تفاصيل اخبارهم وغاية ما علم عنهم انهم كانوا حاكمين على تلك البلاد وكانت فى أيديهم سدانة الكعبة الى سنة ٤٥٦ ميلادية ثم انتقلت من هذا العهد السدانة الى امراء الحجاز الذين تولوا أمر البلاد بعد ملوك قضاعة

وكلهم من نسل اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وهم أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وأول أمير منهم هو عدنان الذي ينتهي اليه نسبه الشريف ولم تزل الامارة تنتقل فيهم على عمود النسب النبوي الى ان وصلت الى عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم ثم كانت النبوة التي انقادت بها العرب والعجم الى حكمه صلى الله عليه وسلم حيث جمع كلمة العرب وساسهم خير سياسة بشريعته الغراء كما سيأتي في سيرته الشريفة

﴿ذكر عدة من ملوك العرب متفرقين﴾

فمنهم عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد من ولد كهلان بن سبأ وكان عمرو بن لحي المذكور ملكا على الحجاز وكان كثير الذكر في الجاهلية واليه تنسب خزاعة فيقولون انهم من ولد كعب بن عمرو المذكور وكان جلوسه على سرير الملك سنة ٢٠٧ مسيحية قال الشهرستاني وعمرو بن لحي المذكور هو أول من جعل الاصنام على الكعبة وعبدها فاطاعته العرب وعبدوها معه واستمرت العرب على عبادة الاصنام حتى جاء الاسلام وكان سبب ذلك ان عمرا المذكور سار الى البلقاء من الشام فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والاشخاص البشرية تستنصر بها فتنصر ونستسقي بها فنسقى فاعجبه ذلك فطلب منهم صنما فدفعوا اليه هبل فسار به الى مكة ووضعه على الكعبة واستحب أيضا صنمين يقال لهما أساف ونائلة وكان أساف على صورة رجل ونائلة على صورة امرأة ودعا الناس الى تعظيم الأصنام والتقرب اليها فاجابوه وقد ذكر الشهرستاني ان ذلك كان في أيام سابور وكان قبل الاسلام بنحو أربعمائة سنة وهو صحيح ان كان سابور بن اردشير بن بابك واما ان كان سابور ذا الاكتاف فهو أبعد عن الصواب لانه بعد سابور الاول بمدة كثيرة وكان عمرو ينكر بعث الاجساد وهو القائل

حياة ثم موت ثم حشر * حديث خرافة يا ام عمرو

وكان ملكه ٣٣ سنة

ومن ملوك العرب (زهير بن جناب) بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبي وكان يسمى زهيرا المذكور الكاهن لصحة رأيه عاش عمرا طويلا وغزا غزوات كثيرة وكان ميمون الطالع سعيدا في غزواته ولذلك كان لا تمضي عليه سنة الا غزا فيها واجتمعت عليه قضاعة فغزا بهم غطفان بسبب ان بني بغيض بن ريث بن غطفان بنواحرما مثل حرم مكة وولي سدانته منهم بنو مرة بن عوف فلما بلغ زهيرا ذلك قال والله لا يكون ذلك أبدا ولا أترك غطفان تتخذ حرما وغزاهم وجرى بينهم قتال شديد

وظفر بهم زهير وأبطل حرمهم وأخذ أموالهم وردنساءهم عليهم وفى ذلك يقول أبيا تامنها

ولولا الفضل منا ما رجعتم * الى عذراء شيمتها الحياء

وكان زهير المذكور قد اجتمع بابرهة الاشرم الحبشى صاحب الفيل فاكرمه أبرهة وفضله على غيره من العرب وأمره على بكر وتغلب وبنى وائل واستمر زهير أميرا عليهم حتى خرجوا عن طاعته فغزاهم أيضا وقتل منهم وكذلك غزا بنى العين وجرى له معهم حروب يطول شرحها وكان الظفر لزهير ولما أسن زهير المذكور شرب الخمر صرفا حتى مات قال ابن الاثير وممن شرب الخمر صرفا حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبى وأبو عامر ملاعب الاسنة العامرى وزهير بن جناب الكلبى

ومن ملوك العرب أيضا (كليب بن ربيعة) بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ووائل هو ابن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان وكان كليب المذكور اسمه وائل وكليب لقب غلب عليه لأنه كان يلقى كلبا صغيرا فى أطراف مراعيه فاذا أقبل الرعاة سمعوا صوته فتأخروا عنها وقالوا كليب وائل ثم غلب ذلك عليه وملك كليب على بنى معد وقاتل جموع اليمن وهزمهم وعظم شأنه وبقى زمانا من الدهر ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه فصار يحمى عليهم مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يصاد ولا ترد ابل مع ابله ولا توقد نار من ناره وبقى كذلك حتى قتله جساس بن مرة بن ذهل (١) بن شيبان وشيبان من بنى بكر ابن وائل المذكور وكان سبب مقتل كليب ان رجلا من جرم نزل على خالة جساس وكان اسم خالته المذكورة البسوس بنت منقذ التميمية وكان للجرمى المذكور ناقة اسمها سراب فوجدها كليب ترعى فى حماه فضربها بالنشاب فاخرم ضرعها وجاءت الناقة الى الجرمى صاحبها مجروحة فصرخ بالذل فلما سمعته البسوس وضعت يدها على رأسها وصاحت واذلاه بسبب نزيلها الجرمى فاستنصر جساس لخالته وركب فرسا كان مغرورا به وأخذ آلة حربه وتبعه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان على فرسه ومعه رمحه حتى دخلا على كليب وهو منفرد فى حماه فقال له جساس انك قد عقرت ناقة جارتى فقال أترك مانعى ان أذب عن حماى فاحمه الغضب فطعنه بالرمح فقتله فوقع كليب

(١) بضم الذال وسكون الهاء آخره لام وقيل انهما اشتركا فى قتله فطعنه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو بن الحرث من خلفه فقطع بطنه كما فى العقد الفريد

وهو يفحص برجله وقال لجساس أغثني بشربة من ماء فقال تجاوزت شبيثا (١)
والاحص وفي ذلك يقول عمرو بن الاهتم

وان كليبا كان يظلم قومه * فادركه مثل الذي تريان
فلما حشاه الرمح كف ابن عمه * تذكر ظلم الاهل اي أوان
وقال لجساس اغثني بشربة * والا فخبر من رأيت مكاني
فقال تجاوزت الاحص وماءه * وبطن شبيث وهو غير دفان

ولما قتل كليب وبلغ خبره لأخيه المهلهل (٢) استعد لحرب بكر وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه وأرسل رجالا منهم الى بني شيبان فاتوا مرة بن ذهل ابن شيبان وهو في نادي قومه فقالوا له انكم أتيتم أمرا عظيما بقتلكم كليبا بناب من الابل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا نعرض عليكم خلالا أربعا لكم فيها مخرج ولنا بها مقنع فقال مرة وما هي قال تحيي لنا كليبا أو تدفع الينا جساسا فنقتله به أو هما ما فانه كفء له أو تمكننا من نفسك فان فيك وفاء من دمه فقال أما احياء كليب فهذا مما لا يكون وأما جساس فانه غلام طعن طعنته على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أي البلاد احتوى عليه وأما هما فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلا يسلمونه لي فادفعه اليكم يقتل بجريمة غيره وأما أنا فهل هو الا ان تحول الخيل جولة غدا فاكون أول قتيل بينها فما التخوف من الموت ولكن لكم عندي خصلتان أما احداهما فهؤلاء أبنائي الباقون فخذوا أيهم شئتم فانطلقوا به الى رجالكم فاذبحوه ذبح الجزور والا فالف ناقة سوداء المقل حمر الوبر أقيم لكم بها كفيلا من بني وائل فغضب القوم وقالوا لقد اسأت تبذل لنا صغار ولدك وتسومنا النعم واللبن من دم كليب ووقع الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها ودعت النمر بن قاسط فانضمت الى بني كليب وصار وايدا معهم على بكر ولحقت بهم عقيلة ابن قاسط واعتزلت قبائل بكر ابن وائل وكرهوا مجاملة بني شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم وأعظموا قتل جساس كليبا بناب من الابل فتحولت لجيم عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم وانقبض الحارث بن

(١) شبيث كزبير ماء معروف وفي المعجم موضع بنجد يذكر مع الاحص بهما منازل بني ربيعة ثم منازل بكر بن وائل وتغلب وهما موضعان بالشام أيضا قال ياقوت وهذا من ترادف الاسمين بمكانين بالشام ومكانين بنجد من غير قصد فهو عجيب ويجوز أن تكون ربيعة فارقت منازلها وقدمت الشام فاقاموا به وسموا هذه بتلك اه تاج

(٢) واسمه عدي وانما قيل له المهلهل لانه اول من هلهل الشعر أي أرقه وأصلحه

عباد فى أهل بيته وهو أبو بجير وفارس النعامة وقال المهلهل يرثى كليبا بقصائد منها

كليب لاخير فى الدنيا ومن فيها * اذا نت خليتها فيمن يخليها
كليب أى فتى عز ومكرمة * تحت السفائف (١) اذ يعلوك سافيها
نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم * مانت بنا الارض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته * ما كل آلائه ياقوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها * زهوا اذ الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ماتلفى أسنتها * الاوقد خضبوها من أعاديها
يهزهزون من الخطى مدمجة * كمتا أنابيبها زرقا عواليها
ترى الرماح بايدينا فنوردها * بيضا ونصدرها حمرا أعاليها
لمت السماء على من تحتها وقعت * وانشقت الارض فانجابت بمن فيها
لاأصلح الله منا من يصالحكم * مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

وجمع مهلهل قبائل تغلب واقتتل مع بنى بكر وجرى بينهم عدة وقائع أولها (يوم عنيزة) (٢) وكانوا فى القتال على السواء ثم التقوا بماء يقال له النهى (٣) وكان رئيس تغلب مهلهلا ورئيس بنى شيبان بن بكر الحرث بن مرة أخا جساس وكان النصر لبنى تغلب وقتل من بكر جماعة ولم يقتل أحد من بنى مرة ثم التقوا (بالذنائب) (٤) وهى من أعظم وقائعهم فانتصر مهلهل وبنو تغلب وقتل من بنى بكر طائفة عظيمة وقتل من بنى شيبان جماعة منهم شراحيل بن هشام بن مرة وهو ابن أخى جساس وجد معن بن زائدة الشيبانى

---

(١) السفساف مادق من التراب والمسفسفة الريح التى تثيره وقيل أصله من سفساف الدقيق وهو مايطير ويرتفع من غباره عند النخل ويطلق على كل ريح ردىء سفساف والسفائف جمع سفيفة والسافى هو ماتثيره الرياح من التراب أيضا

(٢) عنيزة كجهينة هضبة سوداء ببطن فلج اه قاموس

(٣) النهى بالفتح والكسر الغدير وفى الصحاح النهى بالكسر فى لغة أهل نجد وغيرهم يقوله بالفتح وبعض العرب يقول نهى بالضم وأنشد ابن سيده

ظلت بنهى البردان تغتسل * تشرب منه نهلات وتعل اه تاج

(٤) الذنائب بالضم موضع بنجد وهو على يسار طريق مكة قال مهلهل

فان يك بالذنائب طال ليلى * فقد أبكى على الليل القصير

وفى كتاب أبى عبيد قالوا الذنائب عن يسار ولجة للصعد الى مكة وبه قبر كليب وفيه منازل ربيعة ومنازل بنى وائل اه تاج

وقتل أيضا الحارث بن مرة وهو أخو جساس وكذلك قتل جماعة من رؤساء بنى بكر ثم التقوا (يوم واردات) (١) فظفرت تغلب أيضا وكثر القتل فى بكر وقتل همام أخو جساس فمر به مهلهل فلما رآه قتيلا قال والله ما قتل بعد كليب أعز على منك وتالله لا تجتمع بكر بعدك على خير أبدا وجعلت تغلب تطلب جساسا أشد الطلب فقال له أبوه مرة الحق بأخوالك بالشام وأرسله سرا مع نفر قليل و بلغ مهلهلا الخبر فارسل فى طلبه ثلاثين نفرا فادركوا جساسا واقتتلوا فلم يسلم من أصحاب مهلهل غير رجلين وكذلك لم يسلم من البكريين أصحاب جساس غير رجلين وجرح جساس جرحا شديدا سات به وعاد الذين سلموا فخبروا أصحابهم فلما سمع مرة بقتل ابنه جساس قال انما يحزننى ان كان لم يقتل منهم أحدا فقيل له انه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة عشر رجلا ما شاركه منا أحد فى قتلهم وقتلنا نحن الباقين فقال ذلك مما يسكن قلبى وقيل فى قتل جساس غير ذلك فلما قتل جساس قال أبوه مرة لمهلهل انك قد أدركت ثارك وقتلت جساسا فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والاسراف وأصلح ذات البين فهو أصلح للحيين وانكأ لعدوهم فلم يقبل ذلك وكان الحارث بن عباد قد اعتزل الحرب فلم يشهدها فلما قتل جساس وهمام بن مرة حمل ابنه بجيرا (٢) وكتب معه الى مهلهل انك قد أسرفت فى القتل وأدركت ثارك سوى من قتل من بكر وقد أرسلت ابنى اليك فاما قتلته باخيك وأصلحت بين الحيين واما أطلقته وأصلحت ذات البين فقد مضى من الحيين فى هذه الحروب من كان بقاؤه خيرا لنا ولكم فلما وقف على كتابه أخذ بجيرا فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب وقيل فى قتله غير ذلك ولما بلغ الحارث قتل ابنه قال نعم القتيل قتيلا أصلح بين ابنى وائل وظن ان مهلهلا قد أدرك به ثار كليب وجعله كفؤا له فقيل له انما قتله بشسع نعل كليب فغضب الحارث بن عباد عند ذلك وآلى انه لا يصالح تغلبا حتى تكلمه الارض وقال قصيدته المشهورة

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة منى * شاب رأسى وأنكرتنى رجالى
لم أكن من جناتها علم الله * وانى بحرها اليوم صالى
قربا مربط النعامة منى * جد نوح النساء بالاعوال
قربا مربط النعامة منى * للسرى والغدو والآصال
قربا مربط النعامة منى * طال صبرى على الليالى الطوال

(١) واردات اسم موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها اه تاج
(٢) وقيل انه ابن اخيه كما فى العقد الفريد

قربا مربط النعامة منى * لاعتناق الابطال بالابطال
قربا مربط النعامة منى * واعدلا عن مقالة الجهال
قربا مربط النعامة منى * ليس قلبى عن القتال بسال
قربا مربط النعامة منى * ان قتل الكريم بالشسع غال
يابجير الخيرات لاصلح حتى * تملأ البيد من رؤس الرجال
قد تجنبت وائلا كى يفيقوا * فابت تغلب على اعتزالى (١)

وهى طويلة نحو المائة بيت يكرر فيها قربا مربط النعامة منى فى خمسين بيتا فاتوه بفرسه النعامة ولم يكن فى زمانها مثلها ولما أصبح قد ولى أمر بكر وشهد حربهم وكان اول يوم شهده يوم تحلاق اللمم وانما سمى بذلك لأنه قال لبكر احملوا معكم نساءكم يكن من ورائكم فاذا وجدوا جريحا منهم قتلوه واذا وجدوا جريحا مناسقوه وأطعموه فقالوا ومن أين يتميز لهم بنو بكر من بنى تغلب فقال لهم احلقوا رؤسكم لتمتازوا بذلك ففعلوا فسمى يوم تحلاق اللمم فحلقت بكر اجمعها رؤسها الاحجر بن ضبيعة منهم وكان شجاعا فقال لهم اتركوا لمتى وأنا أقتل لكم أول فارس يقدمهم فوفى بعهده لهم ثم انه صرع بعد ذلك فلما رأى أنه نساء بنى بكر ظنوه من تغلب فاجهز واعليه وقاتل يومئذ الحارث بن عباد قتالا شديدا فقتل فى بنى تغلب مقتلة عظيمة حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب (٢) ثم عادوا للحرب وبقيت كذلك نحو أربعين سنة (٣) ولما طالت الحروب بينهم وأدركت تغلب

---

(١) ولما سمع مهلهل قصيدة الحارث أيضا أنشد قصيدة طويلة يكرر فيها قوله

قربا مربط المشهر منى * والمشهر اسم جواد له ومنها
قربا مربط المشهر منى * لكليب الذى أشاب قذالى
قربا مربط المشهر منى * ان قولى مشابه لفعالى
قربا مربط المشهر منى * لكليب فداه عمى وخالى

(٢) وقيل ان الحارث بن عباد قد أسر المهلهل وهو لا يعرفه فقال له دلنى على عدى بن ربيعة واخلى عنك فقال له عدى علىك العهود بذلك ان دللتك عليه قال نعم قال فانا عدى فجزنا صيته وتركه ولم يخن عهده ولكنه ندم على ذلك وقال

لهف نفسى على عدى ولم أعرف عديا اذا مكنتنى اليدان

(٣) ولم تكن كلها حروبا مستمرة بل بعد أيامهم المشهورة لم يكن بينهما مزاحفة وانما كانت اغارات ولما اضمحل الحيان وضعف الفريقان تنبه العقلاء من الفريقين بعد فناء كثير من الحيين وراوا ان عاقبة ذلك الى الدمار وما حصل من القتال كاف لاخذ الثار

ما ارادته من بكر أجزاهم الى الكف عن القتال وعدم مهلهل واختلف فى صورة عدمه وتركنا ذكر ذلك للاختصار

ومن ملوك العرب زهير بن جزيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس وكان ابتداء ملكه سنة ٥٦٤ ميلاديه وكان ملكه ٣٠ سنة وهو والد الملك قيس بن زهير العبسى وكان لزهير اتاوة على هوازن يأخذها كل سنة فى عكاظ وكان يسوم هوازن الخسف فكان فى قلوبهم منه حقد ووقعت الحرب بين زهير وبين عامر فاتفقت هوازن مع خالد بن جعفر بن كلاب وبنى عامر على حرب زهير واقتتلوا معه فاعتنق زهير وخالد وتقاتلا فقتل زهير وسلم خالد وكانت الواقعة بالقرب من أرض هوازن فحملت زهيرا بنوه ميتا الى بلادهم فقال ورقة بن زهير أبياتا فى ذلك منها يقول لخالد المذكور

فطر خالدا ان كنت تستطيع طيرة * ولا تقعن الا وقلبك حاذر

أتتك المنايا ان بقيت بضربة * تفارق منها العيش والموت حاضر

ولما كان من خالد بن جعفر بن كلاب ما كان من قتل زهير خاف وسار الى النعمان بن امرئ القيس اللخمى ملك الحيرة واستجار به وكان زهير سيد غطفان فانتخب منهم الحارث ابن ظالم المرى وقدم الى النعمان فى حاجة له وكان النعمان قد ضرب لخالد قبة فلما جن الليل دخل الحارث الى خالد وقتله فى القبة غيلة وهرب وسلم ثم جمع الاحوص بن جعفر وهو أخو خالد بنى عامر وأخذ فى طلب الحارث المرى وكذلك أخذ النعمان فى طلبه لقتله جاره وجرى بسبب ذلك حروب وأمور يطول شرحها وكان آخرها يوم شعب جبلة على ما سنذكره ان شاء الله تعالى

ومن ملوك العرب قيس بن زهير العبسى المذكور وكان قد جمع لقتال بنى عامر أخذا بثار أبيه زهير ثم نزل قيس بالحجاز وفاخر قريشا ثم رحل عن قريش ونزل على بنى بدر

وقال المهلهل لقومه قد رأيت ان تنقوا على قومكم فانهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة فلو مضت هذه المدة فى رفاهية عيش لكانت تمل من طولها فكيف وقد فنى الحيان وثكلت الامهات ويتم الاولاد وكل ناحية لا تزال تصرخ فيها النائحات ودموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن وسيوف مشهورة ورماح مشرعة وان القوم سيرجعون اليكم بمودتهم وبمواصلتهم وتنعطف الارحام فكان كما قال ثم قال المهلهل أما أنا فما تطيب نفسى ان اقيم فيكم وانظر الى قاتلى كليب وسار الى اليمن ونزل فى مذحج فخطبوا ابنته فابى فجبروه على تزويجها وساقوا اليه صداقها قبة من أدم ثم انه عاد الى قومه بعد ذلك اه من سبائك الذهب

الفزارى الذبيانى ونزل على حذيفة بن بدر وكان قيس قد اشترى من الحجاز حصانه داحسا وفرسه الغبراء وقد قيل ان الغبراء بنت داحس استولدها قيس من داحس ولم يشترها وكان لحذيفة بن بدر فرسان يقال لهما الخطار والحنفاء وقصدان يسابق مع فرسى قيس داحس والغبراء فامتنع قيس وكره السباق وعلم انه ليس فى ذلك خير فابى حذيفة الا المسابقة فاجروا الاربعة المذكورة بموضع يقال له ذات الارصاد وكان الميدان نحو مائة غلوة (والغلوة الرمية بالسهم أبعد ما يمكن) وكان الرهن مائة بعير فسبق داحس سبقا بينا والناس ينظرون اليه وكان حذيفة قد أكمن فى طريق الخيل من يعترض داحسا ان جاء سابقا فاعترضه هؤلاء القوم فضربوه على وجهه فتأخر داحس ثم سبقت الغبراء أيضا الخطار والحنفاء فانكر حذيفة ذلك كله وادعى السبق فوقع الخلف بين بنى بدر وبنى قيس وكان بين الربيع بن زياد وبين قيس خلف بسبب درع اغتصبها الربيع من قيس وكان يسوء الربيع اتفاق بنى بدر مع قيس فلما وقع بينهم ما وقع بسبب السباق ساءه ذلك ولما اشتد الامر بينهم قتل قيس ندبة بن حذيفة وكان لقيس أخ يقال له مالك بن زهير وكان نازلا على بنى ذبيان فلما بلغهم قتل ندبة قتلوا مالك بن زهير المذكور غيلة ولما بلغ الربيع ابن زياد مقتل مالك عظم عليه ذلك جدا وعطف على قيس وانتصر له وعمل الربيع أبياتا فى مقتل مالك منها

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * ويقمن قبل تبلج الاسحار

ثم اجتمع قيس والربيع واصطلحا وتعانقا وقال قيس للربيع انه لم يهرب منك من لجأ اليك ولم يستغث عنك من استعان بك واجتمع الى قيس والربيع بنو عبس واجتمع الى بنى بدر بنو فزارة وذبيان واشتدت الحروب بينهم وهى المعروفة بحرب داحس فاقتتلوا أولا فقتل عوف بن بدر وانهزمت فزارة وقتلت بنو عبس فيهم قتلا ذريعا ثم اتفقوا ثانيا فانتصر بنو عبس أيضا وكانت الدائرة على فزارة وقتل الحرث بن بدر وطالت الحروب بينهم وكان آخرها انهم اتفقوا فانهزمت فزارة وانفرد حذيفة وحمل أخوه ومعهما جماعة وقصدا جفر الهباءة (١) فلحقهم بنو عبس وفيهم قيس والربيع بن زياد وعنترة وحالوا بين بدر وبين خيلهم وقتلوا حذيفة وأخاه حملا ابنى بدر وأكثر الشعراء فى ذكر جفر الهباءة ومقتل ابنى بدر عليه قال قيس بن زهير يرثى حمل بن بدر

(١) جفر الهباءة موضع ببلاد غطفان بالشربة قتل فيه حمل وحذيفة ابنا بدر الفزاريان اه تاج

تعلم ان خير الناس ميت * على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه مازلت أبكى * عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومى * وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسونى * فعوج على ومستقيم

ومثلوا بحذيفة بن بدر كما مثل هو بغيره وقطعوا لسانه وجعلوه فى استه وفيه يقول قائلهم

فان قتيلا بالهباءة فى استه * صحيفته ان عاد للظلم ظالم
متى تقرؤها تهدكم عن ضلالكم * وتعرف اذ ما فض عنها الخواتم

وقال عمرو بن الاسلع

ان السماء وان الارض شاهدة * والله يشهد والانسان والبلد
انى جزيت بنى بدر بسعيهم * على الهباءة قتلا ما له قود
لما التقينا على ارجاء جبتها * والمشرفية فى ايماننا تقد
علوته بحسام ثم قلت له * خذها اليك فانت السيد الصمد

الى غير ذلك مما قالوه وفى الكتب المطولة قد أثبتوه وبالجملة فقد ظهرت فى هذه الحروب شجاعة عنترة بن شداد ثم ان فزارة بعد مقتل بنى بدر ساعدتهم قبائل كثيرة لأنهم أعظموا قتل بنى بدر فلما قويت فزارة سارت بنو عبس ودخلوا على كثير من احياء العرب ولم يطل لهم مقام عند أحد منهم ونهاية الامر ان بنى عبس قصدوا الصلح مع فزارة فاجابتهم شيوخ فزارة الى ذلك وتم الصلح بينهم وقيل ان بنى عبس لما سارت الى بنى فزارة واصطلحوا معهم لم يسر معهم الملك قيس بل انفرد عن بنى عبس وتاب وتنصر وساح فى الارض حتى انتهى الى عمان فترهب بها زمانا وقيل ان قيسا تزوج فى النمر بن قاسط لما انفرد عن بنى عبس وولد له ولدا اسمه فضالة وبقى فضالة المذكور حتى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان معه من قومه وكانوا تسعة وهو عاشرهم وكان بين ملوك العرب وقائع فى أيام مشهورة غير ما ذكر فمنها يوم (١) (خزاز) وسببه ان أهل اليمن كان الرجل منهم يأتى ومعه كاتب وطنفسة يقعد عليها فيأخذ من أموال نزار ما شاء كما فى العقد الفريد وكان أول يوم امتنعت فيه معد عن

(١) خزاز كسحاب أو خزازى كحبالى مقصور عنه جبل بطخفة ما بين البصرة الى مكة وهو قريب من سالع وهو جبل أيضا وروى بالوجهين قول عمرو بن كلثوم

ونحن غداة أوقد فى خزاز * وقدنا فوق وقد الوافدينا اه تاج

ملوك حمير فاوقدوا نارا على خزاز ثلاث ليال ودخنوا ثلاثة أيام وامتنعوا من أهل اليمن ان يدفعوا لهم شيأ والتقت فيه بنو ربيعة بن نزار وقبائل اليمن وكانت الدائرة على أهل اليمن وانتصرت بنو ربيعة عليهم وقتلوا منهم كثيرا وقيل ان قائد بنى ربيعة فى هذا اليوم كان كليب وائل الذى تقدم ذكره وقيل غيره وهو الذى قال فيه عمرو بن كلثوم

ونحن غداة أوقد فى خزاز * وفدنا فوق وفد الوافدينا
فكنا الايمنين اذا التقينا * وكان الأيسرين بنو أبينا
فصالوا صولة فيما يليهم * وصلنا صولة فيما يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

(ومن أيامهم يوم عين أباغ) (١) كان بين المنذر بن ماء السماء وبين الحارث الاعرج ابن أبى شمر الغسانى وسببه كما فى سبائك الذهب ورجحه ابن الاثير ان المنذر ملك العرب سار من الحيرة بجنوده كلها حتى نزل بعين أباغ وأرسل الى الحارث الاعرج ملك العرب بالشام اما أن تعطى الفدية فانصرف عنك بجنودى واما أن تأذن بحرب فارسل اليه الحارث انظرنا ننظر فى أمورنا ثم جمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل اليه يقول له لا تهلك جنودى وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدى ورجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فنيت أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان أصحابه فأمره ان يخرج ويقف بين الصفين ويظهر انه ابن المنذر فلما خرج أخرج اليه الحارث انه أبا كريب فلما رآه رجع الى أبيه وقال ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه فقال يا بنى أجزعت من الموت ما كان الشيخ يغدر فعاد اليه فقاتله فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدى المنذر

---

(١) أباغ كسحاب ويثلث موضع بالشام أو بين الكوفة والرقة وقال أبو الفتح التميمى وعين أباغ ليست بعين ماء وانما هو وادوراء الانبار على طريق الفرات الى الشام وقال الرياشى اسم لبغداد والرقة جميعا وقال أبو الفتح التميمى النساب كانت منازل اياد بن ربيعة بعين أباغ وأباغ رجل من العمالقة نزل ذلك الماء فنسب اليه قال ياقوت وقيل فى قول أبى نواس

فما نجدت بالماء حتى رأيتها * مع الشمس فى عينى أباغ كفور

حكى انه قال جهدت على ان يقع فى الشعر عين أباغ فامتنعت على فقلت عينى أباغ ليستوى الشعر قال وكان عندها فى الجاهلية يوم لهم بين ملوك غسان وملوك الحيرة قتل فيه المنذر بن المنذر بن ماء السماء اللخمى اه تاج

وعاد فامر الحارث ابناله آخر بقتاله والطلب بثار أخيه فخرج اليه فلما رآه رجع وقال يا أبت هذا والله عبد المنذر فقال يابنى ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشد عليه الفارس فقتله فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفى وكانت امه غسانية وهو مع المنذر قال أيها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وأمر باخراجه فلحق بعسكر الحارث فاخبره فلما كان الغد أخبر الحارث أصحابه وحرضهم وكان فى أربعين ألفا واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل المنذر وهزمت جنوده وفروا الى الحيرة فتبعهم الحارث فنهبها وحرقها وأكثر فيهم القتل وفى ذلك يقول بعض غسان

كم تركنا بالعين عين أباغ * من ملوك وسوقة اكفاء
أمطرتهم سحائب الموت تترى * ان فى الموت راحة الاشقياء
ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

(ومن أيامهم يوم مرج حليمة) لما قتل المنذر بن ماء السماء على ما تقدم ذكره ملك بعده ابنه المنذر ويلقب بالاسود فلما استقر وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحارث الاعرج طالبا بثار أبيه عنده وبعث اليه انى قد أعددت لك الكهول على الفحول فاجابه الحارث بأنى قد أعددت لك المرد على الجرد فسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة ثم ان الحارث سار فنزل بالمرج أيضا فأمر أهل القرى التى فى المرج ان يصنعوا الطعام لعسكره ففعلوا ذلك وحملوه فى الجفان وتركوه فى العسكر فكان الرجل يتقاتل فاذا أراد الطعام جاء الى تلك الجفان فأكل منها فاقامت الحرب بين الاسود والحارث أياما ينتصف بعضهم من بعض فلما رأى الحارث ذلك قعد فى قصره ودعا ابنته هندا وأمرها فاتخذت طيبا كثيرا فى الجفان وطيبت به أصحابه ثم نادى فى غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتى هندا فقال لبيد بن عمرو الغسانى لأبيه أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة واست أرضى فرسى فاعطنى فرسك فأعطاه فرسه فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد على الاسود فضربه ضربة فألقاه عن فرسه وانهزم أصحابه وتفرقوا فى الفيافى والقفار ونزل فاحتز رأسه وأقبل به الى الحارث وهو على قصره ينظر اليهم فألقى الرأس بين يديه فقال له الحارث شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها فقال بل انصرف فأواسى أصحابى بنفسى فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فنظر أخاه قد عاد الى الحرب وقد التفت عليه الجيوش واشتدت نكايته فتقدم لبيد ولم يزل يقاتل حتى قتل ولم يقتل غيره بعد تلك الهزيمة واختلف فى النصر لمن كان والراجح انه كان لغسان وانهار جعت باحسن ظفر وكانت الجيوش من الفريقين قد بلغت مبلغا عظيما وعظم الغبار حتى قيل ان الشمس قد

انحجبت وظهرت الكواكب التى فى اخلاف ذلك الغبار لان الاسود سار بعرب العراق أجمع وسار الحارث بعرب الشام أجمع وهذا اليوم من اشهر أيام العرب

(ومن أيامهم يوم الكلاب الاول) (١) وكان بين الاخوين شرحبيل وسلمة ابنى الحارث بن عمر والكندى الملقب بآكل المرار حصل الخلف بين ابنيه شرحبيل وسلمة ومشى بينهم رجال السوء بالفتنة حتى اشتد الامر بينهم وجمع كل واحد منهم لصاحبه جموعا كثيرة وتواعدا الكلاب فاقبل شرحبيل فى ضبة والرباب وبنى يربوع وبكر بن وائل وأقبل سلمة فى تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بنى مالك بن حنظلة والتقوا فى الكلاب واشتد بينهم القتال ونادى منادى شرحبيل من أتاه برأس أخيه سلمة فله مائة من الابل ونادى منادى سلمة من أتاه برأس أخيه شرحبيل فله مائة من الابل فانتصر سلمة وتغلب على شرحبيل وبكر وانهزم شرحبيل وتبعته خيل أخيه ولحقوه وقتلوه وحملوا رأسه الى سلمة فلما رآها دمعت عيناه وقال أيكم قتله حتى أدفع الثواب اليه فقالوا قتله أبو حنش وكان قد هرب وأرسل الرأس مع ابن عم له خوفا من سلمة فقال سلمة فى ذلك

ألا ابلغ أبا حنش رسولا * فمالك لا تجىء الى الثواب
تعلم ان خير الناس ميت * قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * واسلمه جعاسيس الرباب (٢)

(ومنها يوم أوارة الاول) (٣) وكان بين المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة وبين بكر وائل بسبب اجتماع بكر على سلمة بن الحارث فظفر المنذر ببكر واقسم انه لا يزال يذبحهم حتى يسيل دمهم من رأس أوارة الى حضيضه فجعل الدم يجمد فقيل له أبيت اللعن انك لو ذبحت كل بكرى على وجه الارض لم تبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء لكثر وسال فأمر بسكب الماء على الدم حتى سال الى الحضيض وبرت يمينه

(ومنها يوم اوارة الثانى) وكان بين عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمى وبين بنى تميم وسببه ان عمرا كان قد ترك ابناله اسمه أسعد عند زرارة بن عدس التميمى فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فرمى ضرعها فشد عليه مالكها سويد أحد بنى عبد الله بن دارم التميمى فقتله وهرب ولحق بمكة فحالف قريشا فلما بلغ عمرا ذلك غزا بنى دارم وقد حلف

---

(١) كلاب كغراب موضع أو ماء معروف لبنى تميم وهو بين الكوفة والبصرة كانت عنده وقعة للعرب اه تاج

(٢) الجعسوس القصير الذميم اه تاج

(٣) وأوارة بالضم ماء أو جبل لتميم اه قاموس

ليقتلن منهم مائة فارس فسار يطلبهم حتى بلغ اوارة وقد بلغوا الجبل فاقام مكانه وبث سراياه فيهم فاتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوا فى غاراتهم فقتلهم فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه فأخذه ليقتله ليتم به مائة فقال (ان الشقى وافد البراجم) فذهبت مثلا وتفصيل ذلك مذكور فى التواريخ

(ومنها يوم رحرحان) (١) هذا اليوم كان من أمره ان الحارث بن ظالم المرى ثم الذبيانى لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب قاتل زهير حسبما تقدم ذكره عند ذكر مقتل زهير هرب الحارث من النعمان ملك الحيرة لكونه قتل خالدا وهو فى جيرة النعمان فلم يجر الحارث المذكور أحد من العرب خوفا من النعمان حتى استجار بمعبد بن زرارة فاجاره فلم يوافقه قومه بنو تميم وخافوا من ذلك ووافقه منهم بنو مالك وبنو دارم فقط فلما بلغ الاحوص أخا خالد مكان الحارث المرى من معبد سار اليه واقتتلوا بموضع يقال له وادى رحرحان فانهزمت بنو تميم وأسر معبد بن زرارة وقصد اخوه لقيط بن زرارة ان يستفكه فلم يقدر وعذبوا معبدا حتى مات

(ومنها يوم شعب جبلة) (٢) وهو من أعظم أيام العرب أيضا وكان من حديثه انه لما انقضت وقعة رحرحان استنجد لقيط بن زرارة التميمى ببنى ذبيان فنجدته وتجمعت له بنو تميم غير بنى سعد وخرج معه بنو أسد وسار بهم لقيط الى بنى عامر وبنى عبس فى طلب ثار أخيه معبد فادخل بنو عامر وبنو عبس اموالهم فى شعب جبلة فحضرهم لقيط فخرجوا عليه من الشعب وكسروا جموعه وقتلوه وأسروا أخاه حاجب بن زرارة وانتصرت بنو عامر وبنو عبس نصرا عظيما وفى ذلك يقول جرير

ويوم الشعب قد تركوا لقيطا * كأن عليه حلة أرجوان

وكبل حاجب بالشام حولا * فحكم ذا الرقيبة (٣) وهو عان

وكثر أيضا فيه القتلى من بنى ذبيان وتميم وأسد فاكثرت العرب المراثى فيه وهو بعد يوم رحرحان بسنة ويوم الشعب فى عام مولد النبى صلى الله عليه وسلم

(ومنها يوم ذى قار) وكان فى سنة البعثة النبوية وقيل كان عام وقعة بدر وذلك ان كسرى ابرويز غضب على النعمان بن المنذر وحبسه فهلك فى الحبس وكان النعمان قد أودع

---

(١) ورحرحان اسم واد عريض فى بلاد قيس وقيل موضع وقيل اسم جبل قرب عكاظ له يوم معروف لبنى عامر على بنى تميم اه تاج

(٢) شعب جبلة هضبة حمراء بين الشريف والشرف وهما ماآن اه تاج

(٣) ذو الرقيبة كجهينة وهو الذى اسر حاجب بن زرارة اه تاج

حلقته وهى السلاح والدروع عند هانئ بن مسعود البكرى فارسل ابرويز يطلبها منه فقال هذه أمانة والحر لا يسلم أمانته فاستشار ابرويز اياس بن قبيصة الطائى الذى ملكه الحيرة موضع النعمان فاشار اياس بالتغافل عن هانئ ليطمئن فيدرك فقال ابرويز انه من أخوالك ولا تألوه نصحا فبعث ابرويز الهرمزان فى ألفين من الاعاجم والف من بهراء فبلغ بكر وائل فنزلوا ببطن ذى قار فوصلت الاعاجم واقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الاعاجم انهزاما قبيحا وأكثر الشعراء من ذكره

﴿صفات العرب وعاداتهم﴾ (١)

صفات العرب من أحسن الصفات وعاداتهم من أجمل العادات فانه مع تقادم تلك الازمان وعدم انتشار المدنية والعمران فى أى مكان وتلك الاعصر الاولية التى كانت فيها الامم الكبيرة والدول الشهيرة التى لها الصيت الآن فى المدنية والحضارة فى غاية من الجهالة الاولية والسذاجة الطبيعية الفطرية كانت العرب بالغة من التمدن والحضارة وارتقاء العقل درجة لم يكن يدانيهم فيها أمة من الامم الغربية خصوصا وصفات العرب كثيرة وعوائدهم شهيرة (ومن أشهر صفاتهم المحمدة) وهى الاجتهاد فى الحرص على مايوجب الذكر الجميل وهذه الصفة جامعة لكثير من الصفات كعلو الهمة والحمية والنجدة والحرص على كل مايوجب المحامد والفخر ورفعة الصيت مما يعدونه عندهم من الفعل الجميل كانتصارهم على الاعداء وكسب الغنائم ومراعاة الجار وحفظ النزيل حتى انهم لحميتهم وشجاعتهم كأنهم ملوك كلهم فكانوا يسوسون أنفسهم بأنفسهم وينتقمون من أعدائهم باخذ الثار وكانت المقاصة عندهم يستوى فيها جميع القبائل فلا قبيلة الا وتأخذ ثارها من الاخرى قوية كانت أو ضعيفة وان كان ذلك قد بلغ منهم حد الغلو حتى كان سببا فى تفرق شملهم وكان من حق الاعتدال فيه ان يجعلهم أمة من أقوى امم العالم وقد وقف بعضهم على قبر عامر بن الطفيل ورثاه بقوله انعم مساء يا أبا على فلقد كنت تشن الغارة وتحمى الجارة سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بوعيدك وكنت لا تضل حتى يضل النجم ولا تهاب حتى يهاب السيف ولا تعطش حتى يعطش البعير وكنت خير ما تكون حيث لا تظن نفس بنفس خيرا فمدحه باحسن صفات العرب فكان بقاء ذكر الانسان بالثناء عليه بعد موته بمنزلة الحياة عندهم قال بعضهم

فان يك افنته الليالى فأوشكت * فان له ذكرا سيفنى اللياليا

﴿وقال الآخر﴾ فأثنوا علينا الا بالا بيكم * باقعا لنا ان الثناء هو الخلد

(١) انظر توفيق الجليل

(ومن صفاتهم النجدة) التى هى الاخذ بيد من ينتمى اليهم بدون مبالاة بالمخاوف فكانوا منها على مكانة عالية وسواء فى ذلك الشخص والقبيلة ولذا قال بعضهم

اكر على الكتيبة لا ابالى * أفيها كان حتفى ام سواها
ولى نفس تتوق الى المعالى * ستتلف أو ابلغها مناها

(وقال الآخر) وكفى تستقل بحمل سيفى * وبى ممن يهضمنى امتناع
وحولى من بنى قحطان شيب * وشبان الى الهيجا سراع
اذا فزعوا فأمرهم جميع * وان لاقوا فأيديهم شعاع

وقوله فان يك قيدى كان نذرا نذرته * فمالى من أحساب قومى من شغل
أنا الزائد الحامى الذمار وانما * يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

وكان اذا خطر بقبيلة منهم فكر من الافكار لاقتحام أى خطر من الاخطار تكون افرادها على قلب رجل واحد فيشد بعضهم ازر بعض حتى يدركوا مأملهم او يفنوا عن آخرهم وكانت الجامعة بين افراد القبيلة شيئين عظيمين وهما الاتحاد فى اللغة والاتفاق فى الدين اذ كان لكل قبيلة عبادة خاصة ولسان مخصوص ولذا حصل التفرق بين القبائل فلو اتحد العرب الاقدمون فى اللغة والدين لما ساواهم غيرهم فى التقدم والعظم ولا خلص من الدخول فى دولتهم أمة من الأمم

ومن صفاتهم الغيرة على العرض والحمية الشديدة التى أخرجتهم عن حد الاعتدال حتى أدتهم الى ارتكاب خصلة فظيعة وهى وأد البنات ودفنهن أحياء بدون ذنب مخافة العار فكان الرجل اذا رزق بولد أمسكه وأبقاه واذا رزق ببنت أخذها وحفر لها فى التراب ودفنها حية حتى تموت وكان يفعل ذلك الفقراء منهم خشية الاملاق وخوفا من ان يحملها على ارتكاب ما لا يليق ومع ذلك فقد اهتدى عقلاؤهم الى تقبيح هذه العادة وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق يشترى البنات ويخلصهن من القتل ولذا قال الفرزدق مفتخرا به ومنا الذى منع الوائدا * ت واحيا الوئيد فلم توأد

ويروى ان صعصعة هذا بعد اسلامه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انى كنت اعمل عملا فى الجاهلية افينفعنى فى ذلك اليوم قال وما عملك فاخبره بخبر طويل فيه انه حضر ولادة امراة من العرب بنتا فاراد أبوها ان يئدها قال فقلت له أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قلت انما اشترى حياتها ولا اشترى رقها فاشتريتها منه بناقتين عشراوين وجمل وقد صارت لى سنة فى العرب على ان اشترى ما يريدون وأده بذلك فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موؤدة قد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا ينفعك ذلك لانك لم تبتغ بذلك وجه الله وان تعمل فى اسلامك عملا صالحا تثاب عليه (١) وقد نهاهم الاسلام عن ذلك قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق الآية

(ومن صفات العرب أيضا كرم النفس ومكارم الاخلاق) وكان يحملهم على الانتصار لمن استنصر بهم واجارة من استجار فيهم كما يحملهم على صدق العهد ووفاء الوعد يستوى فى ذلك منهم الوثنى والكتابى حتى بقى فيهم ذلك الى الاسلام وزاد به ومن تأمل قصائدهم كقصيدة الشنفرى التى مطلعها

اقيموا بنى أمى صدور مطيكم * فانى الى قوم سواكم لاميل

عرف همة العرب ومن وزن معلقة عمرو بن كلثوم المشهورة ولامية السموأل وماشاكلهما بميزان العقل والتدبر عرف أيضا أحوالهم اذ كلهم على هذه المثابة ولامية السموأل بن عاديا هى

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع لا ينال طويل
وانا أناس لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف انفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا * وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن ما فى نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول بما قال الكرام فعول
وما خمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا فى النازلين نزيل
وأيامنا مشهودة فى عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا فى كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول

(١) قال شيخنا العلامة الشيخ محمد عبده حفظه الله ويفهم من الحديث انه فعل ما كان يفعله رياء لا مرجحة اه وهو كما قال

معوّدة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم و جهول
فان بنى الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

وقال عباس بن عبد المطلب يذكر فخار قريش

ان القبائل من قريش كلها * ليرون أنا هام أهل الابطح
وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الاوضح

وأمثال ذلك كثير وسنأتى على بعضه عند ذكر الشعر والشعراء وقد بقيت هذه النخوة العربية فى الاسلام وموجود بعضها فى العرب ومن قاربهم الى هذا الوقت

ومن أحسن ما مدحوا به ما وصفهم به النعمان بن المنذر فى مجلس كسرى أنوشروان حين قدمت عليه الوفود وأخذ كل رئيس منها يذكر فخر امته وشرف أجداده فقام النعمان بن المنذر وفضل العرب على جميع الامم لم يستثن منها واحدة ولا امة الملك فحنق كسرى وقال يا نعمان لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الامم ونظرت فى حال من يقدم على من وفود الامم فوجدت (الروم) لها حظا فى اجتماع الفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وان لها دينا يبين حلالها وحرامها ويرد سفيهها ويقيم جاهلها ورأيت (الهند) نحوا من ذلك فى حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها وعجيب صناعتها وطيب أشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها وكذلك (الصين) فى اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسيتها وهمتها فى آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها ملكا يجمعها (والترك والخزر) على ما بهم من سوء الحال فى المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر أمرهم ولم أر للعرب شيأ من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة ومما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها محلتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها فافضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل التى يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها وان قرى أحدهم ضيفا عدها مكرمة وان أطعم أكلة عدها غنيمة تنطق بذلك اشعارهم وتفتخر به رجالهم ما خلا هذه التنوخية التى أسس جدى اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها فجرى لها ذلك الى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثارا ولبوسا وقرى وحصونا وامورا تشبه بعض امور الناس (يعنى اليمن) ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس

حتى تفتخروا وتريدوا ان تنزلوا فوق مراتب الناس (قال النعمان) أصلح الله الملك حق لامة الملك منها أن يسمو فضلها او يعظم خطبها وتعلو درجتها الا ان عندى جوابا فى كل مانطق به الملك من غير رد عليه ولا تكذيب له فان أمنى من غضبه نطقت به (قال كسرى) قل فانت آمن (قال النعمان) أما امتك أيها الملك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبحبوحة عزها وما أكرمها الله به من ولايه آبائك وولايتك وأما الامم التى ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب الافضلتها قال كسرى بماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها (فاما عزها) ومنعتها فانها لم تزل محاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيولهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور (وأما حسن وجوهها وألوانها) فقد يعرف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المنحفة والترك المشوهة والروم المقشرة (وأما انسابها واحسابها) فليست امة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها حتى ان أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه نسبا فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمى آباءه أبا فأبا أحاطوا بذلك احسابهم وحفظوا به انسابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير أبيه (وأما سخاؤها) فان أدناهم رجلا الذى تكون عنده البكرة عليها بلاغه فى حوله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى يكتفى بالفلذة ويجتزى بالشربة فيعقرها له ويرضى ان يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر (وأما حكمة ألسنتهم) فان الله تعالى أعطاهم فى اشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضربهم للامثال وابلاغهم فى الصفات ماليس لشئ من السنة الاجناس الاخرى ثم ان خيلهم أفضل الخيل ونساؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم الابل التى لا يبلغ مثلها على سفن ولا يقطع بمثلها بلد قفر (وأما دينها وشريعتها) فانهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه ان لهم أشهرا حرما وبلدا محرما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره وادراك رغمه منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى (وأما وفاؤها) فان أحدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وان أحدهم ليبلغه ان رجلا استجار به وعسى ان

يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التى أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره وانه ليلجأ اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله (وأما قولك أيها الملك) يئدون أولادهم فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث انفة من العار وغيرة من الازواج (وأما قولك) ان أفضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها فانما تركوا مادونها الا احتقارا له فعمدوا الى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم شحوما وأطيبها لحوما وأرقها البانا وأقلها غائلة وأحلاها مضغة وانه لاشئ من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها الا استبان فضلها عليه (وأما تحاربهم) وأكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا آنست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه انما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون اليهم أمورهم وينقادون اليهم بأزمتهم (وأما العرب) فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوطف (١) بالعسف (وأما اليمن) التى وصفها الملك فلما أتى جد الملك اليها الذى أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق (٢) وأمر مجتمع وسلو باطريد امستصرخا قد تقاصر عن ايوانه وصغر فى عينه ما شيد من بنائه ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال الى مجال ولو جد من يجيد الطعان ويغضب للاحرار من غلبة العبيد الأشرار قال فعجب كسرى لما أجابه النعمان به وقال انك لأهل لما وضعك من الرياسة فى أهل اقليمك ولما هو أفضل ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة اه

(لغة العرب وفصاحتهم) (٣)

العرب أفصح الامم لسانا وأجلها بيانا قد مدحهم الله فى كتابه العزيز وجاء القرآن الشريف بلسانهم قال تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج الى غير ذلك من الآيات والاحاديث الدالة

---

(١) يقال وطف وطفا طرد الطريدة وكان فى أثرها والعسف السير على غير هداية فى الاصل ثم كثر حتى قيل عسف السلطان اذا ظلم وقال ابن الاثير العسف فى الاصل ان يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم فنقل الى الظلم والجور وعسف فلانا استخدمه كاعتسفه اتخذه عسيفا يتصرف فيه كما يريد قال نبيه بن الحجاج

أطعت النفس فى الشهوات حتى * أعادتنى عسيفا عبد عبد

أى انهم لا يرضون بالغلبة والقهر والاخذ بالشدة اه بتصرف من التاج

(٢) أى مجتمع منتظم (٣) انظر توفيق الجليل

على فصاحتهم ومن اطلع على اشعار العرب وخطاباتهم ومحاوراتهم عرف ما كان لهم من فصاحة اللسان وقوة الجنان بالغريزة الاصلية والجبلة الفطرية فان الملكة التصورية والقوة المنطقية كانت فيهم على حد سواء اتحدت السنتهم وافكارهم وحماستهم وبلاغة مقالهم وانما اختلفت فيهم لغات الاحياء والقبائل ومخاطبات البطون والعشائر يعنى اتحد اللسان الذى به الفهم والتفاهم واختلف متعلقه وأحوال التلفظ به فى التأدية واسماء المسميات وكيفيات الحركات والسكنات ومع ذلك فاللسان واحد على قاعدة واحدة تكاد ان تكون عمومية لا يعتريها تغيير والا لكان لحنا وغلطا ولا يجوز ان يتوهم فى العربى البدوى ان يغلط فى نطقه ويلحن فيه وان تعمد ذلك لا يطاوعه لسانه فالعرب معصومون من لحن اللسان واطلاق الالفاظ على غير معانيها قالوا وانما يجوز ان يغلطوا فى المعانى أى لا يطابق كلامهم الواقع فقد رد على من قال فى مدح مسيلمة الكذاب *وانت غيث الورى لازلت رحمانا* بانه لا يطلق الا على الله تعالى وانما قالوا ذلك لتعنتهم فى كفرهم ورد بأن التعنت فى الكفر لا يخرج العربى عن طبعه لانه معصوم من اللحن وان المخصوص بالله تعالى هو المعرف بالالف واللام

(ولما كانت لغات العرب) لابد من تداولها فى المحاورات والمخاطبات والمحاضرات وكان أهل نجد والحجاز مثلا لا يفهمون لغة اليمن وحمير بل ربما كانت قبائل اقليم واحد لا تكاد تتكلم بلغة واحدة أى لا تستعمل كلمات واحدة فى تأدية المعنى وكانوا جميعا مولعين بقول الشعر ونشره بينهم بدون يأس ممن ابطأ فى قوله ثم نطق به كالنابغة الذبيانى الذى نبغ فيه مرة واحدة فلقب بذلك اجتمع الشعراء وأجمعوا رأيهم على تحسين اللسان العام الذى يكون به التفاهم عند جميعهم وأنجز واذلك فكانوا فى أواخر أمرهم اذا نظموا قصائدهم حاولوا ان تكون الفاظها مألوفة للجميع متعارفة بحيث تفهم معانيها المقصودة منها لجميع احياء العرب وقبائلهم فكان شاعر العشيرة اذا أراد ان ينثر أو ينظم وتواردت على لسانه عبارات متعددة تؤدى معنى واحدا وألفاظ مترادفة على معنى واحد آثر تأدية ذلك باللفظ المألوف لجميع العشائر فتكون من ذلك لسان عربى مشترك بين العرب على اختلاف احيائهم ولا شك انهم كانوا محتاجين الى ذلك لان العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من بعض تتلقى كل طبقة عما فوقها ما تواتر من الاخبار والآثار فيتناقلون تواريخ احسابهم ويحفظونها محافظة على صفاء انسابهم ولا يهملون معرفة مآثر قدمائهم واسلافهم ووقائعهم وحوادث حروبهم وخطوبهم وعلاقاتهم مع من جاورهم وكل هذا بطريق

الروايات خلفا عن سلف فلم تكن العرب لتنسى سياستها المنزلية ولا فرطت فى ذكر
روابطها وعلائقها الخارجية والداخلية لا سلما ولا حربا بعضهم مع بعض أو مع الاكاسرة
والغياصرة والحبشة وغير ذلك فقد تضمنت الخبر عن ذلك كله خطبهم وأشعارهم
وقصائدهم ومعلقاتهم فكان شعراؤهم وخطباؤهم يقصون تلك الحوادث والنوازل
بفصيح الالفاظ وبليغ المعانى مما ينبئ عن ثمرات افكارهم ونتائج قرائحهم وينتقل من
جيل الى جيل لكثرة حفظهم حتى صار لا يشك فى فصاحتهم الاعاجم ويدل على ذلك
ما ورد من بلاغتهم فى اشعارهم ومقالاتهم وخطبهم فى مجالس الملوك والعظماء من ذلك
قول الوفد العشرة الذين أوفدهم النعمان بن المنذر الى كسرى فانه لما قدم النعمان الى
الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى مما ذكره من تنقيصه للعرب وتهجين أمرهم
بعث الى أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة (١) التميميين والى الحرث بن ظالم وقيس
ابن مسعود البكريين والى خالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين
والى عمرو بن الشريد السلمى وعمرو بن معديكرب الزبيدى والحرث بن ظالم المرى فلما
قدموا عليه فى قصره قال لهم قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت
من كسرى مقالات تخوفت ان يكون لها غور أو يكون انما أظهرها الامر أراد ان يتخذ
به العرب خولا كبعض طماطمته فى تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الامم الذين
حوله فاقتص عليهم مقالات كسرى وما رد به عليه فقالوا أيها الملك وفقك الله ما أحسن
ما رددت وأبلغ ما حججته به فمرنا بامرك وادعنا الى ما شئت قال انما أنا رجل منكم وانما
ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم وليس شئ أحب الى مما سدد الله به
أمركم وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم والرأى ان تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا
الى كسرى فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن
أو حدثته نفسه ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه فانه ملك عظيم السلطان كثير الاعوان
مترف معجب بنفسه ولا تتخذلوا له انخذال الخاضع الذليل وليكن أمركم بين ذلك لتظهروا به
وثاقة حلومكم وفضل منزلتكم وعظيم اخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم
ابن صيفى لسنى حاله ثم تتابعوا على الامر من منازلكم التى وضعتكم بها فانما دعانى الى
التقدمة اليكم علمى بميل كل رجل منكم الى التقدم قبل صاحبه فلا يكونن ذلك منكم
فيجد فى آدابكم مطعنا فانه ملك مترف وقادر مسلط ثم دعا لهم بما فى خزائنه من طرائف
حلل الملوك كل رجل منهم حلة رعمه عمامة وختمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنجيبة

(١) زرارة بالضم وسمى به كثير من رجالهم غيره كما فى القاموس

مهرية وفرس نجيبة وكتب معهم كتابا صورته

أما بعد فان الملك ألقى الىّ من أمر العرب ما قد علم واجبته بما قد فهم مما أحببت ان يكون منه على علم ولا يختلج فى نفسه ان أمة من الامم التى احتجزت دونه بمملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها فى شئ من الامور التى يتعزز بها ذو والحزم والقوة والتدبير والمكيدة وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل فى احسابهم وانسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك منهم وليغمض عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمنى باكرامهم وتبجيل سراحهم وقد نسبتهم فى أسفل كتابى هذا الى عشائرهم فخرج القوم فى أهبتهم حتى وقفوا ببابه كسرى بالمدائن فدفعوا اليه كتاب النعمان فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلسا ليسمع منهم فلما ان كان بعد ذلك بايام أمر مرازبته ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراس عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التى وضعهم النعمان بها فى كتابه وأقام الترجمان ليؤدى اليه كلامهم ثم أذن لهم فى الكلام (فقام اكثم ابن صيفى) فقال ان أفضل الاشياء أعاليها وأعلى الرجال ملوكها وأفضل الملوك أعمها نفعا وخير الازمنة اخصبها وأفضل الخطباء أصدقها والصدق منجاة والكذب مهواة والشر لجاجة والحزم مركب صعب والعجز مركب وطئ وآفة الرأى الهوى والعجز مفتاح الفقر وخير الامور الصبر وحسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة واصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعى ومن فسدت بطانته كان كالغاص بالماء وشر البلاد بلاد لا أمير لها وشر الملوك من خافه البرئ المرء يعجز لا محالة وخير الاعوان من لم يراء بالنصيحة وحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته ويكفيك من الزاد ما بلغك المحل وحسبك من شر سماعه والصمت حكم وقليل فاعله البلاغة فى الايجاز من شدد نفر ومن تراخى تألف (١) فتعجب كسرى من حكم أكثم وأمثاله ثم قال له ويحك يا أكثم ما أحكمك وأوثق كلامك لولا موضعك كلامك فى غيره وضعه قال أكثم الصدق ينبئ عنك لا الوعيد قال كسرى لو لم يكن للعرب غيرك لكفى قال أكثم رب قول أنفذ من صول (ثم قام حاجب ابن زرارة التميمى) فقال ورى زندك وعلت يدك وهيب سلطانك ان العرب امة قد غلظت أكبادها واستحصدت مرتها (٢) ومنعت درتها (٣) وهى لك وامقة

---

(١) هكذا بالعطف فى توفيق الجليل وأسقط حرف العطف فى العقد الفريد

(٢) المرة بالكسر القوة والشدة واستحصد القوم اجتمعوا وتضافروا أى اجتمعت قوتها

(٣) الدرة بالفتح المرة وبالكسر هيئة الدر وكثرته والدرة بالضم اللؤلؤة العظيمة أى حمت حماها

(١) ماتألفتها مسترسلة مالاينتها سامعة ماساءتها وهى العلقم مرارة والصاب (٢) غضاضة والعسل حلاوة والماء الزلال سلاسة نحن وفودها اليك وألسنتها اليك ذمتنا محفوظة واحسابنا ممنوعة وعشائرنا فينا سامعة مطيعة ان نؤوب لك حامدين خيرا فلك بذلك عموم محمدتنا وان نذم لم نخص بالذم دونها قال كسرى ياحاجب ماأشبه حجر التلال بالوان صخرها قال حاجب بل زئير الاسد بصولتها قال كسرى وذلك (ثم قام الحرث بن عباد البكرى) فقال دامت لك الملكة باستكمال جزيل حظها وعلو شأنها من طال رشاؤه كثر متحه ومن ذهب ماله قل منحه تناقل الاقاويل يعرف اللب وهذا مقام سيوجف (٣) بما تنطق به الركب وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ونحن جيرانك الادنون واعوانك المعينون خيولنا جمة وجيوشنا لجمة ان استنجدتنا فنير ربض (٤) وان استطرقتنا فغير حهض (٥) وان طلبتنا فغير غمض (٦) لانثنى لذعر (٧) ولانتنكر لدهر رماحنا طوال وأعمارنا قصار قال كسرى أنفس عزيزة والله ضعيفة قال الحارث أيها الملك واني يكون الضعيف عزة أو لصغير مرة قال كسرى لوقصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك قال الحرث أيها الملك ان الفارس اذا حمل نفسه على الكتيبة مغررا بنفسه على الموت فهى منية استقبلها وجنان استدبرها والعرب تعلم انى ابعث الحرب قدما (٨) واحبسها وهى تتصرف بها حتى اذا جاشت (٩) نارها وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها جعلت مقادها رمحى وبرقها سيفى ورعدها زئيرى ولم أقصر عن خوض خضاضها

(١) المقة المحبة وقد ومقه يمقه فهو وامق أى أحبه يحبه فهو محب

(٢) الصاب بتخفيف الباء عصارة شجر مر

(٣) وجف يجف وجيفا اضطرب وقلب واجف أى مضطرب ووجف الفرس والبعير وجيفا وأوجفته بالالف اذا أعديته وهو العنق فى السير وقولهم ماحصل بايجاف أى باعمال الخيل والركاب فى تحصيله ومنه فما أوجفتم عليه من خيل

(٤) الربض والمربض كمجلس للغنم مأواها ليلا أى فغير نيام وربضت الدابة أى استراحت وهو مثل بروك الابل وأجهد الصيد الجارح فاجهضناه عنه أى غلبناه عليه

(٥) أى فغير مغلوبين

(٦) أى فغير متساهلين ومتغافلين

(٧) ذعرته ذعرا من باب نفع أفزعته والذعر بالضم اسم منه

(٨) تتول العرب وضع قدمه فى الحرب اذا أقبل عليها وأخذ فيها وله فى العلم قدم أى سبق

(٩) جاشت اضطربت

حتى انغمس فى غمرات لججها وأكون فلكا لفرسانى الى بحبوحة كبشها فاستمطرها دما وأترك حماتها جزر السباع وكل نسر قشعم ثم قال كسرى لمن حضره من العرب اكذلك هو قالوا فعاله أنطق من لسانه قال كسرى ما رأيت كاليوم وفدا احشد ولا شهودا اوفد (ثم قام عمرو بن الشريد السلمى) فقال أيها الملك نعم بالك ودام فى السرور حالك ان عاقبة الكلام متدبرة وأشكال الامور معتبرة وفى كثير ثقلة وفى قليل بلغة وفى الملوك سورة العز وهذا منطق له ما بعده شرف فيه من شرف وخمل (١) فيه من خمل لم نأت لضيمك ولم نفد لسخطك ولم نتعرض لرفدك ان فى أموالنا منتقدا (٢) وعلى عزنا معتمدا ان أوريتنا نارا أثقبنا (٣) وان أود (٤) دهر بنا اعتدلنا الا انا مع هذا لجوارك حافظون ولمن رامك كافحون (٥) حتى يحمد الصدر (٦) ويستطاب الخبر قال كسرى ما يقوم قصد منطقك بافراطك ولا مدحك بذمك قال عمرو كفى بقليل قصدى هادنا وبايسراف مراطى مخبرا ولم يلم من أعربت نفسه عما يعلم ورضى من القصد بما بلغ قال كسرى ما كل ما يعرف المرء ينطق به اجلس (ثم قام خالد بن جعفر الكلابى) فقال أحضر الله الملك اسعادا وارشده ارشادا ان لكل منطق فرصة (٧) ولكل حاجة غصة (٨) وعى المنطق أشد من عى السكوت وعثار القول اكأ من عثار الوعث (٩) وما فرصة

---

(١) خمل الرجل خمولا من باب قعد فهو خامل اى ساقط النباهة لا حظ له مأخوذ من خمل المنزل اذا عفى ودرست آثاره

(٢) نقدت الدراهم نقدا من باب قتل فانا ناقد والجمع نقاد ككافر وكفار وتنقدت كذلك اذا نظرتها لتعرف جيدها وزنتها ونقدت الرجل الدراهم أعطيتها له فيتعدى الى مفعولين مصباح

(٣) وثقبت النار اتقدت وبابه دخل مختار

(٤) أود الشئ اعوج وبابه طرب وتاود تعوج وآده الحمل أثقله من باب قال فهو مؤود بوزن مقول مختار

(٥) كافحون أى مستقبلون من كفحه بمعنى استقبله وبابه قطع وفلان يكافح الامور أى يباشرها بنفسه مختار

(٦) الصدر الرجوع وصدرت عن الموضع رجعت عنه

(٧) الفرصة الغرض (٨) أى مانع

(٩) الوعث بالثاء المثلثة الطريق الشاق المسلك والجمع وعوث مثل فلس وفلوس ويقال الوعث فى الاصل رمل رقيق تغيب فيه الاقدام فهو شاق ثم استعير لكل أمر شاق

المنطق عندنا الا بما نهوى وغصة المنطق بما لا نهوى غير مستساغة وتركى ما أعلم من نفسى و يعلم من سمعنى انى له مطيق أحب الى من تكلفى ما أتخوف و يتخوف منى وقد أوفدنا اليك ملكا النعمان وهو لك من خير الاعوان ونعم حامل المعروف والاحسان أنفسنا بالطاعة لك باخعة ورقابنا بالنصيحة خاضعة وأيدينا لك بالوفاء رهينة قال له كسرى نطقت بعقل وسموت بفضل وعلوت بنبل (ثم قام علقمة بن علاثة العامرى) فقال نهجت لك سبل الرشاد وخضعت لك رقاب العباد ان للاقاويل مناهج وللآراء موالج وللعويص مخارج وخير القول أصدقه وأفضل الطلب أنجحه انا وان كانت المحبة أحضرتنا والوفادة قربتنا فليس من حضرك منا بافضل ممن غرب عنك بل لو قست كل رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له فى آبائه دنيا أندادا وأكفاء كلهم الى الفضل منسوب وبالشرف والسودد موصوف وبالرأى الفاضل والادب النافذ معروف يحمى حماه ويروى نداماه ويذود أعداه لا تخمد ناره ولا يحترز منه جاره أيها الملك من يبل العرب يعرف فضلهم فاصطنع العرب فانها الجبال الرواسى عزا والبحور الزواخر طمأ والنجوم الزواهر شرفا والحصى عددا فان تعرف لهم فضلهم يعزوك وان تستصرخهم لا يخذلوك قال كسرى وخشى ان يأتى منه كلام يحمله على السخط عليه حسبك ابلغت وأحسنت (ثم قام قيس بن مسعود الشيبانى) فقال أطاب الله بك المراشد وجنبك المصائب ووقاك مكروه الشصائب (١) ما أحقنا اذ أتينا باسماعك ما لا يحنق (٢) صدرك ولا يزرع لنا حقدا فى قلبك لم نقدم أيها الملك لمساماة ولم نتسبب لمعاداة ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الامم انا فى المنطق غير محجمين (٣) وفى الناس غير مقصرين ان جورينا فغير مسبوقين وان سومينا فغير مغلوبين (قال كسرى) غير انكم اذا عاهدتم غير وافين وهو يعرض به فى تركه الوفاء بضمانه السواد قال قيس أيها الملك ما كنت فى ذلك الا كواف غدر به أو كحافر (٤) أخفر بذمته قال كسرى ما يكون لضعيف ضمان

---

(١) الشدائد والمشاق

(٢) حنق حنقا من باب تعب اغتاظ فهو حنق وأحنقته غظته فهو محنق مصباح

(٣) الاحجام التأخر

(٤) خفر بالعهد يخفر من باب ضرب وفى لغة من باب قتل اذا وفى به وخفرت الرجل حميته وأجرته من طالبه فانا خفير والاسم الخفارة بضم الخاء وكسرها والخفارة مثلثة الخاء جعل الخفير وخفرت بالرجل أخفر من باب ضرب غدرت به وتخفرت به اذا احتميت واخفرته بالالف نقضت عهده

ولا لذليل خفارة قال قيس أيها الملك ما أنا فيما أخفر من ذمتى أحق بالزامى العار منك فيما قتل من رعيتك وانتهك من حرمتك قال كسرى ذلك من اثم من الخانة واستنجد الأثمة نائله من الخطأ ما نالنى وليس كل الناس سواء كيف رأيت حاجب بن زرارة لم يحكم قواه فيبرم (١) ويعهد فيوفى ويعد فينجز قال وما أحقه بذلك وما رأيته الا لى قال كسرى القوم بزل (٢) فافضلها أشدها (ثم قام عامر بن الطفيل العامرى) فقال كثر فنون المنطق وليس القول أعمى من حندس الظلماء وانما الفخر فى الفعال والعز فى النجدة والسودد مطاوعة القدوة وما أعلمك بقدرنا وابصرك بفضلنا وبالحرى (٣) ان أدالت الايام وثابت الاحلام (٤) ان تحدث لنا أمور لها أعلام قال كسرى وما تلك الاعلام قال مجتمع الاحياء من ربيعة ومضر على أمر يذكر قال كسرى وما الامر الذى يذكر قال مالى علم بأكثر مما خبرنى به مخبر قال كسرى متى تكهنت يا ابن الطفيل قال لست بكاهن ولكن بالرمح طاعن قال كسرى فان أتاك آت من جهة عينك العوراء ما أنت صانع قال ماهيبتى فى قفاى بدون هيبتى فى وجهى وما أذهب عينى عبث ولكن مطاوعة العبث (ثم قام عمرو ابن معديكرب الزبيدى) فقال انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه (٥) فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجدة الارتياد (٦) وعفو الراى خير من استكراه الفكرة وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة فاجتبذ طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا بحلمك وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا فانا أناس لم يوقس صفاتنا قراع منا قير من أراد لنا قضما ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما (ثم قام الحرث بن ظالم المرى) فقال ان من آفة المنطق الكذب ومن لؤم الاخلاق الملق ومن خطل الراى خفة الملك المسلط فان أعلمناك ان مواجهتنا لك على ائتلاف وانقيادنا لك عن تصاف ما أنت بقبول ذلك منا

---

(١) برم بالشئ برما فهو برم مثل ضجر ضجرا فهو ضجر وزنا ومعنى ويتعدى بالهمزة فيقال أبرمته به وتبرم مثل برم وأبرمت العقد ابراما أحكمته فانبرم وأبرمت الشئ دبرته (٢) بزل البعير بزولا من باب قعد فطرنابه بدخوله فى السنة التاسعة فهو بازل يستوى فيه الذكر والانثى والجمع بوازل وبزل الرأى بزالة استقام (٣) تحريت الشئ قصدته وتحريت فيه طلبت احرى الامرين وزيد حرى أن يفعل كذا مقصورا فلا يثنى ولا يجمع ويجوز حرى فيثنى ويجمع (٤) رجعت العقول وصدقت الاحلام (٥) وقال بعض الظرفاء

قد قال قوم بغير علم * ما المرء الا باصغريه
وقلت قول امرئ عليم * ما المرء الا بدرهميه

(٦) ارتاد الرجل الشئ طلبه

بخليق ولا للاعتماد عليه بحقيق ولكن الوفاء بالعهود واحكام ولث (١) العقود والامر بيننا وبينك معتدل مالم يأت من قبلك ميل أو زلل قال كسرى من أنت قال الحرث بن ظالم قال ان فى أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك وان تكون أولى بالغدر وأقرب الى الوزر قال الحرث ان فى الحق مغضبة والسرفى التغافل ولن يستوجب أحد الحلم الامع القدرة فلتشبه أفعالك مجلسك قال كسرى هذا فتى القوم (ثم قال كسرى) قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم وتفنن فيه متكلموكم ولولا انى أعلم ان الادب لم يثقف أودكم ولم يحكم أمركم وانه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم لم أجر لكم كثيرا مما تكلمتم به وانى لاكره ان أجبه وفودى أو أحنق صدورهم والذى أحبه اصلاح مدبركم وتألف شواذكم والاعذار الى الله فيما بينى وبينكم وقد قبلت ما كان فى منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل فانصرفوا الى ملككم فاحسنوا موازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وأقيموا اودهم وأحسنوا أدبهم فان فى ذلك صلاح العامة وهو اجدر بطول السلامة ثم أمر لكل واحد منهم بخمسين دينارا وحلة وصرفهم فلم يلمهم كسرى الا بعدم حسن الخطاب مع الملوك ولذلك أمرهم بتهذيب خطابهم وفى الحقيقة ان لسان العرب قد دل على تهذيب اخلاقهم وكلما قارب العرب البعثة كلما كثرت الفصاحة وزالت الوحشة من كلامهم حتى كان استتمام الفصاحة فى زمن بعثته صلى الله عليه وسلم وبذلك تعلم الحكمة فى نزول القرآن الشريف بلسان عربى مبين وتحديهم باقصر سورة منه وعجزهم عن الاتيان بمثله ومن وقف على كلام العرب فى العصور المتتالية عرف ذلك جليا وللعرب وفود كثيرة نذكر منها وفد حاجب بن زرارة على كسرى ووفود قريش على سيف بن ذى يزن فيما قارب بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ليعلم الفرق بين أقوالهم المختلفة وما وصلوا اليه من تحسين ألفاظهم وأخلاقهم (وفود حاجب بن زرارة على كسرى) روى العتبى عن أبيه ان حاجب بن زرارة وفد على كسرى لما منع تميما من ريف العراق فاستأذن عليه فاوصل اليه أسيد العرب انت قال لا قال فسيد مضر قال لا قال فسيد بنى أبيك أنت قال لا ثم أذن له فلما دخل عليه قال له من أنت قال سيد العرب قال أليس قد أوصلت اليك أسيد العرب فقلت لاحتى اقتصرت بك على بنى أبيك فقلت لا قال له أيها الملك لم أكن كذلك حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت سيد العرب قال كسرى آه آه املؤا فاه درا ثم قال انكم معشر العرب أهل غدر فان أذنت لكم أفسدتم

(١) قال فى القاموس الولث كالورد العهد الغير الاكيد

البلاد وأغرتم على العباد وآذيتموني قال حاجب فاني ضامن للملك ان لا يفعلوا قال فمن لي بأن تفي أنت قال أرهنك قوسي فلما جاء بها نحملك من حوله وقالوا لهذه العصا يفي قال كسرى ما كان ليسلمها الشيء أبدا فقبضها منه وأذن لهم ان يدخلوا الريف فدخلوه ولما مات حاجب بن زرارة ارتحل ابنه عطارد الى كسرى يطلب قوس أبيه فقال له كسرى ما أنت الذي رهنتها قال أجل أيها الملك قال فافعل ذلك وأين ذهب قال هلك قال وهل بينك وبينه قرابة قال نعم هو أبي وقد وفى له قومه ووفى هو للملك وأمرني عند موته ان أحضر الى الملك وأفك رهنه منه فتبسم كسرى وقال لبعض من كان حاضرا وقت رهنها ألم أقل لكم انه لا يترك قوسه ابدا ثم امر باحضارها اليه وكساه حلة واحسن اليه وسرحه (١) مسرورا فلما رفد الى النبي صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب وهو يومئذ رئيس تميم واسلم على يديه اهداها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها منه لانها أثر أبيه فباعها من رجل يهودي بأربعة آلاف درهم (وفود قريش على سيف بن ذي يزن بعد رجوعه الى اليمن وطرده الحبشة) قال نعيم بن حماد أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري قال قال ابن عباس رضي الله عنهما ما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وقد كان ظهر عليهم باليمن وأجلاهم عنها بعد تغلبهم عليها وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وشعراؤهم يهنؤنه ويمدحونه ويذكرون ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه وانتصاره على عدوه فأتاه وفد قريش وكان رئيسهم عبد المطلب بن هاشم وكان من أشرافهم أمية بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وخويلد بن أسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة فتقدموا عليه وهو في قصره المسمى غمدان (٢) فطلبوا

---

(١) سرح من باب خضع تقول سرحت بالغداة ورجعت بالعشي ويقال ماله سارحة ولا رائحة أي شيء وتسريح المرأة تطليقها والاسم السراح بالفتح

(٢) غمدان كعثمان قصر مشهور باليمن بناه يشرخ هكذا بالشين والخاء المعجمتين وفي بعضها بالمهملات وفي بعضها بزيادة اللام على التحتية وهو ابن الحارث بن صيفي جد بلقيس بناه باربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر وبنى داخله سبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعا وفي بعض التواريخ كان ارتفاع سقفه مائتي ذراع وقيل ان سليمان عليه السلام بناه لبلقيس ومال اليه كثير من المفسرين وقيل ان الذي أنشاه يعرب بن قحطان وأكمله بعده وائل بن حمير بن سبأ هكذا في تاج العروس وقد سبق أن الذي بناه هو شرحبيل بن عمرو بن غالب بن المنتاب وهو المشهور عند كثير من المؤرخين

الاذن عليه فاذن لهم فدخلوا فوجدوه متضمخا بالعنبر يلصق وبيص (١) المسك فى مفرق رأسه وعليه بردان اخضران قد اتزر باحدهما وارتدى بالآخر وسيفه بين يديه والملوك عن يمينه وشماله وابناء الملوك فدنا عبد المطلب فاستاذن فى الكلام فقال له قل فقال ايها الملك ان الله تعالى احلك محلا رفيعا صعبا منيعا باذخا شامخا وانبتك منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته ونبل أصله وبسق فرعه من أكرم معدن وأطيب موطن فأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذى به تخصب وملكها الذى به تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى اليه يلجأ العباد سلفك خير من سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من أنت خلفه ولن يخمل من أنت سلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أنهجك لكشف الكرب الذى فدحنا (٢) فنحن وفد التهنئة قال من أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فادناه وقربه ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا يعطى عطاء جزلا فذهبت مثلا وكان أول ما تكلم به قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فاهل الليل والنهار أنتم ولكم القربى ما أقمتم والحباء (٣) اذا ظعنتم قال ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود واجرى عليهم الانزال فاقاموا بها به شهرا لا يصلون اليه ولا ياذن لهم فى الانصراف ثم انتبه اليهم انتباهة فدعا بعبد المطلب من بينهم فخلا به وادنى مجلسه وقال يا عبد المطلب انى مستودعك من علمى امرا لو غيرك كان لم ابح له به ولكنى رأيتك معدنه فاطلعتك عليه فليكن مصونا حتى ياذن الله فيه فان الله بالغ امره انى اجد فى العلم المخزون والكتاب المكنون الذى ادخرنا لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولنفسك خاصة قال عبد المطلب مثلك أيها الملك بر وسر وبشر ما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال ابن ذى يزن اذا ولد مولود بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الامامة الى يوم القيامة قال عبد المطلب

---

(١) وبيص الطيب بريقه وابيض وابص برّاق ووبصت النار وبيصا أضاءت قال أبو الغريب النصرى

أما ترينى اليوم نضوا خالصا * اسود حلبوبا وكنت وابصا اه تاج

(٢) فدحه الدين أثقله وبابه قطع وأمر فادح اذا عال الانسان وبهظه ولم يسمع أفدحه الدين ممن يوثق بعربيته اه مختار

(٣) حبوت الرجل حباء بالمد والكسر أعطيته الشئ بغير عوض

أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب به أحد فلولا اجلال الملك لسألته عما سارّه الى ما أزداد به سرورا قال ابن ذى يزن هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد يموت ابوه وأمه ويكفله جده وعمه قد وجدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويفتتح كرائم الارض ويضرب بهم الناس على عرض يخمد الاديان ويكسر الاوثان ويعبد الرحمن قوله حكم وفصل وأمره حزم وعدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب طال عمرك ودام ملكك وعلا جدك وعز نخرك فهل الملك يسرني بأن يوضح فيه بعض الايضاح فقال ابن ذى يزن والبيت ذى الطنب (١) والعلامات والنصب انك يا عبد المطلب لجده من غير كذب نخر عبد المطلب ساجدا قال ابن ذى يزن ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيأ مما ذكرت لك قال عبد المطلب أيها الملك كان لى ابن كنت له محبا وعليه حدبا مشفقا فزوجته كريمة من كرائم قومه يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامة فيه كل ما ذكرت من علامة مات ابوه وأمه وكفلته أنا وعمه (٢) قال ابن ذى يزن ان الذى قلت لك كما قلت فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا اطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن ان تدخلهم النفاسة من ان تكون لكم الرياسة فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون وابناؤهم ولولا انى أعلم ان الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى اصير بيثرب دار مهاجرته فانى اجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب دار هجرته وبيت نصرته ولولا انى اقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه وأوطأت أقدام العرب عقبه ولكنى صارف اليك ذلك عن تقصير منى بمن معك ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة اعبد وعشرا ماء سود وخمسة ارطال فضة وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوأة عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال اذا حال الحول فائتنى بما يكون من أمره وأخبرنى عن خبره فما حال الحول حتى مات وكان عبد المطلب بن هاشم يقول يا معشر قريش لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء

---

(١) الطنب بضمتين وسكون الثانى الحبل تشد به الخيمة أو العمد

(٢) لعل كفالة عمه له مع وجود جده المراد منها مجرد الملاحظة والمساعدة لا الكفالة المعلومة فانها لم تتمحض لعمه الا بعد وفاة جده وانما قال عبد المطلب هذا القول ليطابق قول ابن ذى يزن (يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه) وان كان مراده ان عمه يكفله بعد وفاة جده

الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لي ذكره وفخره ولعقبي من بعدي فاذا قالوا له وماذاك قال سيظهر بعد حين اه

(وحكم العرب) وامثالهم كثيرة من تعرض لحصرها عجز عن الوصول اليها وقد دونت في امثالهم كتب مشهورة كامثال العرب للميداني والضبي وغيرهما ومن حكمهم المشهورة ونصائحهم المأثورة (١) قولهم انظر الى معايبك قبل معايب صاحبك اجتنب المزاح فانه يخفض الجناح لا تكن اذا سألت ثقيلا ولا اذا سئلت بخيلا لا تطلب ما في يد الناس ولو خرمة من الآس اذا جلست فاعرف مقامك واذا حدثت فانتقد كلامك اذا تكلمت ليلا فاخفض واذا تكلمت نهارا فانهض اذا دعيت الى الولائم فكن آخر جالس وأول قائم اكرم الناس تكرم ولا تكثر الزيارة فتسأم مجالسة الخسيس تزرى بالجليس الزم الوداعة والحياء واجتنب الرياء والكبرياء احذر الكسل فانه آفة العمل لا تطلب الغنى بالمنى واطلب النوى عن الهوى لا تدخل في الفضول فتخرج عن القبول اذا غضبت فاترك بقية من الرضا لا ينهك ما قد حضر عن ذكر ما قد مضى اطلب الافادة جهدك ولا تدع بما ليس عندك اعتزل البخل الذميم والكرم الوخيم اذا دعيت فشمر الذيل وحيثما انقلبت فلا تمل كل الميل ولا تات ما يلجئك الى المعذرة تسلم من كل خطة (٢) منكرة الادب اشرف من النسب صدق يضر خير من كذب يسر انتشار المنايا أيسر من ارتكاب الدنايا اقتحام النار أهون من التحاق العار داء الاسد أسلم من داء الحسد القناعة نعمت الصناعة حب السلامة عنوان الكرامة النظر في العواقب من أحسن المناقب لا تسلم نفسك الى هواك ولا تستودع سرك سواك لا تفوض امرك الا لمن يعرف قدرك نزه نفسك عن الخسائس وقلبك عن الدسائس احفظ لسانك من الخلل ورحلك من الزلل لا تطمع فيما تجمع ولا تصدق كل ما تسمع لا تنقل القدم الى ما يعقب الندم لا تمش في الارض مرحا ولا يستفزك الدهر ترحا لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اذا استغنيت فلا تبطر واذا افتقرت فلا تضجر واذا ابتليت فاصطبر واذا رأيت العبرة فاعتبر اذا أردت ان تطاع فسل ما يستطاع لا تعد الا وأنت قادر على الانجاز واذا

(١) انظر النفحة الملوكية في أحوال الامة العربية (٢) الخطة بالكسر الارض التي يختطها الرجل لنفسه وهو ان يعلم عليها علامة بالخط ليعلم انه قد احتازها لبنيها دارا ومنه خطة الكوفة والبصرة واختط الغلام نبت عذاره والخطة بالضم الامر والقصة والخطة أيضا من الخط كالنقطة من النقط اه مختار

حدثت فعليك بالايجاز ولاتلبس الحقيقة بالمجاز لاتبادر بالجواب قبل استيفاء الخطاب لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل مقام مقال ولكل دهر رجال لكل قضاء جالب ولكل درحالب من حسنت سريرته حمدت سيرته من أطاع غضبه أضاع أدبه من تأنى نال ماتمنى ومن سعى رعى ومن جال نال ومن قل ذل الحرحر وان مسه الضر الكذب داء والصدق شفاء طعن اللسان كوخز السنان ظن العاقل أصح من يقين الجاهل اه ومثل ذلك كثير قد دونت فيه كتب مخصوصة كاسرار الحكماء ونصائح القدماء وغيره ومن تأمل فى كلام الوفد العشرة الذين وفدوا على كسرى وفى كلام الوفود الذين وفدوا على سيف بن ذى يزن من العرب سيما أهل الحجاز منهم علم انه كلما قارب العرب البعثة كلما تهذب لسانهم وكملت فصاحتهم كما قدمناه

وأما أشعار العرب فقد اودعوا فيها أسرار لغاتهم وعوائدهم وأخلاقهم وما كان لهم من الحروب والوقائع التاريخية وقوة الفكر وثبات الجنان فهى تدل دلالة كافية على ما كان للعرب من علو الصيت ورفعة المكانة وتعرض الشعر والمفاضلة فيه ومنزلته عندهم قد تنقحت اللغة العربية أيضا وتخلصت من شوائب الركة واللكنة واستعمال الالفاظ الحوشية والغريبة وصاروا يترقون شيأ فشيأ حتى أثمر قرض الشعر فوائد جمة منها انه كان يدعو الى المروءة والنجدة وعلو الهمة ويحمل على الشجاعة والاقدام على عظائم الامور ومحاسن الصفات قولا وفعلا فلذلك كان لشعراء العرب فى ذلك العهد نفوذ تام ورسوخ اقدام واعتماد عليهم ووثوق بهم وكان كلامهم حجة به يستشهد وعليه يعتمد كما قيل

للسادة الشعراء فضل ثابت * ولهم مقام شامخ ومكان
وهم وسلاطين الكلام اماترى * كل امرئ منهم له ديوان

فقد كانوا دون غيرهم هم المؤرخين والنسابين والناقلين للحوادث فى جزيرة العرب بتمامها لاشتمال قصائدهم على الوقائع والمآثر والنوازل والمفاخر وتحول الاحوال من مكان الى مكان وتنقل الحوادث من زمان الى زمان فكانوا بدون شك ولاشبهة أمراء الكلام وأهل الحل والابرام ولما كانوا هم المحسنين والمقبحين والمادحين والقادحين والمبعدين والمقربين كانوا يرفعون القبائل ويخفضونها ويعزونها ويذلونها ويشرفونها ويضعونها كما يشاؤن مدحا وهجوا تلويحا وتصريحا تعريضا وكناية كما قيل

وللشعراء ألسنة حداد * على العوراء مابرحت دليله

ولكن السعيد من اتقاها * وداراها مداراة جميله

ولذا كان يخشى بأسهم ويحترم جانبهم حتى قال بعضهم

فان لسانى شهدة يشتفى بها * وهوّ على من صبه الله علقم

وكثيرا ما كانت تجتمع العرب تحت خيامهم وقبابهم يتناشدون الاشعار ويتغنون بها بالانغام والايقاعات فتطرب المسامع وتحلو على لسان منشدها وناظمها كما تلذبها أذن السامع فكانما البدوى من العرب مخلوق من أصل الفطرة لقرض الشعر وابتكار المعانى البديعة والتفنن فى انحاء الكلام فتارة تكون قصيدته فى فن واحد وتارة تتضمن فنونا متعددة كالافتخار بعلو الهمة وشدة البأس وهذا ما يسمى بالحماسة كقول عنترة

لئن كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج

فمن رام تقويمى فانى مقوّم * ومن رام تعويجى فانى معوّج

ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس فى الشر بالشر مسرج

﴿ومن الحماسة قوله﴾

وفى يوم المصانع (١) قد تركنا * لنا بفعالنا خبرا مشاعا

أقمنا بالذوابل سوق حرب * وصيرنا النفوس لها متاعا

حصانى كان دلال المنايا * نخاض غبارها وشرى وباعا

وسيفى كان فى الهيجا طبيبا * يداوى رأس من يشكو الصداعا

ولو أرسلت رمحى مع جبان * لكان بهيبتى يلقى السباعا

﴿ومنها قوله﴾

انى لاعجب كيف ينظر صورتى * يوم القتال مبارزو يعيش

﴿ومن الحماسة قول القائل﴾

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

﴿ومن الفخر الحماسى قول عنترة أيضا﴾

اذا بلغ الفطام لنا وليد * تخر له أعادينا سجودا

فمن يقصد بداهية المنا * يجد منا جبابرة أسودا

ويوم البذل نعطى ما ملكنا * ونملا الارض احسانا وجودا

وكقول حسان بن ثابت الانصارى فى قصيدته التى مطلعها

لعمر أبيك الخير حقا لمانبا * على لسانى فى الخطوب ولا يدى

(١) الحصون

لسانى وسيفى صارمان كلاهما * ويبلغ مالا يبلغ السيف مذودى (١)

(الى أن قال)

وانى لقوال لذى البيت مرحبا * وأهلا اذا مار يع من كل مرصد
وانى ليدعونى الندا فاجيبه * واضرب بيض العارض المتوقد
فلا تعجلن ياقيس وارب ع (٢) فانما * قصارك ان تلقى بكل مهند
حسام وارماح بايدى اعزة * متى ترهم يا ابن الخطيم تبلد
أسود لها الاشبال تحمى عرينها * مداعيس بالخطى فى كل مشهد
فقد لاقت الاوس القتال وأطردت * وأنت لدى الكتات (٣) فى كل مطرد
تغنى لدى الابيات حورا كواعبا * وحجرما قيك الحسان بأثمد
نفتكم عن العلياء ام ذميمة * وزندمتى تقدح به النار يصلد

﴿وقول عبد الله بن رواحة فى قصيدته التى مطلعها﴾

تذكر بعد ماشطت نجودا * وكانت تيمت قلبى وليدا

(الى أن قال)

وقد علم القبائل غير فخر * اذا لم تلف ماثلة ركودا
بانا نخرج الشتوات منا * اذا ما استحكمت حسبا وجودا
قدورا تغرق الاوصال فيها * خضيبا لونها بيضا وسودا
متى ماتأت يثرب أوتردها * تجدنا نحن أكرمها جدودا
وأغلظها على الاعداء ركنا * وألينها لباغى الخير عودا
وأخطبها اذا اجتمعوا لأمر * وأقصدها وأوفاها عهودا
اذا ندعى لنار أو لجار * فنحن الاكثرون بها عديدا
متى ماتدع فى جشم بن عوف * تجدنى لاأغم ولا وحيدا
وحولى جمع ساعدة بن عمرو * وتيم اللات قد لبسوا الحديدا
زعمتم انما نلتم ملوكا * ونزعم انما نلنا عبيدا
ومانبغى من الاحلاف وترا * وقد نلنا المسوّد والمسودا
وكان نساؤكم فى كل دار * يهرشن المعاصم والخدودا

﴿وقول الآخر﴾

(١) المذود بكسر الميم كمنبر اللسان لانه يذاد به عن العرض تاج
(٢) كف نفسك وارفق بها (٣) الكتات واحدتها كتة وهى امرأة الابن والاخ

انا اذا اشتد الزما * ن وناب خطب وادلهم
ألفيت حول بيوتنا * عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيو * ف وللندا حمر النعم
هذا وهذا دأبنا * يودى دم ويراق دم

﴿وقول المنتخل بن عويمر الهذلى من قصيدة له﴾

فلا وابيك يؤذى الحى ضيفى * هدو أبا لمساءة والذعاط (١)
سأبدؤهم بشمعة واثنى * بجهدى من طعام أو بساط
اذا ما الحرجف (٢) التكاء ترمى * بيوت الحى بالورق السقاط
فاعطى غير مزورتلادى * اذا التطت لذى بخل لطاط (٣)
واحفظ منصبى واصون عرضى * وبعض القوم ليس بذى احتياط
واكسو الحلة الشوكاء (٤) خدنى * وبعض القوم فى حزن وراط
فهذا ثم قد علموا مكانى * اذا قال الرقيب (٥) ألا يعاط
وعادية (٦) وزعت لها حفيف * حفيف مزبد الاعراف عاطى
لقيتهم بمثلهم فأمسوا * بهم شين من الضرب الحلاط
فأبنا والسيوف مفللات * بهن لفائف الشعر السباط
بضرب فى الجماجم ذى فروج * وطعن مثل تقطاط الرهاط (٧)

وغالب ديوان الحماسة لابى تمام والبحترى وجمهرة العرب لابن دريد ولابى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى والاغانى للاصفهانى والمعلقات وماشا كلها شواهد لذلك

وكذكر الحسن والجمال وهو المسمى بالنسيب وقد أكثر وا فيه ومن رائقه قول عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم * ولا ملك أقوام ولومهم ظلم

(١) الذعط الذبح (٢) الحرجف الريح الباردة الشديدة (٣) علامة البخيل يلتط فى وجهه لطاط من الاعباس ولطاط من أسماء البخل (٤) الشوكاء المجبرة الجديدة والخدن الصديق والوراط الذى يتورط من الشدة (٥) الرقيب المرتقب للقوم وألا يعاط كناية عن الصوت والانذار وقيل يعاط زجر للذئب فزاجره يقول له هذا اللفظ (٦) العادية الغارة وزعت كففت والحفيف الصوت مزبد كثير الزبد يعنى البحر والاعراف أوائلها عاطى طويل (٧) الرهاط الادم وتعطاط أى قط الاديم اه من الجمهرة

ونم عليك الكاشحون (١) وقبل ذا * عليك الهوى قدنم لونفع النم
فيامن لنفس لاتموت فينقضى * عناها ولاتحيا حياة لها طعم
تحنبت اتيان الحبيب تأثما * الاان هجران الحبيب هوالاثم

﴿وجعلوا من أحسن ما قيل فيه قول القائل﴾

ياملبح الملاح أحرقت قلبا * كان قبل الهوى قويا سويا
لاتحارب بناظريك فؤادى * فضعيفان يغلبان قويا

﴿وقول جرير﴾

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

وجعل بعضهم ان هذين البيتين من المبتذل كما يحكى ان اعرابيا دخل على ثعلب فقال له أنت الذى تزعم انك أعلم الناس بالادب فقال كذا يزعمون فقال أنشدنى أرق بيت قالته العرب فقال قول جرير * ان العيون التى فى طرفها حور * البيتين فقال هذا الشعر غث رث قد لاكته السفلة بالسنتها هات غيره فقال ثعلب أفدنا من عندك يا اعرابى فقال قول مسلم بن الوليد صريع الغوانى

تبارز أبطال الورى فنبيدهم * ويقتلنا فى السلم لحظ الكواعب
وليست سهام الحرب تفنى نفوسنا * ولكن سهام فوقت فى الحواجب

فقال ثعلب لاصحابه اكتبوهما على الحناجر ولو بالحناجر وتزيين الاسواق فى مصارع العشاق وديوان الصبابة ويتيمة الدهر وكتب الادبيات والمحاضرات مشحونة بذلك وكذكر ما يستفاد منه الفوائد الحسنة ويتبع ويتمثل به وهو فن الحكم والآداب والاخلاق كقول بعضهم

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

﴿وقول سلامة بن جندل التميمى﴾

لاتقولن اذا مالم ترد * أن تتم الوعد فى شئ نعم
حسن قول نعم من بعد لا * وقبيح قول لا بعد نعم
ان لا بعد نعم فاحشة * فبلا فابدأ اذا خفت الندم

(١) الكاشح الذى يضمر لك العداوة يقال كشح له بالعداوة من باب قطع وكاشحه بمعنى اه مختار

واذا قلت نعم فاصبر لها * بنجاز الوعد ان الخلف ذم
اكرم الجار وراعى حقه * ان عرفان الفتى الحق كرم
ان شر الناس من يمدحنى * حين يلقانى وان غبت شتم

ولهم فى ذلك قصائد كثيرة ولامية بن الوردى والطغرائى والقصيدة الزينبية كلها شواهد لذلك

وكذكر التأسف على فقد حبيب وبث محاسنه وتعديد مناقبه ومنهم من رثى نفسه قبل موته قال ابن قتيبة بلغنى ان أول من بكى على نفسه وذكر الموت فى شعره يزيد بن خراق فقال

هل للفتى من بنات الدهر من واق * أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلونى وما بالشعر من شعث * وألبسونى ثيابا غير اخلاق
وطيبونى وقالوا أيما رجل * وأدرجونى كأنى طى مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا * ليسندوا فى ضريح القبر اطباقى
وقسموا المال وانفضت جموعهم * وقال قائلهم مات ابن خراق
هون عليك ولا تولع بجمع دنا * فانما مالنا للوارث الباقى

وخرج عمر بن الخطاب يوما الى الجبانة فاذا هو باعرابى فقال ما تصنع ههنا يا اعرابى فى هذه البقعة الموحشة قال وديعة لى يا أمير المؤمنين قال وما وديعتك قال ابن لى حين ترعرع فقدته فانا اندبه قال عمر اسمعنى ما قلت فيه فقال

يا غائبا ما يؤوب من سفره * عاجله موته على صغره
يا قرة العين كنت لى سكنا * فى طول ليلى نعم وفى قصره
شربت كاسا أبوك شاربها * لابد يوما له على كبره
يشربها والانام كلهم * من كان فى بدوه وفى حضره
فالحمد لله لا شريك له * الموت فى حكمه وفى قدره
قد قسم الموت فى العباد فما * يقدر خلق يزيد فى عمره

قال عمر صدقت يا اعرابى غير ان الله خير لك منه ومن أحسن ما قيل فى المراثى قصيدة أبى الحسن التهامى (١) البالغة فى بابها غاية لم يبلغها سواها التى يرثى فى أولها صغيرا له اجاب داعى ربه ويفتخر فى آخرها بفضله ويشكو زمانه حاسديه وكلها غرر تشهد ببراعة ناظمها وقوة اقتداره وعلو أفكاره ولذلك قد أوردتها مع طولها وهى هذه

حكم المنية فى البرية جار * ما هذه الدنيا بدار قرار

(١) تهامة بالكسر مكة والنسبة تهامى

بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذار (١) والاكدار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة (٢) نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير (٣) هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالا انما * أعماركم سفر من الاسفار
وتراكضوا (٤) خيل الشباب وبادروا * ان تسترد فانهن عوار
فالدهر يخدع بالمنى ويغص (٥) ان * هنى ويهدم ما بنى ببوار (٦)
ليس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار
انى وترت (٧) بصارم ذى رونق * أعددته لطلابة الاوتار
والنفس ان رضيت بذلك أو أبت * منقادة بازمة الأقدار
اثنى عليه باسره ولوانه * لم يعتبط (٨) اثنيت بالآثار
ياكوكبا ما كان أقصر عمره * وكذاك عمر كواكب الاسحار
وهلال أيام مضى لم يستدر * بدرا ولم يمهل لوقت سرار (٩)
عجل الخسوف عليه قبل أوانه * فمحاه قبل مظنة الابدار
واستل من أترابه ولداته * كالمقلة استلت من الاشفار

---

(١) القذر ضد النظافة وشئ قذر بين القذارة وقذرت الشئ من باب طرب وتقذرته واستقذرته أى كرهته والكدر ضد الصفو وبابه طرب وسهل فهو كدر وكدر مثل نخذ ونخذ وكدره غيره تكديرا والكدر الذى فى لونه كدرة اه مختار
(٢) الجذوة الجمرة بفتح الجيم وضمها وكسرها قال تعالى أو جذوة من النار لعلكم تصطلون وهى بلغة جميع العرب وقال أبو عبيدة الجذوة القطعة الغليظة من الخشب كان فى طرفها نار أو لم يكن اه مختار (٣) شفير الشئ طرفه وهار البناء هدمه فهو هائر وهار
(٤) ركض الفرس استحثه برجله ليسير أو ليعدو مختار (٥) الغصة الشجى والجمع غصص وغصصت بالطعام فانا غاص وأغصنى غيرى والمنزل بالناس ممتلئ بهم اه مختار
(٦) البوار الهلاك والبائر الهالك والذى لا خير فيه (٧) وتره حقه أى نقصه والوتر الفرد والوتر محركة وتر القوس اه (٨) أى لم يمت صغيرا من غير علة واعبطه الموت واعتبطه وعبط الذبيحة يعبطها نحرها (٩) سرر الشهر بفتحتين آخر ليلة منه وكذا سراره بفتح السين وكسرها وربما كان ليلة أو ليلتين مختار

فكان قلبي قبره وكانه * في طيه سر من الاسرار
ان يعتبط صغر افرب مقحم * يبدو ضئيل الشخص للنظار
ان الكواكب في علو محلها * لترى صغارا وهي غير صغار
ولد المعزى بعضه فاذا مضى * بعض الفتى فالكل في الآثار
أبكيه ثم أقول معتذرا له * وفقت حين تركت الأم دار
جاورت اعدائي وجاور ربه * شتان بين جواره وجواري
أشكو بعادك لي وأنت بموضع * لولا الردى لسمعت فيه مزاري
والشرق نحو الغرب اقرب شقة * من بعد تلك الخمسة الاشبار
دهيات قد علقتك أسباب الردى * واغتال عمرك قاطع الاعمار
ولقد جريت كما جريت لغاية * فبلغتها وأبوك في المضمار
فاذا نطقت فأنت أول منطق * واذا سكت فأنت في اضماري
أخفي من البرحاء نارا مثل ما * يخفي من النار الزناد الواري
وأخفض الزفرات وهي صواعد * وأكف كف العبرات وهي جوار
وشهاب نار الحزن ان طار عته * أوري وان عاصيته متواري
وأكف نيران الاسى ولربما * غلب التصبر فارتمت بشرار
ثوب الرياء يشف عما تحته * واذا التحفت به فانك عار
قصرت جفوني ام تباعد بينها * ام صورت عيني بلا أشفار
جفت الكرى حتى كان غراره * عند اغتماض العين وخز غرار
ولو استزارت رقدة لطحابها * ما بين أجفاني من التيار
أحيي الليالي التم وهي تميتني * ويميتهن تبلج الاسحار
حتى رأيت الصبح تهتك كفه * بالضوء رفرف خيمة كالقار
والصبح قد غمر النجوم كأنه * سيل طغا فطغا على النوار
لو كنت تمنع خاض دونك فتية * من بحار عوامل وشفار
ودحوا فويق الارض أرضا من دم * ثم انثنوا فبنوا سماء غبار
قوم اذا البسوا الدروع حسبتها * خلجا تمد بها أكف بحار
لو أشرعوا ايمانهم في طولها * طعنوا بها عوض القنا الخطار
جنبوا الجياد الى المطى وراوحوا * بين السروج هناك والاكوار
أسد ولكن يؤثرون بزادهم * والاسد ليس تدين بالايثار

يتزين النادى بحسن وجوههم * كتزين الهالات بالاقمار
يتعطفون على المجاورفيهم * بالمنفسات تعطف الاظآر
من كل من جعل الظبى انصاره * وكرمن واستغنى عن الانصار
واذاهواعتقل القناة حسبتها * صلا تأبطه هزبرضار
والليث ان ثاورته لم يعتمد * الاعلى الانياب والاظفار
زرد الدلاص من الطعان يريحه * فى الجحفل المتضايق الجرار
ما بين ثوب بالدماء ممضمخ * زاق ونقع بالطراد مثار
والهون فى ظل العوينا كامن * وجلالة الاخطار فى الاخطار
تندى أسرة وجهه ويمينه * فى حالة الاعسار والايسار
ويمد نحو المكرمات أنامله * للرزق فى اثنائهن مجار
يحوى المعالى كاسبا أوغالبا * أبدا يدادى دونها ويدارى
قدلاح فى ليل الشباب كواكب * ان أمهلت آلت الى الاسفار
وتلهب الاحشاء شيب مفرق * هذا الضياء شواظ تلك النار
شاب القذال وكل غصن صائر * فينانه الاحوى الى الازهار
والشيب منجذب فلم يبض الدمى * عن بيض مفرقه ذوات نفار
وتود لو جعلت سوادقلوبها * وسواد أعينها خضاب عذار
لاتنفر الظبيات عنه فقد رأت * كيف اختلاف النبت فى الاطوار
شيئان ينقشعان أول وهلة * ظل الشباب وخلة الأشرار
لاحبذا الشيب الوفى وحبذا * ظل الشباب الخائن الغدار
وطرى من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى
قصرت مسافته وماحسناته * عندى ولا آلاؤه بقصار
نزدادهما كلما ازددنا غنى * والفقر كل الفقر فى الاكثار
مازاد فوق الزاد خلف ضائع * فى حادث أو وارث أو عار
انى لارحم حاسدى لحرما * ضمنت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى قدرمت كتم فضائلى * فكأنما برقعت وجه النار
وسترتها بتواضعى فتطلعت * أعناقها تعلو على الاستار
ومن الرجال معالم ومجاهل * ومن النجوم غوامض ودرارى

والناس مشتبهون فى ايرادهم * وتفاضل الاقوام فى الاصدار
عمرى لقد أوطأتهم طرق العلا * فعموا فلم يقفوا على آثارى
لو ابصروا بقلوبهم لاستبصروا * وعمى البصائر من عمى الابصار
هلا سعوا سعى الكرام فادركوا * أو سلموا المواقع الاقدار
وفشت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهم منار رؤية الابصار
ولربما اعتضد الحليم بجاهل * لا خير فى يمنى بغير يسار

﴿وكذكر الصفات الحميدة والمناقب الحسنة وهو ما يسمى بالمدح﴾

روى أنه دخل اعرابى على بعض الملوك فقال ان جهلا ان يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح وانى والله ما رأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك وانشد

مالى أرى ابوابهم مهجورة * وكان بابك مجمع الأسواق
عابوك أم هابوك أم شاموا الندى * بيديك فاجتمعوا من الآفاق
انى رأيتك للمكارم عاشقا * والمكرمات قليلة العشاق

﴿وانشد اعرابى فى مثل هذا المعنى﴾

بنت المكارم وسط كفك بيتها * فتلادها (١) بك للصديق مباح
واذا المكارم أغلقت أبوابها * يوما فانت لغلقها مفتاح

﴿وانشد اعرابى فى بنى المهلب﴾

قدمت على آل المهلب شاتيا * قصيا بعيد الدار فى زمن المحل
فما زال بى الطافهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلى

﴿وانشد اعرابى﴾

كانك فى الكتاب وجدت لاء * محرمة عليك فما تحل
وما تدرى اذا أعطيت مالا * أتكثر من سماحك أم تقل
اذا دخل الشتاء فانت شمس * وان دخل المصيف فانت ظل

﴿وأنشد اعرابى﴾

لنا جواد اعار النيل نائله * والنيل يشكر منه كثرة النيل
ان بارز الشمس ألفى الشمس مظلمة * أو زاحم الصم الجاها الى الميل
أهدى من النجم ان تأتيه مشكلة * وعند امنائه أمضى من السيل
والموت أرغب أن يلقى منيته * فى شدة عند لف الخيل بالخيل

(١) التلاد والتليد والاتلاد ما ولد عندك من مال أو نتج قاموس

﴿ولبعضهم﴾

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهمو * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

﴿وكقول مروان بن أبى حفصة﴾

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * اسود لها فى غيل (١) خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
بهاليل فى الاسلام سادوا ولم يكن * كأولهم فى الجاهلية أوّل
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا

ودواوين الشعراء وكتب الادب مشحونة بذلك

وكذكر المعايب والمثالب والوقيعة فى الاعراض والانساب وهو ما يسمى بالذم أو الهجو سافر رجل الى اعرابى فحرمه فقال لما سئل عن سفره مار بحنا فى سفرنا الا ما قصرنا من صلاتنا فاما الذى لقينا من الهواجر ولقيت منا الا باعر فعقوبة لنا فيما أفسدنا من حسن ظننا ثم أنشأ يقول

رجعنا سالمين كما خرجنا * وما خابت سريتنا سالمينا

ومدح بعضهم رجلا لقصد عطائه فمنعه فقدم له هذين البيتين

مدحتكم كرما فيما أؤمله * فلم أنل غير حظ الاثم والوصب
ان لم تكن صلة منكم لذى أدب * فاجرة الخط أو كفارة الكذب

﴿وقال اعرابى﴾

* لما رأيتك لا فاجرا * قويا ولا أنت بالزاهد
ولا أنت بالرجل المتقى * ولا أنت بالرجل العابد
عرضتك فى السوق سوق الرقيق * وناديت هل فيك من رائد (٢)
على رجل خان ودّ الصديق * كفور بأنعمه جاحد
فما جاءنى رجل واحد * يزيد على درهم واحد

---

(١) الغيل بالكسر الاجمة وموضع الاسد غيل مثل خيس ولا تدخلها الهاء والجمع غيول قال الاصمعى الغيل الشجر الملتف والغيلة بالفتح المرأة السمينة والغيلة بالكسر الاغتيال يقال قتله غيلة وهو ان يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله اه صحاح وخفان كعفان موضع قرب الكوفة وهو ماسدة اه تاج (٢) الرائد الطالب

سوى رجل زادنى دانقا * ولم ألك فى ذاك بالجاهد (١)
فبعتك منه بلاشاهد * مخافة ردك بالشاهد
وأبت الى منزلى غانما * وحل البلاء على الناقد

﴿وقال اعرابى فى ابن عم له يسمى زيادا﴾

من يبادلنى قريبا * ببعيد من اياد
من يقاذر من يطافس (٢) * من يبادل بزياد

﴿وقال سعيد بن سالم الباهلى مدحنى اعرابى فاستبطأ الثواب فقال﴾

لكل أخى مدح ثواب يعده * وليس لمدح الباهلى ثواب
مدحت سعيدا والمديح يهزه * فكان كصفوان عليه تراب

﴿وقال أيضا﴾

وان من غاية حرص الفتى * طلابه المعروف فى باهله (٣)
كبيرهم وغدومولودهم * تلعنه فى قبحه القابله

﴿وقال أيضا﴾

سبكناه ونحسبه لجينا * فابدى الكير عن خبث الحديد

﴿وقال كثير فى نصيب بن رياح وكان أسود﴾

رأيت أبا الجباء فى الناس جائرا * ولون أبى الجباء لون البهائم
تراه على مالاحه من سواده * وان كان مظلوما له وجه ظالم

وهو كثير شائع فى اشعار العرب ودواوين الشعراء ولم نكثر القول فيه صونا للكتاب عن تدنيسه بمخازيه

وكاحتجاج المرء لنفسه ودفع اللوم عنها وهو فن الاعتذار كقول بعضهم

حجبى اليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانى مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم اننى مظلوم

وكقوله

فوالله ما فارقتكم قاليا لكم * ولكن ما يقضى فسوف يكون

﴿وقد شطرته بقولى﴾

فوالله ما فارقتكم قاليا لكم * وما كان عهدى بالزمان يخون

---

(١) بالمحتاط أو بالمجد فى الاجتهاد من قولهم جهد جاهد أى شديد
(٢) الطفاسة والطفس محركة قذر الانسان اذا لم يتعهد نفسه وهو طفس كفتك قذر نجس قاموس (٣) وباهلة قبيلة بيل بالكسر ناحية بالرى

وما كان ظني ان أفارق حيكم * ولكن ما يقضى فسوف يكون

وكذكر التخويف والتهديد وهو فن الوعيد كقوله

أتطلب الوصل يا مغرور من قمر * وهل ينال الذي شخص من القمر

لئن رجعت الى ما أنت قائله * لاصلبنك في جذع من الشجر

وغير ذلك من انحاء الشعر كالعتاب والزهد وذكر عجائب الكائنات ووصفها وذكر الطلول والمنازل ووصف الظباء والغزلان وغير ذلك من الاساليب التي لا نهاية لها وللتفنن فيها وقد يجمع الشاعر بين عدة منها في قصيدته ولكن المقصود بالاصل هو فن واحد وقصيدة كعب بن زهير في مدحه صلى الله عليه وسلم التي مطلعها (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول) (١) جامعة للفنون الشعرية المذكورة وكان الشاعر يرفع القبائل بمدحه ويخفضها بذمه

قال بلال بن جرير سألت أبي جريرا وقلت له انك لم تهج قوما قط الا وضعتهم غير بني نجاء قال يا بني اني لم أجد شرفا فاضعه ولا بناء فاهدمه وقد يكون الشئ مدحا فيجعله الشعر ذما ويكون ذما فيجعله مدحا قال حبيب الطائي في هذا المعنى

ولولا خلال سنها الشعر ما درى * بغاة الندى من أين تؤتى المكارم

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة * ويقضى بما يقضى به وهو ظالم

الا ترى الى بني عبد المدان الحارثيين فانهم كانوا يفتخرون بطول أجسامهم وقديم شرفهم حتى قال فيهم حسان هذا

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير

فقالوا له والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر أجسامنا بعد ان كنا نفخر بها فقال لهم سأصلح منكم ما أفسدت فقال فيهم

وقد كنا نقول اذا رأينا * لذي جسم يعد وذي بيان

كأنك أيها المعطى لسانا * وجسما من بني عبد المدان

وكان بنو انف الناقة يعيبون بهذا الاسم في الجاهلية حتى قال فيهم الحطيئة

سيري امامي فان الاكثرين حصى * والاكرمين اذا ما ينسبون أبا

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يسوى بانف الناقة الذنبا

فعاد هذا الاسم فخرا لهم وشرفا فيهم (وكان) بنو نمير أشراف قيس وذؤابتها وكان الرجل منهم اذا سئل عن نسبه يقول نميري ويملأ بها فاه حتى قال فيهم جرير هذا البيت

---

(١) وتبلت المرأة فؤاد الرجل أصابته بتبل أي بمرض شديد

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما بقى نميرى الا طأطأ رأسه وصاروا لا ينتسبون الى نمير بعد ذلك بل كانوا ينتسبون أنفسهم لكعب أو كلاب وقال حبيب فسوف يزيدكم ضعة هجائى * كما وضع الهجاء بنى نمير

وقد كان المحلق الكلابى رجلا فقيرا الحال خامل الذكر وله بنات لم يخطبهن أحد من الازواج رغبة عن أبيهن لفقره فقالت له امرأته ما يمنعك يا ابن كلاب من التعرض لهذا الشاعر والتعرف به واكرامه فما رأيت أحدا آواه اليه وجذبه الا وأكسبه خيرا فقال ويحك ما عندى الا ناقتى فقالت الله يخلفها عليك فتلقاه قبل ان يسبق اليه أحد من الناس وكان الاعشى بصيرا وله ابن يقوده فاخذ المحلق بخطام ناقة الأعشى فقال الأعشى من هذا الذى غلبنا على خطامنا فقيل المحلق فقال شريف كريم ثم سلمه ابنه اليه فانزله ونحر له المحلق ناقته ثم أحاطت به بناته يخدمنه فقال ما هذه الجوارى حولى قال بنات أخيك وهن ثمان نصيبهن قليل فقال الأعشى هل لك حاجة قال المحلق تشيد ذكرى فى المحافل فلعلى أشهر فتخطب بناتى فنهض الاعشى من عنده ولم يقل فيه شيأ فلما وافى سوق عكاظ اذ هو بمكان قد اجتمع الناس عليه فانشد قصيدته القافية التى منها

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار بالبقاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

فاشتهرت هذه الابيات فى العرب وما أتت على المحلق سنة الا وقد زوج بناته كلهن وقد أنشأ العرب جمعية احتفالية فى أسواق دورية ذات مبادين شعرية كسوق عكاظ وغيره وسوق مجنة وسوق ذى المجاز ولكن سوق عكاظ هو المتميز بين الاسواق بالسباق فى الشعر وغيره وها نحن نذكر المشهور من أسواق العرب ليعرف الناظر فيها قصد منشئيها فنقول

﴿أسواق العرب فى الجاهلية﴾ (١)

أشهرها سوق عكاظ (٢) كما سبقت الاشارة اليه وكان فيها سوق أسبوعية تقوم يوم الاحد للبيع والشراء وسوق سنوية (٣) تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون الاشعار

---

(١) انظر أسواق العرب فى توفيق الجليل وسبائك الذهب

(٢) عكاظ قرية بصحراء بين نخلة والطائف وهى على ثلاث مراحل من مكة المشرفة

(٣) قال فى سبائك الذهب وسوق عكاظ ينزلون به فى أول ذى القعدة الى ان قال وتستمر عشرين يوما ثم يتوجهون الى مكة فيقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج ثم يرجعون الى أوطانهم وقال فى توفيق الجليل فى أول الكلام على سوق عكاظ كانت تقوم هلال ذى القعدة ثم قال فى آخر عبارته وكانت العرب تقوم فى سوق عكاظ شهر شوال جميعه

و يذكرون ما لعشائرهم من المجد والفخار وكان من فوائدها ان العرب يتعارفون فيها ويتحابون ومن له أسير سعى فى فدائه ومن له خصومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر الخصومة وكانت فرسان العرب اذا كانت أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا يتقنعون حتى لا يعرفوا وان كانت هذه السوق تؤذن بالتعامل والاخذ والعطاء الا أنه كان فى الحقيقة جل الغرض منها اجتماع فحول الشعراء والفصحاء والبلغاء من أهل العربية لابداء نتائج أفكارهم واظهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم

ومثل عكاظ فى ذلك أسواق أخر كسوق (١) مجنة وسوق ذى المجاز (٢) وكانت هذه الاسواق ساذجة بسيطة مجردة عن الزينة والزخرفة لكنها مهيبة محترمة يزدحم فيها الشعراء من جميع جهات بلاد العرب ويقوم الشاعر ويبرز فى حومة الميدان وأرباب المجلس ثابتون فى مكانهم فينشد الاشعار من قريضه وهم يصغون الى سماعها منه ويحرصون على التقاطها من فيه بمجرد النطق بها ويحفظونها وأول ما يبرز الشاعر فى الميدان يظهر بمظهر الشجاعة وبشدة الحماس ويتماشى قبل ان ينشد الشعر مشية التيه والاعجاب ليتحقق من حماس بنات فكره مع تجرده عن أبهة المنصب وزهو الزينة وليس عليه من الملابس ما يدل على شعار مرتبة عالية ولا دثار شرف ولا مجد بين قومه ومع ذلك فكأنه الاهلال الشك أو شمس الضحى انبعثت منها الاشعة فلا يكاد يبرز الا وتشخص اليه أبصار الحاضرين وتحدق به عيون الناظرين ولا يزال يتبختر فى مشيته حتى يصعد الى محل مرتفع بمنزلة المنبر فينشد بصوت جهورى قصيدته بتمامها بدون ان يقطعها عليه أحد فتارة تكون مرتجلة بالبديهة وتارة يكون قد نظمها بالروية قبل ذلك وهيأها لينشدها فى المجمع ولكن الغالب على فحول شعراء العرب انهم كانوا يرتجلون الشعر بدون روية فيأتون فيه بما لا يقدر غيرهم على الاتيان به فى حول كامل ومنهم من كان بخلاف ذلك كما يروى عن زهير بن أبى (٣) سلمى انه كان ينظم القصيدة فى أربعة أشهر ويهذبها بنفسه فى أربعة أشهر أخرى ويعرضها على الشعراء من أصحابه فى أربعة أشهر ثالثة فلا يشهرها حتى يأتى عليها حول كامل ولذلك تسمى قصائده بالحوليات

أو عشرين يوما منه ثم تنتقل من تلك السوق الى سوق مجنة ثم الى سوق ذى المجاز فتقيم فيها الى أيام الحج اه والصحيح أن هذه الاسواق العامة كانت لا تقوم الا فى الاشهر الحرم

(١) مجنة كمودة موضع قرب مكة وقد تكسر ميمها كما فى القاموس (٢) موضع خلف جبل عرفات بنحو فرسخ وقال الجوهرى موضع بنى كانت فيه سوق فى الجاهلية تاج

(٣) سلمى كبشرى واسمه ربيعة بن رياح وليس فى العرب سلمى غيره تاج

وهذا لا يقدح فى فضله حتى قيل انه أشهر الجميع وكان اذا فرغ الشاعر من الانشاد أمعن الحاضرون النظر فى بنات أفكاره ونقدوها بصيرف عقولهم وظهرت فى وجوههم سمة الاستحسان بما عناه فى شأن حاله وأمره وكيفية تجلده وصبره أو تبين من حالهم انهم لم يستحسنوا نظامه ولا استصوبوا كلامه وكان الشاعر يجلس جلسة خطيب للاستراحة ويقوم الى تمام انشاده بحماس أقوى من المرة الاولى ونشاط كأنه قد أذكى من عقله مصباحا فيقص عليهم بقية أشعاره بهمة عالية وحماسة عربية فيكتب فى المحفل العام ما يستحسن من القصائد بحروف الذهب على منسوج الحرير ويعلق على الكعبة المشرفة ليخلد اسمه ويبقى على مدى الايام رسمه ولهذا بقيت شهرة المعلقات السبع محفوظة الى عهدنا هذا وقد اعتنى علماء الاسلام بشرحها لما اشتملت عليه من الفصاحة والبلاغة والصناعة الشعرية وكان يجتمع بسوق عكاظ سادات العرب وملوكهم وقبائلهم ورؤساء القبائل وعرفاؤها كما قال طريف العنبرى من أبيات يخاطب قبيلة بكر ابن وائل

أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم
فتوسمونى انى أنا ذلكم * شاكى سلاحى فى الحوادث معلم (١)
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم
حولى أسيد والهجيم ومازن * واذا حللت فحول بيتى خضم

وكان طريف من الشجعان وكان اذا أتى سوق عكاظ لا يتقنع كما يتقنع غيره من الفرسان وكان قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيبانى فقال حصيصة بن شراحيل أرونى طريفا فاروه اياه فجعل كلما مر به طريف فى سوق عكاظ تأمله حتى فطن له طريف وكان ذلك فى الشهر الحرام تأمن القبائل من بعضها فقال طريف لحصيصة بن شراحيل مالك تنظر الى مرة بعد أخرى فقال أتوسمك لاعرفك فلله على نذر ان لقيتك فى حرب لاقتلنك أو لتقتلنى فأنشد طريف قصيدة منها تلك الابيات

وقد كان لمدح فحول الشعراء وقدحهم تأثير عظيم يترتب عليه ما يترتب من الخفض والرفع والاعزاز والاذلال كما سبقت الاشارة اليه وكانت تضرب للنابغة قبة حمراء من أدم

(١) معلم الشئ كمقعد هو ما يستدل به عليه وفطنته وخضم كبقم الجمع الكثير من الناس أو اسم لعنبر بن عمرو بن تميم وقد غلبتا على القبيلة والمعنى ان لى على كل قبيلة جناية فتى وردوا عكاظ طلبنى القيم بامرهم ليتوسمنى فها أنا فليتوسمونى فانى شاكى السلاح ولى فى الوقائع شعار ظاهر وتحتى فرسى الاغر ولابس درعى اللين الذى يرد السيف كليلا وحولى عشيرتى واذا نزلت فحول بيتى قبيلتى العنبرية المسماة خضم

بسوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتنشده اشعارها وأول من أنشده الاعشى ثم أنشدته الخنساء فكان للنابغة الذبياني التقدم على جميع شعراء عصره وهو من فحول الطبقة الاولى كما سيأتي وكانت العرب اذا أتت في الموسم يضعون سلاحهم عند أهل السدانة من قريش قبل الدخول في السوق ومن لم يضع سلاحه عندهم عرض نفسه للقتل وكما كانت هذه السوق مجمع الفصاحة والفروسية كانت مجمع مكارم الاخلاق أيضا حتى كان بعض اشراف الشعراء كعمرو بن الطفيل العامري النجدي ينادي مناديه في هذه السوق هل من راحل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه ومن شعره

فاني وان كنت ابن فارس عامر * وسيدها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة * أبى الله ان اسمو بام ولا أب
ولكنني أحمي حماها واتقي * اذاها وارمي من رماها بمنكب

وكانت أيضا هذه السوق في أيام هذا الموسم كديوان ملوك العرب فكان بعض الملوك يأخذ ماله من الاتاوة والمرتبات من القبائل كل سنة فكان زهير بن جزيمة العبسي مثلا يأخذ الاتاوة من هوازن في هذه السوق ويسومهم الخسف (١) ويهددهم ويخوفهم بالحرب ويروى عن حليمة السعدية مرضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم انها نزلت به سوق عكاظ فرآه كاهن من الكهان فقال يا أهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له شأنا فراغت به حليمة عن الطريق فانجاه الله تعالى ويروى ان حليمة انطلقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق عكاظ الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع اليه الناس من أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت حليمة به فجعل الناس يقولون أي صبي فيقول هذا الصبي فلا يرون شيأ فيقال له من هو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد ولا تستغرب كهانة العرب ولا فراستهم وفهمهم الحقائق من المخايل فان ذلك كان كثيرا فيهم وكان سوق عكاظ الذي هو مجمع المفاخرة بين العرب ربما قد تتسبب عنه فتن وحروب كما وقع ذلك في الفجار الاول (١) والفجار

(١) يقال سامه الخسف اذا حمله ما يكره (٢) الفجار ككتاب وأيام الفجار أربعة أفجرة حصلت في الاشهر الحرم كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبني قيس عيلان وكانت الدائرة على قيس فلما قاتلوا قالوا لفجرنا حضرها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين وفي الحديث كنت أنبل على عمومتي يوم الفجار ورميت فيه بأسهم وما أحب اني لم أكن فعلت اه قاموس

الثانى اذ سبب حرب الفجار الاول ان بدر بن معشر الغفارى كان له مجلس يجلس فيه فى سوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال أنا أعز العرب فمن زعم انه أعز منى فليقطعها بالسيف فوثب عليه رجل من أشراف العرب فضربه بالسيف على ركبته فادماها فاقتتلوا قتالا شديدا

وسبب الفجار الثانى ان امرأة من بنى عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فطاف بها شاب من قريش من بنى كنانة وسألها ان تكشف وجهها فأبت فجلس خلفها وهى لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت وانحسر ذيلها من خلفها ضحك الناس عليها وقيل لها قد بخلت بكشف وجهك فبان غيره فنادت يا آل عامر فساروا بالسلاح ونادى الشاب يا بنى كنانة فجاؤا بالسيوف والرماح فحصل الحرب بينهما بسبب ذلك ومن هذا يفهم ان النساء فى الجاهلية كن يأبين كشف وجوههن وليس كذلك اللهم الا ان يكون هذا الحجاب كان موجودا فى أشرافهن خصوصا فى الجمعيات الاحتفالية التى هى كسوق عكاظ

وثم فجار ثالث وسببه انه كان لرجل من بنى عامر دين على رجل من بنى كنانة فطله ذلك الرجل فجرت بينهما مخاصمة شديدة فتحمل عبد الله بن جدعان (١) ذلك الدين ودفعه من ماله وكان ذلك سببا لانقضاء هذه الحرب

وثم فجار رابع وهو فجار البراض بتشديد الراء (٢) وهو الذى شهده النبى صلى الله عليه وسلم وسببه ان عروة الرحال بتشديد الحاء المهملة وكان من قيس هوازن اجار العير من

---

(١) يقال ان عبد الله بن جدعان هذا كان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا هتاكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وبقى كذلك حتى أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يأويه أبدا فخرج هائما فى شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا فى جبل فدخل فيه فوجد على ما يقال ثعبانا عظيما له عينان تتقدان كالسراج فتأخر عنه أولا ثم غلب على نفسه مسكه بيده فمسكه فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم دخل المحل الذى كان هذا الثعبان فيه فوجد فى ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة والجواهر فاخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق وصار ينقل منه ما فيه من الجواهر حتى كان ذلك سببا لغناه فبعث الى أبيه بالمال الذى دفعه فى جناياته ووصل عشيرته كلهم بالمال حتى ساد فيهم وصار كريما يطعم الناس ويذبح فى داره كل يوم جزورا وينادى مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وحسنت اخلاقه فتجنب القبائح وصار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (٢) كذا كان من يأكل كل ماله ويفسده وابن قيس الكنانى أحد فتاكهم قاموس

النعمان بن المنذر وكان يقال لمثل هذه القافلة اللطيمة (١) وكانت تحمل الطيب والبز لهذا الملك ليباع فى عكاظ ويشترى له بثمن ذلك (٢) أدم من ادم الطائف ويرسل تلك العير فى جوار رجل من أشراف العرب فلما جهز النعمان العير كان عنده جماعة من العرب فيهم البراض وهو من بنى كنانة وعروة الرحال وهو من هوازن فقال البراض انا اجيرها على بنى كنانة يعنى قومه فقال له النعمان ما أريد الا من يجيرها على أهل نجد وتهامة فقال له عروة انا أجيرها لك فقال له البراض اتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى أهل الشيح والقيصوم (٣) ونال من البراض فخرج عروة مسافرا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته ليثب عليه ويقتله فشرب عروة الرحال الخمر وغنته القينات فسكر ونام فجاءه البراض وأيقظه فقال له الرحال ناشدتك الله لا تقتلنى فانها كانت منى زلة وهفوة فلم يلتفت اليه وقتله فأتى آتى كنانة وهم بعكاظ مع هوازن فقال لكنانة ان البراض قد قتل عروة الرحال وهو فى الشهر الحرام فانطلقوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبيل دخولهم الحرم وعاونت قريش كنانة وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض تلك الأيام أخرجه اعمامه معهم وكان عمره أربع عشرة سنة وكان اذا حضر غلبت كنانة واذا لم يحضر انهزمت ويقال انه صلى الله عليه وسلم طعن ابا براء ملاعب الأسنة ولعله رماه بالنبل لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل فى حرب الفجار الا بالنبل فقد روى عن ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت وأبو براء المذكور كان رئيس بنى قيس هوازن وحامل رايتهم فى هذا الحرب وفى اليوم الثالث من تلك الايام وهو اشدها قيد أمية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب انفسهم كى لا يفروا فسموا الغبابيش أى الاسود ثم تواعدوا من هذا اليوم للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للموعد وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان وقيل الى حرب بن أمية والد ابى سفيان لانه كان رئيس قريش يومئذ وكان عتبة ابن أخيه ربيعة بن عبد شمس يتيما فى حجره فضن به حرب وأشفق من

(١) اللطيم كأمير تاسع خيل الحلبة والمسك كاللطيمة وكل طيب يحمل على الصدغ اه من القاموس (٢) الاديم الطعام المأدوم وموضع ببلاد هذيل وفرس الابرش الكلبى والجلد أو أحمره أو مدبوغه والجمع أدم وآدام قاموس (٣) القيصوم نبت وهو صنفان ذكر وانثى النافع منه أطرافه وزهره مرجد او يدلك به البدن للنافض فلا يقشعر الا يسيرا ودخانه يطرد الهوام وشرب سحيقه نيا نافع لعسر النفس والبول والطمث ولعرق النسا وينبت الشعر ويقتل الدود اه قاموس

خروجه معه فخرج عتبة فلم يشعر به الا وهو على بعير بين الصفين ينادى يا معشر مضر علام تفانون فقالت له هوازن ما تدعو اليه قال الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا وكان لقريش وكنانة الظفر على هوازن وغالبا كانوا يقتلونهم قتلا ذريعا (١) وينتصرون عليهم وفى غير الغالب كان ينال منهم فقد أصيب أبو طالب بسهم فى رجله فى حرب الفجار فعرج منه ولذلك يقول

قالت عرجت نعم عرجت فما الذى * انكرت من حسبى وحسن فعالى

فقالوا لما عرض عليهم الصلح وكيف ذلك قال ندفع لكم رهنا منا الى ان نوفى لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن أنت قال انا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما رات هوازن الرهن فى أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار فمن هذا كله يعلم ان سوق عكاظ كان مجمعا لمفاخر العرب حربا وسلما حماسة وسماحة وانه كان يحمل نفوس العرب الأبية على كسب المجد والشرف وممن اشتهر بالخطب فيه قس بن ساعدة القائل

لقد علم الحى اليمانون انتى * اذا قلت أما بعد انى خطيبها

وسيأتى الكلام على خطبته فى سوق عكاظ وحثه على اتباع دين النبى صلى الله عليه وسلم وانه ممن آمن به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ولم يره وقال بعض اياد مفتخرا بالحذاقة والفصاحة

وانى فتى صبر على الاين والظما * اذا اعتصر واللوح ماء فظاظها
اذا ضرجوها ساعة بدمائها * وحل عن الكوماء عقد شظاظها
فانى ضحاك الى كل صاحب * وانطق من قيس غداة عكاظها

واللوح بضم اللام المشددة الابل السريعة العطش والفظاظ الكرش يريد انه يصبر على التعب والظما اذا اعتصر واماء الكرش للشرب والشظاظ الجوالق التى تحمل على الابل يريد انه عند ذبح الابل ونزول احمالها عنها وفكها يكون متلطفا الى الاصحاب وأخطب من قيس اذا خطب فى سوق عكاظ

فقد كان محفل عكاظ معدن المفاخر التليدة والطارفة ولم يكن وحده فى جزيرة العرب بل كانت اسواق اليمن أيضا مركز المفاخر الظاهرية والمنافع العمومية والزينة والزخرفة فكانت بضاعتها هى النافقة والعلم يمان والحكمة يمانية كما فى الآثار الصادقة قال بعضهم

تخاذل أرباب الفضائل اذ رأوا * بضاعتهم موكوسة القدر فى الثمن

(١) الذريع السريع ومن الامور الواسع والموت الفاشى قاموس

فقالوا عرضناها فلم نلف طالبا * ولا نظروا من مثلها نظرا حسن
ولم يبق الا رفضها واطراحها * فقلت لهم لا تجعلوا السوق باليمن

ومن أسواقهم أيضا التى كانت مجعولة للبيع والشراء سوق دومة الجندل فكانوا ينزلون بها أول يوم من ربيع الاول يجتمعون فيها للبيع والشراء والاخذ والعطاء وكان يعشوهم أكيدر دومة الجندل أول يوم وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشوهم بعض رؤساء كلب ثم يستمر سوقها الى آخر الشهر ثم ينتقلون منه الى هجر فى شهر ربيع الآخر فيقوم سوقهم بها وكان يعشوهم المنذر بن ساوى أحد بنى عبد الله بن دارم ثم يرتحلون نحو عمان بالبحرين فتقوم بها أسواقهم ثم يرحلون عنها الى قرى الشحر فتقوم أسواقهم فيها أياما ثم يرتحلون فينزلون عدن ابين فيقوم سوقهم بها فتشترى التجارات وأنواع الطيب ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضرموت ومنهم من يجوزها فيرد صنعاء ثم تقوم أسواقهم فيها ومنها كانت تجلب الادم والبرود وكانت ترد اليها من معافر ولما كان عند منصرف قريش من حرب الفجار فى ذى القعدة عقد حلف الفضول ناسب ذكره هنا

﴿ذكر حلف الفضول﴾

كان للعرب عقود وعهود يحلفون فيها حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا وكانت هذه المحالفات بين القبائل لحفظ نواميسهم وليعضد بعضهم بعضا والمتحالفون يسمون عند العرب بالاحلاف فمن ذلك ان بنى عبد مناف لما أرادت أخذ ما فى أيدى بنى عبد الدار من الحجابة والسقاية وأبت عبد الدار ذلك عقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا فأخرجت عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فوضعتها الاحلافهم وهم أسد وزهرة وتيم عند الكعبة فغمسوا أيديهم فيها وتعاقد بنو عبد الدار وحلفاؤهم وحلفوا حلفا آخر مؤكدا وكانت احلافهم قبائل عبد الدار وكعب وجمح وسهل ومخزوم وعدى وكان مثل هذه المحالفات للتناصر بينهم فقط لا للمصلحة العمومية ففى منصرف قريش من حرب الفجار فى ذى القعدة بعد انفضاض سوق عكاظ تأسس حلف الفضول وهو أشرف حلف عند العرب وأحق بالفخار مما عداه وكان هذا الحلف لشرف موضوعه وجل الغرض المطلوب منه يكاد ان يكون أساسا لسياسة وطنية وتمهيد الاحوال تمدنية وأول من دعا الى هذا الحلف فى شهر ذى القعدة بعد الفجار الرابع الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيق أبيه فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى فى دار عبد الله بن جدعان التيمى المتقدم ذكره وكان بنو تيم فى حياته كاهل بيت واحد بقوتهم وكان عبد الله بن جدعان ذا شرف وسن وتحالفوا على ان يردوا الفضول

الى أهلها أى على ان يردوا الحقوق التى أخذت ظلما الى أربابها ولا يعز ظالم على مظلوم وكان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد شهد عليه السلام هذا الحلف وقال صلى الله عليه وسلم ما أحب ان لى بحلف حضرته بدار بن جدعان حمر النعم وانى أغدر به أى لا أحب الغدر وان أعطيت حمر النعم فى ذلك وفى رواية لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلف ما أحب ان لى به حمر النعم ولو دعى به فى الاسلام لاجبت أى لو نادى مظلوم يا آل حلف الفضول لأجبته ونصرته لان الاسلام يقرر رفع المظالم وسببه ان قريشا كانت تتظالم فى الحرم وكان قبل ذلك قد تحالف قوم من جرهم ان لا يروا ظلما ببطن مكة الا غيروه ودفعوه وكان قد باد أهل ذلك الحلف وتنوسى أمره وصار يقع الظلم فى الحرم بدون مدافع فاتفق ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص ابن وائل وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى بالاحلاف عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدى بن كعب فابوا ان يعينوا على العاص وانتهروا الزبيدى فلما رأى الزبيدى الشر رقى على جبل أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فقال باعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

والمراد بالحرام الاحترام فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان واجتمع اليهما من تقدم من الناس قيل كان منهم العباس وأبو سفيان وتعاهدوا وتعاقدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى حقه شريفا أو وضيعا ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه وصاروا دائما يأخذون من الظالم للمظلوم حقه على وفق حلف الفضول الذى كان أشرف حلف فى الجاهلية كما سبق وقد بقى مثل ذلك معمولا به فى الاسلام من اجتماع جمعية من الناس تنصر المظلوم على ظالمه وتأخذ حقه منه بقضايا عرفية يذعن اليها المتخاصمان وهذا الحلف وأمثاله من الفوائد العربية الشريفة يدل على ما كان لهم من الميل للحق والمروأة التامة والبعد عن خسائس الامور واغتيال الحقوق كما تشهد بذلك أخبارهم وتنطق به أشعارهم

﴿ذكر مشاهير شعراء العرب فى الجاهلية وأصحاب المعلقات السبع وتاريخهم والاتيان بطالعها وبعض أبيات منها﴾

قد قسموا شعراء الجاهلية الى ثلاث طبقات بالنسبة لتفاوت أشعارهم وجعلوا أصحاب

المعلقات من الطبقة الاولى ولنأت على ذكر مشاهير كل طبقة منها

الطبقة الاولى من أشهر شعراء هذه الطبقة امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندى كان من فحول الشعراء حتى جعله بعضهم أشعر الشعراء السبعة وأسبقهم الى اختراع المعانى اللطيفة والتشبيهات الغريبة وروى انه من أهل النار كما فى حديث حامل لواء الشعراء الى النار يوم القيامة امرؤ القيس وهو صاحب المعلقة المشهورة التى مطلعها

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوا بين الدخول فحومل

وقد اشتهرت هذه المعلقة حتى صار يضرب بها المثل فى الامر الواضح فيقال أشهر من قفا نبك وله غيرها كثير من الاشعار مجموع بعضها فى ديوان مخصوص ومعنى امرئ القيس رجل الشدة ويلقب بذى القروح ويقال له الملك الضليل وكان أبوه حجر ملكا على بنى أسد فقتلوه فاستنجد امرؤ القيس بملك الروم فلم ينجده ومات فى أثناء رجوعه من القسطنطينية بقرب جبل عسيب سنة ٥٣٨ ميلاديه وقد سبق الكلام عليه فى ملوك كندة

وقد اجتمع عند عبد الملك بن مروان أشراف من أهل الادب فسألهم عن ارق بيت قالته العرب فاجمعوا على قول امرئ القيس

أغرك منى أن حبك قاتلى * وانك مهما تامرى القلب يفعل

وما ذرفت عيناك الا لتضربى * بسهميك فى احشاء قلب معتل

(ومنهم طرفة بن العبد البكرى) وهو أبو عمرو وطرفة لقب غلب عليه وهو من أهل البحرين وكان فصيحا من صغره حتى بلغ فى حداثة سنه ما لم تبلغه الشيوخ بعد التجارب وكان شريفا فى قومه ذا منعة وحامية ولذلك كان جريئا على الهجاء وهو من أصحاب المعلقات ومعلقته الدالية التى مطلعها

لخولة (١) اطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

(ومنها)

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

---

(١) خولة امرأة من كلب وثهمد أكمة فى بلاد خثعم والبرقة والابرق والبرقاء مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى تلوح بمعنى تظهر كالرقم فى ظاهر الكف يصف دروس هذه الدار ويقول لهذه المرأة اطلال ديار ببرقة ثهمد ظاهرة تلمع كلمعان بقايا الوشم فى ظهر اليد يقولون لا تهلك أسى أى حزنا والتجلد تكلف الصبر والقوة

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

ومن لطيف شعره قوله

ولا أغير على الاشعار اسرقها * غنيت عنها وشر الناس من سرقا

وان أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا انشدته صدقا

وله أخت تدعى خرنق تناظره فى الشعر ومات قتيلا قتله عمرو بن هند بسبب هجائه لاخيه قابوس وكان قبل الهجرة بثمان وخمسين سنة (ومنهم عمرو بن كلثوم التغلبى) وهو من أهل الجزيرة وله فى شعره غرائب يغوص فى بحر الكلام على درر المعنى الغريب وكان يقوم بقصائده فى سوق عكاظ فى مواسم مكة وكانت بنو تغلب تعظمها كثيرا ويحفظها كبارهم وصغارهم وله معلقته المشهورة التى مطلعها

الاهبى (١) بصحنك فاصبحينا * ولا تبقى خمور الاندرينا

مشعشعة (٢) كان الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

﴿ومنها﴾

ورثنا المجد قد علمت معد * نطاعن دونه حتى يبينا (٣)

بشبان يرون القتل مجدا * وشيب فى الحروب مجربينا

ورثنا مجد علقمة بن سيف (٤) * أباح لنا حصون المجد دينا (٥)

على آثارنا بيض حسان * نحاذر ان تفارق أو تهونا

كأنا والسيوف مسلمات * ولدنا الناس طرا أجمعينا (٦)

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا ان نقر الخسف فينا

ملأنا البر حتى ضاق عنا * وماء البحر نملؤه سفينا

---

(١) هبى أى استيقظى والصحن القدح العظيم فاصبحينا أى اسقينا الصبوح ولا تدخرى خمور الاندرين جمع الاندر وهى قرية بالشام جمعها باعتبار حوالها يقول ألا استيقظى من نومك ايتها الساقية واسقينى الصبوح بقدحك العظيم ولا تدخرى خمر هذه القرى

(٢) مشعشعة أى ممزوجة يظهر لها شعاع كالشمس كأن الحص فيها والحص الورس نبت له نور يشبه الزعفران يقول اسقينيها ممزوجة بالماء تشبه لونها لون الورس واذا شربناها وسكرنا جدنا باموالنا وسمحنا بذخائر اعلاقنا هذا اذا جعلناه سخينا فعلا واذا جعلناه صفة كان المعنى كأنها حال امتزاجها بالماء الحار نور هذا النبت (من الزوزنى)

(٣) أى يظهر (٤) وهو علقمة بن سيف بن شرحبيل وهو الذى أحل تغلب الجزيرة (٥) أى طاعة (٦) أى حميناهم بسيوفنا كأننا آباءهم

لنا الدنيا ومن أضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا بلغ الفطام لنا رضيع * تخر له الجبابر ساجدينا

وهى بديعة الافتخار الحماسى قيل وكانت تزيد على ألف بيت وانها فى أيدى الناس غير كاملة وان الذى فى أيديهم هو ما حفظوه منها وهى تدل على ما لصاحبها من المكانة العالية والمنزلة الرفيعة وقوة التصور وكانت وفاته فى السنة الاولى من الهجرة (ومنهم الحارث بن حلزة (١) بن مكروه اليشكرى) وكان مولده قبل الهجرة باثنتين وثلاثين سنة وله المعلقة المشهورة التى أولها

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء
آذنتنا (٢) ببينها ثم ولت * ليت شعرى متى يكون اللقاء

﴿ومنها﴾

لا يقيم العزيز بالبلد السهـ * ـل ولا ينفع الذليل النجاء (٣)
ليس ينجى الذى بوائل منا * رأس طود وجرة رجلاء (٤)

وهى طويلة ارتجلها بحضرة الملك عمرو بن هند وتوكأ على قوسه وأنشدها حتى فرغ منها وعاش الحارث عمرا طويلا وكان يكنى بابى ظليم وابنه ظليم هذا كان من فحول شعراء العرب وأقواهم بيانا وأفصحهم لسانا (ومنهم لبيد بن ربيعة العامرى) وهو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامرى من أشهر شعراء العرب وهو من أهل العراق ولد قبل الهجرة بار بعين سنة وكان قوى التصور ثابت الجاش قليل اللغو حسن الاختيار وكان

---

(١) ذكر فى العباب للصاغانى حلزة بكسر الحاء وكسر اللام المشددة المرأة القصيرة ويقال البخيلة ومنه الحارث بن حلزة اليشكرى قال ابن السيد البطليموسى هذه القصيدة ارتجلها الحارث بين يدى عمرو بن هند فى أمر كان قد شجر بين بكر وتغلب ابنى وائل وكان ينشده من وراء سجف لبرص كان به فأمر برفع السجف استحسانا لها ويقال ان الحارث قام ينشدها متوكئا على عنزة فارتزت فى جسده وهو لا يشعر (والعنزة بين العصا والرمح) (٢) يقول أعلمتنا أسماء بمفارقتها اياانا أى بعزمها على فراقنا ثم قال رب مقيم تمل اقامته ولم تكن أسماء كذلك يريد انها وان طالت اقامتها لا علمها والتقدير رب ثاو يمل من ثوائه (٣) النجاء ممدودا ومقصورا الاسراع يقول وحين كان الاحياء الاعزة يتحصنون بالجبال ولا يقيمون بالبلاد السهلة والاذلاء كان لا ينفعهم اسراعهم فى الفرار يريد ان الشر كان شاملا للعزيز والذليل
(٤) يقول لم ينج الهارب منا تحصنه بالجبال ولا بالحرة الغليظة الشديدة (من الزوزنى)

شريفا فى قومه جوادا وأسلم وحسن اسلامه وسر بدخوله فى الاسلام ومن شعره

الحمد لله لما يأتنى أجلى * حتى لبست من الاسلام سربالا

والمعلقة التى مطلعها

عفت الديار محلها فمقامها * بمنى تأبد غولها فرجامها (١)

﴿ومنها﴾

أولم تكن تدرى نوار بأننى * وصال عقد حبائل جذامها

طراق أمكنة اذا لم أرضها * أو يعتلق بعض النفوس حمامها

وله أشعار رائقة وقصائد فائقة ومن شعره قوله فى مرثية يرثى بها صديقا له

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع * وتبقى ديار بعدنا والمصانع

وقد كنت فى أكناف دار مضيئة * ففارقنى جار بأربد نافع

فلا جزع ان فرق الدهر بيننا * فكل امرئ يوما به الدهر فاجع

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد ما هو ساطع

وما المال والاهلون الا ودائع * ولابد يوما ان ترد الودائع

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه * ومنهم شقى بالمعيشة قانع

وعاش لبيد المذكور عمرا طويلا ولذلك يقول فى قصيدة له

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وترك الشعر فى آخر عمره حتى قيل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استنشده أيام خلافته فانطلق فكتب سورة البقرة ثم أتى بها اليه وقال قد أبدلنى الله هذا فى الاسلام مكان الشعر فاستحسن عمر جوابه وأجزل له العطاء ومات بالكوفة فى آخر خلافة معاوية سنة ٦٨٠ ميلادية (ومنهم زهير بن أبى سلمى المزنى) وكان سيدا فى قومه معروفا بالورع وجودة الشعر وهو أحد الشعراء الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء امرئ القيس وزهير والنابغة وكان أبو بكر يسميه شاعر الشعراء لانه كان يتجنب المبالغة المردودة ويتباعد عن وحشى الكلام ولا يمدح أحدا الا بما هو فيه وجمع كثيرا من المعانى فى قليل من الالفاظ وله المعلقة التى يقول فيها

فاقسمت بالبيت الذى طاف حوله * رجال بنوه من قريش وجرهم

---

(١) عفت درست يكون لازما ومتعديا يقال عفت وعفتها الريح ومحل الديار ما اقيم فيه لمدة معلومة والمقام ما جعلت للاقامة الدائمة ومنى موضع قريب من طخفة وليس منى مكة تأبد توحش وتقادم ورجام والغول جبلان بالحمى قريبان من طخفة اه من الجمهرة

وله قصائد غيرها كان ينظم الواحدة منها فى أربعة أشهر ويهذبها نفسه فى أربعة أشهر ويعرضها على أصحابه الشعراء فى أربعة أشهر فلا يشهرها حتى يأتى عليها حول ولذلك لقبت بالحوليات وقد اجتمع لزهير فى الشعر مالم يكن لغيره كان أبوه شاعرا وخاله شاعرا وأخته سلمى شاعرة وأخته الخنساء شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وابن ابنه المضرب ابن كعب شاعرا وكان زهير يمدح هرم بن سنان أحد امراء الجاهلية وله فيه غرر القصائد النفيسة فمن ذلك قوله

قد جعل المبتغون الخير فى هرم * والسائلون الى أبوابه طرقا
من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة فيه والندى خلقا
لو نال حى من الدنيا بمنزلة * افق السماء لنالت كفه الافقا

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لبعض ولد هرم أنشدنى بعض مدح زهير أباك فأنشده فقال انه كان ليحسن فيكم المدح فقال ونحن والله كما انحسن له العطية فقال أمير المؤمنين عمر تذهب ما أعطيتموه ويبقى ما أعطاكم وقال رضى الله تعالى عنه لابن زهير ما فعلت الحلل التى كساها هرم أباك قال أبلاها الدهر قال لكن الحلل التى كساها أبوك هرم مالم يبلها الدهر وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه قال أشعر الناس الذى يقول ومن وهن يمن يريد زهيرا فانه كرر لفظ ومن فى أول أبيات كثيرة فى معلقته كما سيأتى ويقال انه رأى قبل موته بسنة فى نومه كأنه رفع الى السماء حتى كاد ان يمسها بيده ثم انقطعت الحبال فدعا بنيه فقال يا بنى رأيت كذا وكذا وانه سيكون بعدى أمر يعلو من اتبعه ويفلح فخذوا بحظكم منه ثم لم يعش الا يسيرا حتى مات فلم يحل الحول حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم بجير بن زهير وحسن اسلامه فلامه أخوه كعب بن زهير على اسلامه بقوله

ألا بلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأسا رويه * فانهلك المأمون منها وعلكا

الابيات فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هجو كعب له أهدر دمه فكتب اليه أخوه بجير يعلمه ان النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل كعب بن الأشرف وكان يشبب بام الفضل بنت العباس وام حكيم بنت عبد المطلب فلما بلغه كتاب أخيه ضاقت به الارض ولم يدر فيم النجاة فاتى أبا بكر فاستجاره فقال أكره ان أجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر فقال مثل ذلك فاتى عليا رضى الله عنه فقال أدلك على أمر تنجو به قال وما هو قال تصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا انصرف فقم خلفه وقل مد يدك يا رسول الله ابايعك فانه

حينا ولك يده من خلفه فخذ بردي فاستجره فإني أرجو أن يرحلك ففعل فلما ناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته استجاره وأنشد قصيدته التي مطلعها * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * الى آخرها فاجازه عليها ببردته الشريفة ويحكى ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان جالسا في أصحابه يتذاكرون الشعر والشعراء فيقول بعضهم فلان أشعر ويقول آخر بل فلان أشعر فقيل ابن عباس بالباب فقال عمر رضي الله عنه قد أتى من يحدث من أشعر الناس فلما سلم وجلس قال له عمر يا ابن عباس من أشعر الناس قال زهير يا أمير المؤمنين قال عمر ولم ذلك قال ابن عباس لقوله يمدح هرما وقومه بني مرة

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد من ولدوا
جن اذا فزعوا انس اذا أمنوا * مرزؤن بهاليل اذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله عنهم ما به حسدوا

قال عمر صدقت يا ابن عباس ومطلع قصيدة زهير

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتثلم (١)
ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجع وشم في نواشر معصم

الى ان قال في الحكم

ومن لم يصانع في أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم (٢)
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

(١) (أم أوفى) اسم امرأة أو لقب لها (والدمنة) هي آثار الديار وكناسها (والحومانة) واحدة الحوامين وهي الارض السوداء (والدراج والمتثلم) موضعان يقول أمن منازل الحبيبة المكنية بأم أوفى دمنة لا تجيب سؤالها بهذين الموضعين وأخرج الكلام في معرض الشك ليدل على انه لبعد عهده بهذه الدمن وفرط تغيرها لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق (الرقمتان) موضعان (مراجع وشم) أي مرجع الخط وهو الوشم شبه آثار الحي بالوشم ونواشر المعصم عروق الواحد ناشر أو ناشرة والمعصم موضع السوار من اليد (يقول) أمن منازلها دار بالرقمتين يريد انها تحمل الموضعين عند الانتجاع ولم يرد أنها تسكنهما جميعا ثم شبه رسوم داره بهما بوشم في المعصم (٢) يقول ومن لم يصانع الناس ويداريهم في كثير من الامور قهروه وأذلوه وربما قتلوه كالذي يضرس بالناب ويوطأ بالمنسم والضرس العض على الشيء بالضرس والتضريس مبالغة والمنسم طرف خف البعير

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه * الى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * وان يرق أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف فى غير أهله * يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يعص أطراف الزجاج فانه * يطيع العوالى ركبت كل لهزم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لم يكرم نفسه لم يكرم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

﴿الى ان قال﴾

(١) وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وان سفاه الشيخ لاحلم عنده * وان الفتى بعد السفاهة يحلم

(ومنهم عنترة العبسى) وهو من أهل نجد ومن أعزة العرب وكان شجاعا مقداما وله المعلقة التى مطلعها

هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم (٢)

ومنها
اثنى علىّ بما علمت فانّنى * سهل مخالقتى اذا لم أظلم
واذا ظلمت فان ظلمى باسل * مر مذاقته كطعم العلقم (٣)
ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى انال به لذيذ المطعم

ومنها
واذا سكرت فانّنى مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم (٤)
واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى (٥)

---

(١) فى كائن ثلاث لغات كأين وكائن وكاءن (٢) (غادر) أى ترك (من متردم) أى شئ يصلح لم يكونوا أصلحوه (التوهم) الوهم يقال توهمت الشئ اذا ذهب ظنك اليه وهو استفهام انكارى بمعنى النفى أى لم يترك الشعراء شيأ يصلح فيه الشعر الا قد صاغوه فيه وهو بمعنى لم يترك الاول للآخر ثم طوى هذا وقال أم هل عرفت الدار بعد توهم معناه بل أعرفت (٣) يقول فاذا ظلمت وجد ظلمى كريها مرا كطعم العلقم أى من ظلمنى عاقبته عقابا شديدا يتجرع كأس مرارته (٤) يفتخر بأن شربه يحمله على مكارم الاخلاق ولا يحمله على المثالب (٥) يقول واذا صحوت لم يفارقنى الجود والكرم ومكارم الاخلاق ثم قال وأخلاقى وتكرمى كما علمت أيتها الحبيبة

وكان عنترة أحسن العرب شيمة وأعلاهم همة واعزهم نفسا وكان مع شدة بطشه حليما لين العريكة سهل الاخلاق وكان شديد النخوة كريما ضيافا لطيف المحاضرة رقيق الشعر لا يأخذ مأخذ الجاهلية في ضخامة الالفاظ وخشونة المعاني ومن لطيف شعره

ياعبل لا أخشى الحمام وانما * اخشى على عينيك وقت بكائك

وكان عالما بأساليب الشعر قوى التصور حسن التصرف وكانت له اليد الطولى في الحماسة وقد مر بعض قوله ومن بدائع شعره قوله

أحبك ياظلوم وأنت عندى * مكان الروح من جسد الجبان

ولو انى أقول مكان روحى * خشيت عليك بادرة الطعان

وعاش عنترة نحو تسعين سنة ومات قتيلا قتله الاسد بن رهيص سنة ٦١٥ ميلادية وهؤلاء السبعة هم أصحاب المعلقات السبع وهذه المعلقات مختلفة المقاصد والاغراض فان معلقات امرئ القيس وطرفة وعنترة ولبيد مختلفة التخيلات العقلية في حكايات الوقائع الخصوصية والعمومية كما هي مختلفة التشبيهات المتنوعة والكنايات والتجوزات المخترعة فلهذا نحا نحوها شعراء الاعصر المتأخرة لاسيما شعر عنترة العبسى فانه ناطق بالاغراض المقصودة منه وأحسن تخيلا للمعاني من شعر غيره من شعراء ماقبل الاسلام وأما معلقة زهير فهي عبارة عن مصالحة عبس وذبيان وأما معلقة عمرو فهي عبارة عن افتخار قبيلته التغلبية بعمومها وسبب انشاء قصيدة عمرو هذه انه جاء اناس من بني تغلب الى بكر بن وائل يستغيثون بهم في سنة أصابتهم فطردهم بكر لحقد كان بينه وبينهم فرجعوا الى الفلاة فمات منهم سبعون رجلا عطشا فاجتمعت بنو تغلب لحرب بكر وخافوا ان تعود الحرب بينهم كما كانت فدعا بعضهم بعضا الى الصلح فتحاكموا الى الملك عمرو بن هند فاصلح بينهم فانشد عمرو بن كلثوم سيد تغلب في مجلسه قصيدته ارتجالا يذكر فيها أيام بني تغلب ويفتخر لهم وانشد الحرث بن حلزة قصيدته أيضا فعلقتا بالكعبة دهرا وكانتا مشتملتين على مفاخر العرب وقد علق على الكعبة غير تلك المعلقات السبع معلقات أخرى كمعلقة الاعشى التى أولها

ودع هريرة ان اركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

ومنها قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلى عليك وويلى منك يارجل

قالوا اقترح فقلنا تلك عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل

وقد نظم بعض الادباء اسماء المعلقات السبع في بيتين وهما

لقد علقوا بالبيت شرف قدره * قصائد سبعا بالبلاغة تشهر

فطرفة عمرو حارث وابن حلزة * لبيد زهير وامرؤ القيس عنتر

وكانت القصائد المعلقات تكتب بحروف الذهب زركشة على المنسوجات الحريرية وتعلق على الكعبة المشرفة (ومن شعراء الطبقة الاولى النابغة الذبياني) وهو أبو امامة زياد بن عمرو بن معاوية الذبياني الشاعر المشهور من أهل الحجاز وقيل له النابغة لطول باعه في الشعر ولانه نبغ فيه مرة واحدة كما سبق وكان النابغة أحسن العرب ديباجة وأكثرهم رونقة للكلام وأجزلهم شعرا كأن شعره كلام ليس فيه تكلف وكانت تضرب له قبة حمراء من ادم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتنشده أشعارها وأول من أنشده الاعشى ثم أنشدته الخنساء وكان له التقدم على جميع شعراء عصره وكان مقدما عند النعمان قال ربعي بن خراش قال لنا عمر رضي الله عنه يا معشر غطفان من الذي يقول

أتيتك عاريا خلقا ثيابي * على خوف تظن بي الظنونا

قلنا النابغة قال هو على ذلك أشعر شعرائكم وقال عمر المرادي وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر اليه فقال له عبد الملك أما كنت حريا أن تفعل ولا تعتذر ثم أقبل على أهل الشام فقال ايكم يروي من اعتذار النابغة الى النعمان

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه فاقبل علي فقال أتر ويه قلت نعم وانشدته القصيدة فقال هذا اشعر العرب ومنها قوله

فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وعاش النابغة عمرا طويلا ومات سنة ٦٠٤ ميلادية وهي السنة التي قتل فيها النعمان (ومنهم اعشى قيس) وهو أبو بصير ميمون قيس بن جندل الاسدي من أهل اليمامة وهو أحد الاعلام من شعراء الجاهلية ونحولهم واحد أصحاب المعلقات وكان قوم يقدمون الاعشى على سائر الشعراء فيحتجون بكثرة تصرفه في المديح والهجو وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره ويقال انه أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد وكان يبني في شعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب وقال الشعبي الاعشى أغزل الناس في بيت وأخنث الناس في بيت واشجع الناس في بيت أما أغزل بيت فهو

تمشي الى بيتها من بيت جارتها * مشي السحابة لا ريث ولا عجل

وأما أخنث بيت فهو

قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلي عليك وويلي منك يا رجل

وأما اشجع بيت فهو

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا * أو تنزلون فانا معشر نزل

وهذه الابيات من معلقته وهى غير المعلقات السبع كما سبق وأدرك الاعشى الاسلام فخرج يريد النبى صلى الله عليه وسلم وامتدحه بقصيدته التى مطلعها

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وبت كما بات السليم مسهدا

فأسلم ثم انصرف فلما كان بقرية من قرى اليمامة رمى به بعيره فمات وكان ذلك سنة سبع من الهجرة (ومنهم المهلهل وهو أبو ليلى عدى بن ربيعة التغلبى الفارس المشهور) من أهل نجد وهو أخو كليب وائل الذى هاج بمقتله حرب بكر وتغلب وقد تقدم ذكره وكان المهلهل من أصبح أهل زمانه وجها وأفصحهم لسانا وأرقهم شعرا وأشدهم بأسا وكان كثير المحادثة للنساء حتى كان اخوه كليب يسميه زير النساء (أى جليسهن) وكان شعر المهلهل من أرق الشعر واعلى طبقاته وهو أول من هلهل أى أرقه وأصلحه كما سبق ومن شعره قوله

جارت بنو بكر ولم يعدلوا * والمرء قد يعرف قصد الطريق

حلت ركاب الغى فى وائل * برهط جساس ثقال الوسوق

وهى طويلة وكانت العرب تسميها بالداهية وكانوا يتناشدونها اذا أرادوا حربا أو محالفة واذا أرادوا انشادها اغتسلوا لها ومن نفائس شعره قوله من قصيدة له

انا بنى تغلب شم معاطسنا * بيض الوجوه اذا ما أفزع البلد

كم قد قتلت بنى بكر بسيدنا * وليس يوفى كليبا منهم أحد

كم من فتاة كقرن الشمس ناعمة * تبكى سراة بنى شيبان اذ فقدوا

ما كان جمعهم فى عرض سودتنا * اذ أقبل الجمع نحوا الجمع واحتشدوا

الا كمثل ذباب طار معترضا * فى لهوة الليث فاستولى به الاسد

مازلت أقتلهم قتلا وآسرهم * حتى اشتكت لهم الاحشاء والكبد

وهى طويلة أيضا وكانت وفاة المهلهل فى سنة ٥٠٠ ميلاديه (ومنهم عدى بن زيد) وهو أبو زيد عدى بن زيد بن عباد العبادى الحيرى من شعراء الجاهلية وكان جوادا شريفا موصوفا بالذكاء والادب وحسن الخط وكان ترجمانا لابرويز كسرى وكاتبه باللغة العربية ومن محاسن شعره قوله من قصيدة له

وعاذلة هبت بليل تلومنى * فلما غلت فى اللوم قلت لها اقصدى

أعاذل كفى اللوم فى غير كنهه * على شامت من غيلك المتردد

أعاذل ان الجهل من لذة الفتى * وان المنايا للرجال بمرصد

أعاذل من تكتب له النار يلقها * كفاحا ومن يكتب له الفوز يسعد

اذا ما امرؤ لم يرج منك مودة * فلا ترجها منه ولا دفع مشهد

ولما انسد امر المنذر فى الحيرة أصلح عدى بينهم فلما تخلص المنذر من رعيته استدعى عدى ابن زيد من المدائن الى الحيرة فولاه على مملكته وكل شئ سوى رسم الملك فكبرت نفس عدى على المنذر فشق ذلك عليه وأمر بحبسه فارسل الى كسرى من الحبس يعلمه بذلك فارسل كسرى الى المنذر باطلاقه ولما وفد رسول كسرى على النعمان دس الى عدى من قتله فى الحبس وادعى انه مات حتف أنفه وكانت وفاته سنة ٥٨٢ ميلادية (ومنهم عبيد بن الابرص بن جشم الاسدى الشاعر المشهور) من أهل نجد ومن محاسن شعره قوله

اذا كنت لا تعبأ بقول مفند * لنصح ولا تصغى الى قول مرشد
فلا تتقى ذم العشيرة كلها * وتدفع عنها بالسان وباليد
لعمرك ما يخشى الجليس تفحشى * عليه ولا أنأى على المتودد
ولا ابتغى ود امرئ قل خيره * وما أنا عن وصل الصديق بأحيد
وانى لاطفى الحرب بعد شبوبها * وقد أوقدت لاغى فى كل موقد
اذا أنت حملت الخؤن أمانة * فانك قد أسندتها شر مسند
ولا تظهرن ود امرئ قبل خبره * وبعد بلاء المرء فاذمم أو احمد
ولا تتبعن الرأى منه تقصه * ولكن برأى المرء ذى اللب فاقتد

ويستجاد له قوله من قصيدة

يا أيها السائل عن مجدنا * انك عن مجدنا جاهل
ان كنت لم تسمع بآبائنا * فسل تنبأ أيها السائل
سائل بنا حجرا غداة الوغى * يوم تولى جمعه الحافل

وكان فى أيامه الملك النعمان قد غضب فى سكره على ندمين كانا عنده فأمر بقتلهما ولما صحا ندم وبنى فوق كل واحد منهما قبة وجعل لنفسه يوم حزن كل سنة فى مثل اليوم الذى قتلهما فيه فكل من أتاه فى ذلك اليوم يأمر بقتله ويطلى القبتين بدمه كما سبق واتفق ان عبيد بن الابرص أتاه وكان فى يوم حزنه فامر بقتله وكان ذلك فى سنة ستمائة وخمس للميلاد (ومنهم أمية بن أبى الصلت وهو ابو القاسم امية بن أبى الصلت الثقفى) من أهل الطائف وكان أمية من رؤساء ثقيف وفى صحائفهم يتعبد فى الجاهلية ويؤمن بالبعث وينشد الشعر الملمح وادرك الاسلام ولم يسلم وله فى الفخر من جملة قصيدة

ورثنا المجد عن كبر انزار * فاورثنا مآثرنا بنينا

وكا حيثما علمت معـــد * أقمنا حيث سار واهار بينا
تخبرك القبائل من معدّ * اذا عـــدوا سعاية أولينا
بأنا النازلون بكل ثغـــر * وأنا الضاربون اذا التقينا
وأنا المانعون اذا أردنا * وأنا العاطفـون اذا دعينا
وأنا الحاملون اذا اناخت * خطوب فى العشيرة تبتلينا
وأنا الرافعون على معـد * أكفا فى المكارم ما بقينا
نشرد بالمخافـة من أتانا * ويعطينا المقادة من يلينا

وحضر يوما مجلس بعض الرؤساء وبين يديه أطباق من الذهب فيها ورد أبيض وأحمر فأمره بوصفها فقال

كأنما الورد الذى نشره * يعبق من طيب معانيكا
دماء اعدائك مسفوكة * قد قابلت بيض أياديكا

ومن شعره قوله يمدح عبد الله بن جدعان التيمى صديقه

ا أذكر حاجتى أم قـد كفانى * حبائك ان شيمتك الحباء
وعلمك بالحقوق وأنت فرع * لك الحسب المهذب والسناء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
وأرضك كل مكرمـة بنتها * بنوتـــيم وأنت لها سماء
اذا اثنى عليـــك المرء يوما * كفاه عن تعرضـــه الثناء

وتوفى أمية بن أبى الصلت سنة خمس هجريه الموافقة ٦٢٧ ميلاديه

وقد اختلف الناس فى تفاضل الشعراء فقال قوم أفضلهم امرؤ القيس ومنهم من قال زهير بن أبى سلمى وقيل عنترة بن شداد وقيل غيره وسئل الاصمعى من أشعر العرب فقال عنترة اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا طرب والاعشى اذا رهب وقال الفرزدق ان الشعر كان جلبابا زلا عظيما فنحر فجاء امرؤ القيس وأخذ رأسه وعمرو بن كلثوم أخذ سنامه وزهير أخذ كاهله والاعشى والنابغة فخذيه واطرافه ولبيد (١) كركرته ولم يبق الا الذراعان والبطن فتوازعناها بيننا

﴿شعراء الطبقة الثانية﴾

(منهم الشنفرى (٢) وهو ثابت بن أوس الازدى الشاعر من أهل اليمن) وهو شاعر

(١) الكركرة بالكسر رحى زور البعير أو صدر كل ذى خف قاموس
(٢) الشنفرى العظيم الشفتين

من الازد من العدائين وكان فى العرب من العدائين من لا تلحقه الخيل منهم هذا وسليك ابن السلكة وعمر بن براق وأسير بن جابر وتأبط شرا والشنفرى الشعر الحسن فى الفخر والحماسة ومنه لاميته المعروفة بلامية العرب وتوفى سنة ٥١٠ ميلاديه

(ومنهم أبو دؤاد وهو حنظلة بن الشرق وقيل ابن الشرق بن عمر والايادى) الشاعر المشهور من أهل بريه العراق وهو شاعر قديم يعد من فحول شعراء هذه الطبقة وكان وصافا للخيل وأكثر أشعاره فى وصفها وله فى غير وصفها أشعار كثيرة بين مدح وفخر وغير ذلك ومن شعره قوله

ترى جارنا آمنا وسطنا * يروح بعهد وثيق السبب
اذا ما عقدنا له ذمة * شددنا العناج (١) لعقد الركب

وقوله أيضا

وعجزت اذ عاتبتنى * والمرء يعجز لا محاله
والدهر يلعب بالفتى * والدهر أروغ من ثعاله
والمرء يكسب ماله * والشيخ يورثه الكلاله
والصمت خير للفتى * فى الحين من بعض المقاله

وعاش أبو دؤاد عمرا طويلا وكانت وفاته فى سنة ٥٢٠ ميلاديه

(ومنهم سلامة بن جندل هو سلامة بن جندل التميمى الشاعر المشهور من أهل اليمن) وهو جاهلى قديم وكان من فرسان تميم المعدودين وأخوه أحمر بن جندل من الشعراء والفرسان ومن شعر سلامة المذكور قوله

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب * أودى وذلك شأو غير مطلوب
ان الشباب الذى مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب

---

(١) ككتاب حبل يشد فى أسفل الدلو العظيمة ثم يشد الى العراوى وقال الازهرى العناج خيط خفيف يشد فى احدى آذان الدلو الخفيفة الى العرقوة وقيل عناج الدلو عروة فى أسفل الغرب من باطن يشد بوثاق الى أعلى الكرب فاذا قطع الحبل أمسك العناج الدلو ان يقع فى البئر وكل ذلك اذا كانت الدلو خفيفة فاذا كانت ثقيلة فهو حبل أو بطان يشد تحتها ثم يشد الى العراقى فيكون عونا للوذم فاذا انقطع الوذم أمسكها العناج وهذا مثال ضربه لايفائهم بالعهد قال الحطيئة يمدح قوما عقدوا لجارهم عهدا فوفوا به ولم يخفروه

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

من تاج العروس

ومنها همت معد بنا أمرا فنهنها (١) * عن اطعان وضرب غير تذبيب
بالمشرفى ومصقول أسنتها * صم العوامل صدقان (٢) الانابيب
يجلو أسنتها فتيان عادية * لامقرفين (٣) ولا سود جعابيب (٤)
سوى الثقاف قناهم فهى محكمة * قليلة الزيغ من سن وتركيب
زرق أسنتها حمر مثقفة * أطرافهن مقيل لليعاسيب (٥)
انى وجدت بنى سعد بفضلهم * كل شهاب على الاعداء مصبوب
الى تميم حماة الثغر نسبتهم * وكل ذى حسب فى الناس محسوب

وكانت وفاته فى سنة ٥٢٠ ميلاديه

(ومنهم المثقب العبدى هو محض بن ثعلبة العبدى الشاعر المشهور من أهل العراق) وهو جاهلى قديم كان فى زمن عمرو بن هند وله يقول

غلبت ملوك الارض بالحزم والنهى * فانت امرؤ فى سودد المجد ترتقى

ومن بدائع شعره قوله

أفاطم قبل بينك متعينى * ومنعك ما سألتك ان تبينى
فلا تعدى مواعد كاذبات * تمر بها رياح الصيف دونى
فانى لو تخالفنى شمالى * بنصر لم تصاحبها يمينى

وعاش عمرا طويلا حتى أدرك النعمان بن المنذر وتوفى سنة ٥٢٠ ميلاديه أيضا

(ومنهم البراق بن روحان هو أبو النصر بن روحان بن أسد التميمى) وكان فى صغره يتبع رعاة الابل ويحلب اللبن ويأتى به الى راهب حول المراعى فيتعلم منه تلاوة الانجيل وكان يدين بدينه ثم اشتهر أمره بعد ذلك وظهر منه من الثبات والشهامة فى الحرب التى وقعت بين بنى زبيعة وبنى اياد ولحم مالم يكن لغيره ومن شعره

ياطالب الامر لا يعطى امانيه * استعمل الصبر فيما كنت تبغيه

---

(١) أى كفها وزجرها عن اطعان وضرب غير ممنوع ولا متردد فيه يريد انهم فى غاية من القوة والاقدام ولذلك لا يرامون ولا يمكن لأحد معاندتهم ولا معاداتهم

(٢) صدقان جمع صديق كأصدقاء وصدقاء يريد انها فى غاية من الصدق والمتانة لا تخون صاحبها (٣) المقرف كمحسن من الرجال الذى فى لونه حمرة ومن الخيل وغيرها ما يدانى الهجنة أى أمه عربية لا أبوه لأن الاقراف من قبل الفحل والهجنة بالضم من قبل الأم اه قاموس (٤) الجعبوب الضعيف الذى لا خير فيه أو النذل أو القصير الذميم اه قاموس (٥) اليعسوب أمير النحل وذكرها وجمعه يعاسيب

والبس لسرك ما تخفيه مجتهدا * والبس عفافك فيما كنت تعنيه
فصاحب الصدق يجنى صدقه حسنا * وصاحب الشر سوء الشر يجنيه

وكانت وفاته سنة ٥٢٥ ميلاديه

(ومنهم تأبط شرا وهو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمى) أحد رآبيل (١) العرب ورجالهم المعدودين وتابط شرا لقب غلب عليه (٢) وكان تأبط شرا أعدى ذى رجلين وذى ساقين وذى عينين وكان اذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر الى الظباء فينتقى على نظره أسمنها ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ويشويه ثم يأكله ومن شعره قوله من قصيدة

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده * اضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا * به الامر الا وهو للحزم مبصر
فذاك قريع الدهر ما كان حوّلا * اذا سدّ منه منخر جاش منخر

وقتل تابط شرا فى بلاد هذيل ورمى به فى غار يقال له رخمان سنة ٥٣٠ ميلاديه

(ومنهم السموأل وهو ابن عاديا الاوسى الشاعر المشهور من أهل بريه الحجاز) كان من أشراف يهود يثرب وفصحائها المشهورين وكان مشهورا بالوفاء وكرم الاخلاق ومن محاسن شعره قصيدته اللامية التى أولها

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل

وقد سبقت وكانت وفاته فى سنة ٥٦٠ ميلاديه

(ومنهم علقمة الفحل هو علقمة بن عبدة التميمى الشاعر المشهور من أهل نجد) كان من سادات بنى تميم وفصحائهم المشاهير ومن شعره قوله

فان تسألونى بالنساء فانّنى * خبير باحوال النساء مجيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له فى ودّهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه * وشرخ شباب عندهن عجيب

وكان يجرى فى شعره مجرى الامثال الحكمية فمن ذلك قوله من قصيدة

---

(١) رآبيل جمع رئبال وهو الذى ولدته امه وحده ولم تلد سواه (٢) قال فى شرح القاموس لقب بذلك لأنه رأنه أمه وقد تأبط جفير سهام وأخذ قوسا فقالت له أمه هذا تأبط شرا أو تأبط سكينا فاتى ناديهم فوجأ بعضهم فلقب به لذلك وفى الصحاح زعموا انه كان لا يفارقه السيف والتأبط ان يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الايسر

والحمد لا يشترى الا له ثمن * مما يضن به الاقوام معلوم
والجود نافية للمال مهلكة * والبخل مبق لاهليه ومذموم
والجهل ذو غرض لا يستراد له * والحلم آونة فى الناس معدوم
وكل حسن وان طالت سلامته * على دعائمه لابد مهدوم

وكانت وفاة علقمة فى سنة ٥٦١ ميلاديه

(ومنهم الحارث بن عباد) وهو أبو بجير الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكرى كان من سادات العرب وحكمائها وشجعانها الموصوفين شهد حرب البسوس وحسن فيها بلاؤه وحمدت مشاهده وكان قد اعتزلها بقومه وأهل بيته ومن أطاعه من قبائل بكر حتى أسرف المهلهل فى القتل وقتل ولده بجيرا فلما انتهى ذلك اليه ثارت به حمية ونادى فى قومه بالحرب وقال قصيدته المشهورة التى يكررفيها *قربا مربط النعامة منى * وقد تقدم ذكره فى حرب البسوس بايضاح وكانت وفاته سنة ٥٧٠ ميلاديه

(ومنهم خداش بن زهير) وهو ابن ربيعة بن عمرو العامرى من أهل نجد من فحول شعراء هذه الطبقة كان عالى الهمة شريف النفس ومن شعره قوله

وانا لمن قوم كرام أعزة * اذا أعنقت خيل بفرسانها تجرى
ونحن اذا ما الخيل أدرك ركضها * لبسنا لها جلد الاسا ود والنمر

وكانت وفاته فى سنة ٥٧٠ ميلاديه

(ومنهم عروة بن الورد) وهو عروة بن الورد بن زياد العبسى من أهل نجد شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها المقدمين الاجواد وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه اياهم وقيامه بأمرهم اذا اخفقوا فى غزواتهم ولم يكن لهم معاش الا مغزاه وكان يعارض حاتما فى جوده وكان غض الطرف قليل الفحش كثير العطاء ويستجاد له قوله

ومكروب كشفت العار عنه * بضربة صارم لما دعانى
وقلت له أتاك أتاك فانهض * شجاع حين ينهض غير وان
فما أنا عند هيجا كل يوم * بمثلوج الفؤاد ولا جبان
يصافينى الكريم اذا التقينا * ويغضنى اللئيم اذا رآنى

وقتل عروة فى بعض غاراته قتله رجل من (١) طهية وكان ذلك قبل الاسلام بست وعشرين سنة وهو ابن ثمانين سنة وأدرك ابنه زيد الاسلام وأسلم

(١) طهية كسمية قبيلة من تميم نسبوا الى طهية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة ابن تميم اه تاج

(ومنهم الاسود بن يعفر) وهو أبو الجحاج الاسود بن عبد الاسود الدارمى من أهل العراق وكان كفيف البصر ومن شعره ما أورد له ابن المبارك فى كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب قوله من قصيدة له

وقد علمت ابناء خندف اننا * رعاة قواصيها وحامو الحقائق
وانا اولو أحكامها وذوو النهى * وفرسان غارات الصباح الذوالق (١)
وانا لنقرى حين نحمد بالقرى * بقايا شحوم الآبيات المفارق
ونضرب رأس الكبش فى حومة الوغى * وتحمدنا أشياعنا فى المشارق

وكانت وفاة الاسود فى سنة ستمائة ميلاديه

(ومنهم حاتم الطائى) وهو أبو عدى حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى من أهل نجد وكان من الكرم على أفضل جانب يفك العانى ويحمى الذمار ويقرى الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويعين على نوائب الدهر ومارد طالب حاجة قط وكان حاتم من شعراء العرب جوادا يشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب وكان اذا جن الليل يوعز الى غلامه ان يوقد النار فى مرتفع من الارض لينظر اليها من أضله الطريق فياوى الى منزله وكان اذا هل الشهر ينحر عشرا من الابل فيطعم الناس ومن شعره قوله من جملة ابيات له

أماوى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقد علم الاقوام لو ان حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر
يفك به العانى ويأكل طيبا * ويحفظ عرضا ان هذا هو الفخر

وتوفى سنة ٦٠٥ ميلاديه

(ومنهم أوس بن حجر) وهو أوس بن حجر بن مالك التميمى من أهل اليمن من شعراء الجاهلية وفحولها وكان كثير الوصف لمكارم الاخلاق يجيد فى شعره ما يريد ومن محاسن شعره قوله من قصيدة

وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكن أخوك الناء مادمت آمنا * وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

وعمر أوس طويلا وكانت وفاته فى أول ظهور الاسلام

(ومنهم دريد بن الصمة) وهو أبو قرة دريد بن الصمة بن الحارث بن معاوية الجشمى من

---

(١) الذوالق الشداد ويقال ذلق السكين حدده كذلقه وأذلقه والسموم أو الصوم فلانا أضعفه وذلق اللسان والسنان كفرح ذرب فهو ذلق وأذلق وأسنة ذلق سريعة ماضية

أهل نجد من فحول شعراء الطبقة الثانية كان أكثر الفرسان الشعراء غزوا وابعدهم أثرا وأكثرهم ظفرا وايمنهم نقيبة عند العرب يقال انه غزا مائة غزوة ما أخفق فى واحدة منها وأدرك الاسلام ولم يسلم وخرج مع قومه فى يوم حنين ظهير المشركين ولا قدرة له على الحرب وانما أخرجوه ليتيمنوا به ويتبسوا من رأيه لانه كان ذا معرفة بالحروب فقتل فى ذلك اليوم على شركه ومن شعره قوله من أبيات يمدح بها عبد الله بن جدعان بعد ان كان هجاه

اليك ابن جدعان أعملتها * مسومة للسرى والنصب
دخلت البلاد فما ان أرى * شبيه ابن جدعان بين العرب
سوى ملك شامخ ملكه * له البحر يجرى وعين الذهب

وتوفى سنة ٦٣٠ ميلاديه

(ومنهم الخنساء) وهى تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل سليم من أهل نجد من شاعرات العرب وأجمع علماء الشعر أنه ما وجدت قط امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها وكان النابغة الذبيانى يجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسى ينشدونه فيفضل من يرى تفضيله فانشدته فى بعض المواسم فاعجب بشعرها وقال لها لولا ان هذا الاعمى أنشدنى قبلك (يعنى الاعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم وأكثر شعرها فى مراثى أخويها معاوية وصخر وشعرها مشهور ولها ديوان شعر مطبوع ومن قولها فى أخيها صخر

ألا يا صخر ان أبكيت عينى * فقد أضحكتنى زمنا طويلا
بكيتك فى نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حى * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقد أدركت الاسلام وأسلمت وتوفيت سنة ٦٢٤ ميلاديه

﴿الطبقة الثالثة﴾

(منهم لقيط بن زرارة) وهو أبو نهشل لقيط بن زرارة بن عدى الدارمى الشاعر من أهل اليمن من شعراء الطبقة الثالثة وكان لقيط من سادات دارم وصناديدهم الموصوفين ومن محاسن شعره قوله

وانى من القوم الذين علمتهم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
أضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

قيل ان هذه الابيات أمدح أبيات قيلت فى الجاهلية وقتل لقيط يوم شعب جبلة وذلك قبل الاسلام باربعين سنة كما تقدم

﴿ ما نتج عن الشعر من الفوائد (١) ﴾

لايخفى ان الشعر هو ديوان العرب وترجمان الادب به عرفت العرب أيامها وهذبت عوائدها وأخلاقها فكان هو سجل علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون واليه يصيرون وبه حفظت الانساب وكثرت المعارف والآداب وتهذبت اللغة العربية وكثرت المحاسن الادبية وكان العرب فى أول أمرهم يقتصرون على أبيات قليلة يقولها الرجل فى حاجته ثم صار يزداد شيأ فشيأ ويتنافسون فيه حتى قالوا القصائد الطنانة ونظموا المعلقات الرائقة وماشاكلها من القصائد الفائقة والاشعار الشائقة فكثرت الآداب وانتفع بهذه الحكم والقصائد اولوا الالباب وتهذبت اللغة العربية وظهرت الفوائد الادبية وكما أن أشعارهم دلت على وقائعهم وأيامهم ودرجة شرفهم وكثرة مجدهم وعلو شأنهم فانها قد دلت أيضا على انهم لم تتغير أحوالهم ولم تفسد طباعهم فى زمن من الازمان المختلفة وتنافسوا فيما كانوا عليه من النجدة والحماسة وكسب الفخار والحزم والكياسة مع المحافظة على مالهم من عزة النفس والحرص على أخذ الثار ونفى العار والاجتهاد فى كسب الفخار وعكفوا على الكرم والجود وكانوا يميلون بالطبع الى كل أمر محمود ويتنافسون فى المفاخرات والمظاهرات وكل مايكسبهم المحامد العديدة ويوصلهم الى الاتصاف بالصفات الحميدة وهكذا من جميل الفوائد وجليل العوائد وبالجملة فكانت فوائد الشعر كثيرة منها ماعاد على اللغة بحسن التهذيب ومنها ماعاد على الاشخاص بالتأثير فى التربية والتأديب فكانت عزة نفوس العرب وحبهم للثناء تبعثهم على تحسين الاحوال والاتصاف بصفات الشرف والكمال والتعود بأحسن عادة تبلغ الانسان أعلى درجات المدح والسيادة ولذا كانوا يتصفون بالحلم والحكم والسخاء والكرم والعزة والقناعة والحماسة والشجاعة فلا عجب فيما ينسب من المآثر العديدة والصفات الحميدة لحاتم الطائى وزيد الخيل ومعن بن زائدة واضرابهم ممن كان يضرب بهم المثل فى الجود والشجاعة قبل الاسلام بزمن يسير ككعب بن مامة الايادى وهرم بن سنان النميرى وغيرهم وبقى أشراف العرب محافظين على الجود والكرم وانتشار لواء المعروف بين الامم حتى صبحهم الاسلام وخفقت به على رؤسهم رايات واعلام فازدادوا به شرفا على شرفهم ومجدا فوق مجدهم ولم يزالوا بين الامم مشهورين بالجود والكرم ومن

(١) انظر توفيق الجليل

أجوادهم فى الاسلام عبدالله بن عباس وأخوه عبيدالله الذى لفرط جوده سمى معلم الجود وهو أول من وضع الموائد على الطرق ولاغرابة فى ذلك فكارم العباس أخجلت فى ذلك العهد كثيرا من الناس ومما قيل فى مدحه رضى الله عنه

لو قيل للعباس عم محمد * قل لا وأنت مخلد ما قالها
ان المكارم لم تزل معقولة * حتى فككت براحتيك عقالها
واذا الكرام تسايروا فى بلدة * كانوا كواكبها وكنت هلالها
ما ان أتى من المكارم خصلة * الا وجدتك عمها أو خالها

ومن الاجواد أيضا فى الاسلام عمر بن الخطاب والحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ومن أجواد الصحابة بقية العشرة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وكثير غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

وقد ترتب على انشاء الشعر وانشاده قبل البعثة تنوير الافكار والاستعداد لقبول محاسن الاشياء وتقلب الاحوال الى أحسن حال بحيث تمدن العرب تمدنا خاصا بهم بمجامع الفصاحة والبلاغة ومجالس الآداب والمفاخرات وصاروا جميعا مستعدين لقبول التمدن التام ومتهيئين للخير العام والتخلق بالاخلاق الحميدة والرضا بالتغيرات الجديدة وقبول التحسينات المفيدة والرجوع عن دين الجاهلية واتباع الشريعة المحمدية فكانت هذه عبارة عن مقدمات استجدت لتنفيذ مقاصد رسالة تبدت

ولما كانت الشريعة المحمدية عربية والقرآن عربيا وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم عربية وجميع ماورد عن أصحابه من الآثار والاخبار باللسان العربى وجب حينئذ تعلم تلك اللغة والاعتناء بشأنها والمحافظة عليها من الضياع بحفظ قوانينها ومعرفة علوم آدابها للوصول الى معرفة معانى القرآن الشريف وأسرار الشريعة المحمدية ولا طريق لمعرفة تلك اللغة ومعرفة قوانينها واختلاف أساليبها وحل معضلاتها ومشكلاتها غالبا الا بمعرفة الكتابة والقراءة اللتين هما من أعظم النعم على الانسان قال تعالى مبينا لفضلهما اقرأ باسم ربك الى قوله الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم أى علمه الكتابة التى تعرف بها الامور الغائبة فجعل القلم كناية عنها والمراد علم الانسان الخط بالقلم وعلى كل حال فقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على فضيلة الكتابة فان للخط فضلا وشرفا ومنفعة لا تجهل به تقيد العلوم وتثبت وتزرع فى الصدور فتنبت وكيف ينسى أحد فصل القلم وهو من أجل النعم وقد اقسم الله به فى كتابه المكنون قال تعالى ن والقلم وما يسطرون وقال عليه الصلاة والسلام قيدوا العلم بالكتابة وقال مالك رضى الله عنه

العلم صيد والكتابة قيده * قيد صيودك بالحبال الواثقه

وحسب صاحب الخط مدحا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه من خط وخاط وفرس وعام فذاكم الغلام قال الشاعر يمدح كاتبا بحسن الخط

ان هزا قلامه يوما ليعملها * انساك كل كمى هز عامله

وان أفر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

وقال غيره يمدح بعض الكتاب أيضا وقد تغالى فى المبالغة

قلم القضاء موكل ببنانه * فيه الامانى والمنية باديه

ان جره تلق الرماح تعطلت * أومده تأت الامور طواعيه

فالقلم لا ينطق ولكن يسمع المغرب والمشرق ولذلك قيل هو أحد اللسانين بل القلم ينوب عن اللسان واللسان لا ينوب عن القلم والعلم تحفظه السطور اذا نسيته الصدور وقد قيل

اكتب محاسن ما ترى * واحفظ محاسن ما كتبت

وأدر على الاسماع ان * حدثت أحسن ما حفظت

والكتابة عند العرب قديمة جدا ولا يعلم بالتحقيق الزمن الذى ابتدئت فيه الكتابة عندهم وقد وردت روايات تدل على ان اول من كتب بالعربية هم أهل اليمن قوم هود عليه السلام وعليه تكون الكتابة كانت موجودة فى قديم الزمان فى العرب البائدة وكانت تسمى كتابتهم بالخط المسند وبقى فى حمير معروفا بالخط الحميرى وكانوا يكتبون كل حروفه منفصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمه فلا يتعلمه أحد الا باذنهم حتى تعلمه مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وهم من عرب طى فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لانه جزم أى قطع من الخط الحميرى ثم علموه أهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة فى البلاد العربية وبعد الفتوحات الاسلامية وبناء البصرة والكوفة اجتهد فى تحسينه أهل الكوفة حتى عرف بالخط الكوفى وكان الخط خاليا من النقط والحركات والسكنات الى ان وضع أبو الاسود الدؤلى الشكل فى أيام معاوية ووضع نصر بن عاصم النقط فى أيام عبد الملك بن مروان وصار الخط العربى بهذا الضبط واضحا خاليا من الاشكال وهناك روايات أخرى تدل على ان أهل الشمال من هذه البلاد قد أخذوا الخط عن أبيهم اسماعيل عليه السلام ولم تكن الكتابة كثيرة عندهم فى الأزمان الخالية وقيل انما وصلت اليهم من الحميريين واهل الجنوب وقيل غير ذلك من الروايات القديمة والأخبار السقيمة والنبى صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وفضيلة أميته صلى الله عليه وسلم خصوصية له فلا تقدح فى فضل الكتابة لوجودها فى أتباعه قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الأمى

ومعنى الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب أو الذى هو على صفة أمة العرب قال صلى الله عليه وسلم انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب وقال الشاعر

خطوا فاقلامهم خطية حظيت * فهم على الخيل أميون كتاب

ان أحسنوا كلما أو ان وفوا ذمما * وقد صفوا شيما فالقوم اعراب

فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤن والنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا السبب وصفه بكونه أميا قال أهل التحقيق وكونه أميا بهذا التفسير كان من جملة معجزاته من وجوه (الاول) انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى مرتبا مرة بعد أخرى من غير تبديل الفاظه ولا تغيير كلماته والخطيب من العرب كان اذا ارتجل خطبته ثم أعادها فانه لا بد ان يزيد فيها أو ينقص عنها بالقليل والكثير ثم انه عليه الصلاة والسلام مع انه أمى كان يتلو القرآن من غير زيادة ولا نقص ولا تغيير ولا تبديل ولا تقديم ولا تأخير فكان ذلك من جملة معجزاته الباهرة ودلائل نبوته الظاهرة والى ذلك الاشارة بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى (الثانى) انه لو كان يحسن الكتابة والقراءة لصار متهما فى أنه ربما طالع كتب الاولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من أعظم معجزاته وأوضح آياته وهذا هو المراد من قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (الثالث) ان تعلم الخط شئ سهل فان أقل الناس ذكاء وفطنة يتعلم الخط فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم فى الفهم والله سبحانه وتعالى أعطى نبيه علوم الاولين والآخرين وأطلعه على ما لم يطلع عليه أحد من البشر من الاسرار والحكم ومع تلك القوة العظيمة فى العقل والفهم صرفه عن تعلم الخط الذى يسهل تعلمه لاى أحد من الناس فكان الجمع بين هاتين الحالتين جاريا مجرى الجمع بين الضدين وذلك من الامور الخارقة للعادة وجار مجرى المعجزات مع ما يضاف اليه بالنسبة الى مقامه الشريف من أن الكتابة صنعة من الصنائع العملية وهو صلى الله عليه وسلم غير محتاج اليها لوفرة عقله وانقطاعه الى ربه وأخذه العلوم بطريق الوحى

ثم ان اللغة العربية ذات تصرف وطرق مختلفة فى التفاهم وقد جاء القرآن موافقا لها جاريا على قوانين تصرفها وهى تنقسم الى قسمين أحدهما الظاهر الذى لا يخفى على أحد ولا يحتمل غير ظاهره والثانى المشتمل على الكنايات والاشارات والتجوزات وكان هذا القسم الثانى هو المستحلى عند العرب وقد نزل القرآن بالقسمين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله بأى حالة فكانه تعالى قطع حجتهم وقال لهم عارضوه بأى القسمين شئتم

ولو نزل كله واضحا لقالوا هلا نزل بالقسم المستحلى عندنا فانه لو وقع فى الكلام اشارة أو كناية أو تعريض أو تشبيه كان أحسن فنزل القرآن على عادتهم قال تعالى فما ربحت تجارتهم ومن عادتهم الكناية وجاءت فى القرآن ولكن لا تواعدهن سرا أى نكاحا وقد يكنون عن الشئ ويسترون ضميره بدون ذكره نحو حتى توارت بالحجاب أى الشمس ونحو فلولا إذا بلغت الحلقوم أى الروح والاستعارة نحو ألم ترانهم فى كل واد يهيمون ونحو فما بكت عليهم السماء والارض والحذف نحو واسأل القرية والزيادة نحو فاضربوا فوق الاعناق وهكذا من التصرفات العجيبة والمحاسن الغريبة فاللسان العربى يحتاج اليه فى فهم الكتاب والسنة وكتب الشريعة المطهرة ولا شك ان وحدة اللسان ووحدة الشريعة المطهرة يقضيان بوجوب التفاهم بين أهلهما فى سائر الممالك الاسلامية فعلى كل دولة من دولها ان تعرف اللغة العربية وأحوالها وآدابها وتودوا وينها وأشعارها لاحياء هذه اللغة التى قل راغبوها وندر طالبوها الا من الامم الاجنبية الباحثين على المعارف المشرقية فقد اختصوا الآن باستخراج جواهر لسان العرب من معادنه واستنبطوا منها الاستنباطات المهمة والفوائد الجمة التى استكشفوا منها مجهول التواريخ والجغرافيا والعلوم والفنون والاخلاق والآداب والامثال والحكم مما انتظم به ملكهم فلا يليق بنا هجر هذه الوسائل المثرية ولا يكفى نشر كتبها بمجرد الطبع والتمثيل كالجارى الآن بمصر فى هذا العصر كما لا يكفى أيضا التوسع فى دائرة العلوم العربية الاثنى عشر وقراءة مطولاتها فى المدارس الاسلامية الكبيرة بدون تدريس دواوين العرب ودواوين من حذا حذوهم من المولدين بل لا بد من التشويق والترغيب وأخذ كافة طلبة الجامع الازهر الانور منها كغيرهم من بنى المعارف باوفى حظ وأوفر نصيب فانهم وان كانوا مجدين فى تحصيلها على كل حال فكل كامل يقبل النكمال ولا اكتراث بمن لا يعرف قدرها فيستصوب هجرها ويستصغر أمرها ويقول ان الانكباب على تحصيلها ضياع زمان وشغل شاغل للانسان بدون أى ثمرة تجنى من تحصيلها اليه وأدنى فائدة تعود من معرفتها عليه فان من جهل شيأ عاداه واقتصر على مالوفه وما تعداه اذ الاشتغال بها جم الفوائد جزيل الثمرات والعوائد فانها لو توجهت اليها عقول الناس جميعا وأصبح الكل لهذا اسميعا مطيعا تصير لغة عامة بين الخاصة والعامة وتنتج فى أقرب أوان أكثر مما انتجت من الفوائد فى سالف الازمان ويصير جميع أمم الاسلام أمة واحدة فى سائر الانام ويرتفع شأن الامة والدين ويبقى حبل الرابطة وهو قوى متين وبذا يسلكون أحسن المسالك ويسود الاسلام فى جميع الممالك

﴿علوم العرب ومعارفهم﴾ (١)

واما علوم العرب التى كانت فى الجاهلية فهى الانساب والانواء والتواريخ والتعبير ولابى بكر الصديق فيها اليد الطولى ومن علومهم أيضا احكام لغتهم ونظم الاشعار وتأليف الخطب والحكم الى غير ذلك مما كان عندهم من العلوم العديدة اكتسبوها بالتجربة المفيدة التى أحوجتهم لها ضرورة التقدم فى اسباب المعيشة وزعم بعضهم ان جاهلية العرب كانوا على جانب عظيم من العلم والفلسفة وان فيثاغورث الذى هو من أعظم حكماء اليونان استمد أكثر معارفه منهم كما رواه كثير من المؤرخين وكذلك كان بين العرب بعض أطباء كالحرث بن كلدة الثقفى الذى رحل الى أرض فارس وتلقى الطب هنالك فطبب به وحصل مالا كثيرا وثروة وافرة ثم اشتاق الى أوطانه فرجع اليها وأقام بالطائف واشتغل بالطب ومن أقواله (من سره البقاء ولا بقاء فليبا كر الغداء وليخفف الرداء وليقلل من غشيان النساء) قال بعضهم أراد بخفة الرداء ان لا يحمل الانسان نفسه دينا تثقل كاهله فان ذلك مما يشتت الافكار ويوجب الاكدار ويسبب الآلام الموجبة للسقام ولا مانع من ان يكون أراد خفة الملابس فان الانسان اذا عود نفسه على الملابس الثقيلة والثياب الكثيرة كان ذلك ضررا عليه لانه ربما اضطر لخفتها أو خلعها فيجلب لنفسه الاسقام التى ربما تسبب عنها الحمام وبالجملة فان العرب وان كانوا أغنى الناس عن الطب والتقدم فى علومه لاقتصارهم من التغذية على أنواع بسيطة وما كل قليلة وانهم لا يأكلون الا اذا جاعوا واذا أكلوا لا يمئون بطونهم فضلا عن سكناهم فى الخلوات الواسعة واستنشاق الاهوية اللطيفة الخالصة ورياضة أجسامهم بالاسفار وبعدهم عن الابخرة الصاعدة من الأنواع المتعفنة فانهم قد وصلوا من الطب الى ما يحتاجون اليه فى مداواة ما عساه ان يلم بهم من مرض على حسب ما عرفوه وورثوه من عوائدهم ومجرباتهم

﴿ديانة العرب ومعتقداتهم﴾ (٢)

العرب الجاهلية كانوا أصنافا صنفا أنكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفنى قال تعالى حكاية عنهم وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وصنفا اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث قال تعالى ردا عليهم أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام

(١) انظر أبا الفدا وابن الوردى (٢) أنظر أبا الفدا وابن الوردى وسبائك الذهب

وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم وقال جل شأنه أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد وصنفا عبدوا الاصنام كل صنم لقبيلة وكانت قبيلة عاد تعبد أصناما من الحجارة وعاد ملكت باليمن تعبد القمر وكانت ثمود كذلك الا أن أكثر أصنامها من الحديد وكان ود (١) لكلب وسواع (٢) لهذيل ويغوث (٣) لمذحج ولقبائل من اليمن ويعوق (٤) لهمدان وبنى مراد ونسر (٥) لذى الكلاع بأرض حمير واللات (٦) لثقيف بالطائف والعزى (٧) لقريش وهى كنانة ومناة (٨) للاوس والخزرج وهبل (٩) أعظم هذه الأصنام وكان موضوعا

---

(١) ود بفتح الواو وضمها وكان بدومة الجندل وهو على مثال رجل كاعظم ما يكون من الرجال عليه حلتان قد ائتزر باحداهما وارتدى بالاخرى وعليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسا اه من سبائك الذهب (٢) سواع بضم السين وفتح الواو مخففة وفتح السين لغة فيه وبه قرئ وكان برهاط وهو على صورة امرأة قال بعضهم يصف قوما

تراهم حول قيلهم عكوفا * كما عكفت هذيل على سواع

يظل جنابه برهاط صرعى * عتائر من ذخائر كل راع

(٣) ويغوث كان على صورة أسد (٤) ويعوق كان على هيئة فرس وكان بقرية يقال لها صبوان فعبدته همدان ومن والاها من اليمن (٥) نسر كان على صورة نسر وكان بموضع من أرض سبا يقال له بلخ فعبدته حمير ومن والاها ولم يزالوا كذلك حتى هودهم ذونواس اه من سبائك الذهب (٦) اللات هى بيت باعلى نخلة (٧) العزى هى الزهرة كانوا يعبدونها تحت هيئة شجر السنط كما فى سبائك الذهب وفى تاج العروس العزى صنم كان لقريش وبنى كنانة أو هى سمرة عبدتها غطفان وأول من اتخذها منهم ظالم بن أسعد فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال بالنخلة الشامية بقرب مكة وقيل بالطائف بنى عليها بيتا وسماه بسابالضم والقصر أو المد وقاموا لها سدنة مضاهاة للكعبة وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه عام الفتح فهدم البيت وقتل السادن وأحرق السمرة وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

فى حكاية طويلة نقلها صاحب التاج عن شرح ديوان الهذليين فارجع اليه ان شئت (٨) مناة هو حجر كبير كانوا يذبحون عليه وفى التاج مناة صنم كان بالمشلل على سبعة أميال من المدينة والبه نسبوا زيد مناة وعبد مناة قاله نصر وقال الجوهرى كان لهذيل وخزاعة وكان بين مكة والمدينة (٩) وهبل بضم الهاء وفتح الباء آخره لام

على ظهر الكعبة (وأساف ونائلة) (١) على الصفا والمروة ومنهم من هاد ومنهم من تنصر ومنهم صابئة تعتقد فى أنواء الكواكب اعتقاد المنجمين فى السيارات حتى لا تحرك الا بنوء من الأنواء وتقول مطرنا بنوء كذا ومنهم عباد الملائكة وعباد الجن وقد ظهر من أدلة شتى أن اعتقادهم الأصلى كان هو التوحيد كما كان الأمر كذلك عند أكثر الأمم فى أوائلهم ثم فسدوا وأخذوا يعبدون الأصنام ولا شك ان بنى اسماعيل أخذوا التوحيد عن أبيهم الذى أخذه عن أبيه الخليل ابراهيم عليهما السلام وقد ثبت من التواتر أيضا ان البيت كان محترما عند العرب من قديم الزمان والمحجوج الأول لكل العرب وقد تنازعوا حراسته وحق الطواف به وكان الحج أولا كل خمس سنين مرة قال أبو الفدا كانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون ويطوفون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار وأول من أتى بالاصنام ووضعها بالبيت الحرام هو عمرو بن لحى بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد من ولد كهلان ثم كثرت الاصنام بعد ذلك حتى صار لكل قبيلة صنم، كما سبق وصارت العرب تقرب القرابين فى الكعبة لتلك الأصنام من الابل والغنم وكانت جملة ما فى البيت ثلثمائة وستين صنما على ما قيل وفى ذلك يقول بعض الجرهميين وكان باقيا العهد عمرو بن لحى الذى تقدم ذكره

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة * شتى بمكة حول البيت انصابا
وكان للبيت رب واحد ابدا * فقد جعلت له فى الناس اربابا

ثم لم تزل العبادة الوثنية شائعة بين العرب حتى جاء الاسلام وكان وضع الاصنام على الكعبة وعبادة العرب لها قبل الاسلام بكثير وابطلها الاسلام وازال باقيها عام فتح مكة حين دخل البيت صلى الله عليه وسلم وكسرها وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا كما سيأتى فى سيرته الشريفة ان شاء الله تعالى

وهو أعظم أصنامهم وكان موضوعا بالكعبة وهو من العقيق الأحمر على صورة انسان مكسورا اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من الذهب وكان أول من نصبه خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر اه من سبائك الذهب (١) وأساف كان على صورة رجل ونائلة كان على صورة امرأة قال فى سبائك الذهب وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أساف رجل من جرهم ويقال له اساف بن يعلى ونائلة بنت زيد بن جرهم وكان يتعشقها فى أرض اليمن فاقبلا حجاجا فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس ففجر بها فيه فمسخا حجرين فاخرجوهما منه ووضعوهما هكذا ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدتهما قريش وخزاعة ومذحج من العرب

﴿احكام الجاهلية وبعض أحوالهم﴾ (١)

وكان للعرب فى الجاهلية احكام كثيرة وقوانين شهيرة منها ما أقرها الاسلام وأبقاها وحسنها ومنها ما أبطلها وخالفها فأما الاشياء التى كانت فى الجاهلية وأقرها الاسلام فمنها ان الكثير من العرب فى الجاهلية كانوا لا ينكحون الامهات ولا البنات ولا يجمعون بين الاختين وكانوا يعيبون من تزوج بامرأة أبيه ويسمونه الضيزن وكانوا يحجون البيت الحرام بمكة ويعتمرون ويحرمون ويطوفون ويسعون ويرمون الجمار ويقفون مواقف الحج كلها كما سبق وكانوا أيضا يغتسلون من الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان وكانوا أيضا اذا سرق أحدهم شيأ يقطعون يده اليمنى وكانت قريش أيضا تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية وكانوا أيضا يسمون أولادهم بالاسماء القبيحة ككلاب ونحوه ويسمون عبيدهم بالاسماء الحسنة كسرور ونجاح تفاؤلا يريدون ان الولد من شأنه انه يقاتل عدو أبيه والعبد من شأنه ان يتولى خدمة سيده فيقال مثلا أخذ العدو كلابا وجاء سرور لكذا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الصالح والاسم الحسن فقد جاء فى الخبر أنه عليه الصلاة والسلام لما هاجر الى المدينة نزل على رجل يقال له كلثوم فدعا بغلامين له يسار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا البلد وكان كما قال صلى الله عليه وسلم

(وأما الاشياء التى كانت فى الجاهلية وأبطلها الاسلام) فمنها ان العرب فى الجاهلية كانت ترى الصمت قربة ويقولون حجة مصمتة كما روى ان أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه دخل البيت الحرام فوجد امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم قالوا حجت مصمتة قال لها تكلمى فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت وقالت من أنت قال امرؤ من المهاجرين قالت أى المهاجرين قال من قريش قالت من أى قريش أنت قال انك لسؤول أنا أبو بكر قالت ما بقاؤنا على هذا الامر الصالح الذى جاء به الله بعد قال بقاؤكم عليه ما استقامت به أئمتكم قالت وما الائمة قال أما لقومك رؤس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم قالت بلى قال فهم أولئك وكانت قريش أيضا تحلف بآبائها فلما جاء الاسلام قال عليه الصلاة والسلام ناهيا عن ذلك ألا من كان حالفا فلا يحلف الا بالله وكانوا أيضا فى الجاهلية اذا رأوا جنازة قاموا لها ويقولون اذا رأوها كنت فى أهلك ما أنت مرتين فنهوا عن ذلك روى هذا عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم

(١) انظر مروج الذهب والنفحة الملوكية

وكانوا أيضا ينصبون الرايات على أبواب بيوتهم ليعرفوا بها فكانت عرب اليمن تفتخر بالرايات الصفر وعرب الحجاز تفتخر بالرايات الحمر فنهوا عن ذلك ومن الاشياء التى كانت فى الجاهلية وأبطلها الاسلام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والخمر والميسر (١) والانصاب والازلام والموؤدة

فالبحيرة ما توقف البانها على الطواغيت والاصنام فلا تحلب الا لهذا الغرض والسائبة هى التى كانت تسيب من الماشية للاصنام فلا يحمل عليها شئ والوصيلة الناقة البكر التى كانت تنتج أول نتاجها أنثى ثم تثنى بانثى كذلك فيتركونها الطواغيتهم واصنامهم والحام فحل الابل يضرب الضراب المعدودة فاذا قضى ضرابه جعلوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شئ وسموه الحامى لانه حمى نفسه من الحمل وقد جاء الاسلام ببطلان كل ذلك قال تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وكانوا يشربون الخمر ويستعملون الميسر والانصاب (٢) والازلام (٣) والخمر هو ما خامر العقل

(١) الميسر القمار قال صاحب الكشاف كانت لهم عشرة قداح وهى الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس بفتح الحاء وكسر اللام وقيل بكسر الحاء وسكون اللام والمسبل والمعلى والنافس والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منهما نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرون جزأ الاثلاثة المنيح والسفيح والوغد قال بعضهم

لى فى الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح
وأسامهن رغد * وسفيح ومنيح

فللفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها فى خريطة ويضعونها على يدعدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح لا نصيب له لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم اه (٢) الانصاب هى حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى واحدها نصب كعنق وأعناق أو كقفل وأقفال وهى الاوثان وقال الثعلبى النصب صنم أو حجر كانت الجاهلية تنصبه تذبح عنده فيحمره الدم (٣) الازلام هى أقداح وسهام كانت لقريش فى الجاهلية مكتوب عليها أمرونهى وافعل ولا تفعل وقد زلمت وسويت ووضعت فى الكعبة يقوم بها سدنة البيت فاذا أراد رجل سفرا أو نكاحا أتى السادن وقال اخرج لى زلما فيخرجه وينظر اليه فاذا خرج قدح الامر مضى على ما عزم عليه وان

وأسكره والميسر القمار والانصاب الاوثان واحدها نصاب والازلام السهام التى كانوا يضربون عليها فى حوائجهم وتسمى قداحا أيضا وكانت سبعة موضوعة عند سادن الكعبة بالبيت الحرام فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك كله بقوله يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون والموؤدة هى التى كانت تقتل ظلما من بنات العرب فكان الرجل منهم يأخذ ابنته ويدفنها فى الرمل أو غير ذلك من أنواع الحيل فيقتلها مخافة الفقر أو العار فنهاهم الله عن ذلك قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وقال واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت كما سبق فى عوائد العرب

﴿أنكحة العرب وطلاقهم فى الجاهلية﴾

كانت الانكحة الشائعة فى الجاهلية على أربعة انحاء (الاول) نكاح يشبه نكاح الناس اليوم أى انه بايجاب وقبول ومهر متفق عليه بين ولى الزوج وولى الزوجة وخطب وولائم (الثانى) نكاح البغايا وهو ان يطأ البغى جماعة متفرقون واحدا بعد واحد فاذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن غلب عليه شبهه منهم (الثالث) نكاح الاستبضاع وهو ان المرأة كانت فى الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها ارسلى الى فلان استبضعى منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها فاذا حملت أصابها زوجها اذا أحب (الرابع) نكاح الجمع وهو ان يجمع البغى جماعة دون العشرة فيدخلون عليها ويطؤنها كلهم فاذا حملت ووضعت ومر عليها عدة أيام من وضعها أرسلت اليهم فلا يتأخر منهم أحد حتى اذا اجتمعوا عندها قالت لهم قد علمتم ما كان منكم وقد ولدت هذا المولود فهو ابنك يا فلان فيلتزم بذلك ويعترف به ولا يستطيع نفيه عنه ولو لم يكن فيه أدنى شبه منه وكان الرجل يتزوج ما شاء من النساء بدون مراعاة حد ولا عدد وقد كان عندهم أنكحة أخرى غير هذه الا انها كانت نادرة فيهم وقد استقبحها أشرافهم وعقلاؤهم كنكاح المقت وهو انه اذا مات الرجل وترك زوجة وله أولاد كبار قام أكبرهم ووضع عليها ثوبه فيرث بذلك زواجها فاذا لم يكن راغبا فى نكاحها زوجها الى من يريد من اخوته الباقين بمهر جديد وكان أكثرهم يستقبح ذلك كما كانوا يستقبحون نكاح البنات والامهات والجمع

خرج قدح النهى قعد عما أراده وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما فى قرابه فاذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما قال الحطيئة

لم يزجر الطير ان مرت به سنحا * ولا يفيض على قسم بازلام

وقال بعض أهل اللغة ان الازلام قداح الميسر وهو وهم بل هى قداح الامر والنهى اه تاج

بين الاختين وربما وجد فيهم من كان لا يستقبح مزاحمة أبيه فى زوجته كما وجد فيهم من كان يستحسن زواج ابنته كما يفعله المجوس ومثل هذا قليل جدا والغالب عندهم انما هو النكاح الذى كان بايجاب وقبول وكان من عاداتهم فيه ان تعرض الآباء أو الاولياء الزواج على البنات قبله بايام فاذا قبلن ذلك أجروا العقد بعد ان يتفقوا على مهر معين وكان بعضهم يتغالى فى مهر البنات حتى يبلغ مبلغا عظيما وكان لهم فى الجاهلية طلاق أيضا فاذا لم تحسن المعاشرة بين الزوجين وكان النكاح بعقد ومهر بالصورة المتقدمة فيكون للمرأة الحق فى ان تطلق كما ان للرجل الحق فى طلاقها وكان الرجل اذا أراد طلاق زوجته يقول لها الحقى باهلك أو ما يماثل ذلك فتصير بذلك طالقا وطلاق المرأة كان يعرف بأن تحول باب بيتها المصنوع من الشعر أو الوبر وغير ذلك الى جهة عكس جهته الاصلية ثم ان الشريعة الغراء قد أبطلت جميع الانكحة الفاسدة التى كانت فى الجاهلية وجعلت النكاح على ما هو معهود عليه الآن فيها بشروط مخصوصة

وأما أنكحة أصوله صلى الله عليه وسلم فانها كلها صحيحة لما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شئ ومن ثم ورد عن ابن عباس مرفوعا لم يلتق أبواى قط على سفاح ولم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا يتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما أى ان نكاح أصوله صلى الله عليه وسلم كان كنكاح الاسلام فى انه من النوع الاول بايجاب وقبول ومهر مسمى وان لم يكن مستجمعا للشروط التى اعتبرت فيما بعد فى نكاح الاسلام لان استيفاءه للشروط الاسلامية كان على سبيل الاتفاق دون القصد أو المراد انه كنكاح الاسلام فى الجملة لان اسلام الولى أو عدالته أمر متعذر قبل الاسلام خصوصا أيام الجاهلية وبالجملة فنكاح أصوله صلى الله عليه وسلم منزه عن السفاح أى الزنا واتخاذ الاخدان وما كانوا عليه فى الجاهلية من نحو نكاح زوجة الاب الى غير ذلك من الانكحة الفاسدة وهذا من أعظم العناية به صلى الله عليه وسلم حيث أجرى الله سبحانه وتعالى نكاح آبائه الى ان أخرجه صلى الله عليه وسلم من بين أبويه على نمط واحد ونكاح صحيح ولم يصبه من سفاح الجاهلية شئ ولذلك قال الامام السبكى رحمه الله ان الانكحة الواقعة فى نسبه صلى الله عليه وسلم كلها مستجمعة لشروط الصحة كانكحة الاسلام ثم قال فاعتقد هذا بقلبك وتمسك به ولا تحد عنه فتخسر

وروى هشام بن محمد الكلبى عن أبيه قال كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم

فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيأ مما كان فى الجاهلية اه ولعل هؤلاء الامهات من جهة الاصلين أى أمهات أبيه وأمه وأمهات آبائهم وأمهاتهم لامكان السنين التى تحسب فيها الاجيال والله أعلم

﴿خرافات العرب ومعتقداتهم فى الجاهلية﴾

لايخفى ان كل أمة من الامم فى أوائل أمرها كان لها خرافات عجيبة ومعتقدات غريبة نظر العدم ترقى الافكار فى تلك الاعصار كما يعرف ذلك كل من اطلع على أحوال الامم الماضية فى القرون الخالية وكان فى العرب شئ من تلك الخرافات وبعض من تلك الخزعبلات وكان لهم اعتقادات غريبة فتراهم كانوا يعولون على عيافة الطير وزجره فى حركاتهم وسكناتهم وأسفارهم ومقاصدهم وهو ان يتشاءموا أو يتيمنوا بما يرونه من الطير تارة باسمه وتارة بطيرانه يمينا أو شمالا وتارة بصوته وتارة بمقدار ما يصوت وتارة بمسقطه الذى يسقط فيه ومن أعظم ما كانوا يتطيرون منه الغراب وكانوا يسمونه بالأعور على جهة التطير مع انه من أصح الطير بصرا ويلقبونه بحاتم أيضا لانه يحتم الفراق ولهم فيه أشعار كثيرة كقول بعضهم

اذا ماغراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله ياطير بالبعد
لانت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
تصيح بين ثم تعثر ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كانك من يوم الفراق على وعد

وكانوا اذا أرادوا سفرا يخرجون فى الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا وكان لهم اعتقادات غريبة فى الجن والسعالى والغيلان والسحر والهواتف والكهانة والعرافة والطيرة والزجر والعيافة وغير ذلك من المعتقدات الفاسدة التى جاء الاسلام بابطالها وكانوا يعتقدون ان من خرج الى سفر والتفت وراءه لاينجح فى سفره وان من علق عليه كعب أرنب لم تؤثر فيه عين ولا سحر وكانوا يزعمون ان الحية تهرب من الارنب لكونها تحيض وان الرجل اذا قدم قرية وخشى وباءها ونهق قبل ان يدخلها مثل الحمار لم يصبه الوباء وان الرجل اذا ضل فى سفر وقلب ثيابه اهتدى الى الطريق المستقيم وان الناقة اذا نفرت وذكر لها اسم أمها سكنت وكان عندهم خرزة مخصوصة يسمونها (السلوان) يزعمون ان المحب اذا حكها وشرب ماءها سلا وكانت نساؤهم غالبا لاتبكى المقتول حتى يؤخذ بثاره وانه اذا سقط من الغلام سن فرمى به امام عين الشمس بسبابته وابهامه وقال أبدلنى

أحسن منها فانه يأمن على نفسه الفلج والعوج ويستبدل سنا أحسن منه وكان من ضمن اعتقاداتهم الفاسدة والاوهام الكاذبة الرتم وهو انه اذا أراد أحدهم سفرا عمد الى شجرة وعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل ظن ان امرأته قد خانته والرتيمة وهى انه اذا مات أحدهم علقوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها وتركوها هكذا حتى تموت ويزعمون انه اذا بعث من قبره ركبها ومن خرافاتهم أيضا التفقئة والتعمية وذلك انه كان اذا بلغت ابل أحدهم ألفا فقأ عين الفحل فاذا زادت عن ألف قلع عينه الاخرى ويزعمون ان ذلك يكف العين عنها وكانوا اذا أصيبت الابل بجرب أو عر وهو داء يشبهه ربما يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ السقيمة وكانوا يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر كالبومة يسمى بالهامة فلا يزال يصيح على القبر ويقول اسقونى الى أن يؤخذ بثاره ويقولون انها تخبره بما يكون بعده فى عشيرته كما قال بعضهم

هامى تخبرنى بما أحدثتمو * فتجنبوا الشنعاء والمكروها

وكانوا يزعمون ان فى البطن حية تسمى الصفر تعض الانسان اذا جاع وقد جاء فى الحديث نفى ذلك وكانوا يعتقدون فى الهواتف وهى ان الانسان اذا خرج فى الفلوات المقفرة والفيافى الواسعة كثيرا ما يسمع صوتا ولا يرى شخصا وهو من الاوهام الفاسدة والاختلاقات الكاذبة التى يخيلها الوهم للانسان بدون حقيقة وذلك ربما ينشأ من الخوف أو الذهول أو توجه الفكر الى شئ مخصوص فتخيل له الاوهام صوتا وهميا فيما يختلج بنفسه من الوساوس الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى ولا يمكن حصره ولا يستقصى وقد جاء الاسلام بابطال هذه الخرافات القديمة والمعتقدات الفاسدة السقيمة

﴿نيران العرب﴾ (١)

أشهرها اثنتا عشرة نارا (الأولى) نار المزدلفة وهى نار كانت توقد بمزدلفة ليراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصى بن كلاب (الثانية) نار الاستمطار وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية اذا احتبس عنهم المطر جمعوا البقر وعقدوا فى أذنابها وعراقيبها السلع والعشر ٢ ثم يصعدون بها فى الجبل الوعر ويشعلون فيها النار ويزعمون أن ذلك من أسباب

(١) أنظر سبائك الذهب (٢) السلع محركة بالفتح شجر مر والعشر كصرد شجر فيه حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه ويحشى فى المخاد ويخرج من زهره وشعبه مادة سكرية والتسليع فى الجاهلية انهم كانوا اذا أجدبوا علقوا السلع مع العشر بثيران الوحش وحدروها من الجبال وأشعلوا فى ذلك السلع والعشر النار يستمطرون بذلك قال ودالك الطائى

لادر در رجال خاب سعيهم * يستمطرون لدى الازمات بالعشر

المطر (الثالثة) نار التحالف وذلك أنهم كانوا اذا أرادوا عقد حلف أوقدوا النار وعقدوا الحلف عندها ويزعمون أن من نقض العهد منع عنه خيرها قال أبو هلال العسكرى وانما كانوا يخصون النار بذلك لأن منفعتها تختص بالانسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان (الرابعة) نار الطرد وهى نار كانوا يوقدونها خلف من مضى ولا يحبون رجوعه (الخامسة) نار الاهبة للحرب وهى نار كانوا يوقدونها على رؤس الجبال اذا أرادوا حربا أو تربصوا جيشا ليبلغ أصحابهم الخبر فيأتونهم وأول من أوقد هذه النار بنوطى (السادسة) نار الحرتين كانت تخرج من الارض فى بلاد عبس فى الليل فاذا طلع النهار فهى دخان مرتفع فى الجو وربما بدر منها عنق فاحرق من مر بها فدفنها خالد بن سنان العبسى فكانت معجزة له كما سيأتى (السابعة) نار السعالى وهى نار ترتفع للمتقفر والمتغرب فيتبعها فتهوى به الغول على زعمهم (الثامنة) نار الصيد وهى نار توقد للظباء لتعشى اذا نظرت اليها (التاسعة) نار الاسد وهى نار كانوا يوقدونها اذا خافوا الاسد لينفر عنهم فان من شأنه النفار من النار لأنه اذا رآها استهال منظرها ففزع منها وقيل انه اذا رأى النار حدث له فكر صده عن قصده (العاشرة) نار القرى وهى نار توقد ليلا ليراها الاضياف فيهتدون بها (الحادية عشرة) نار السليم وهو الملدوغ كانوا يوقدون النار للملدوغ اذا لدغ يساهرونه بها وكذلك المجروح اذا نزف دمه ومن عضه الكلب لئلا يناموا فيشتد بهم الأمر حتى يؤديهم الى الهلكة (الثانية عشرة) نار الوسم وهى النار التى يسم بها الرجل منهم خيله أو ابله بسمة خاصة لتتميز من غيرها فاذا ضاعت وسأل عنها يقال له ما سمة ابلك مثلا فيقول كذا فيهتدى اليها

﴿صناعة العرب﴾

كانت صناعة العرب متقدمة نوع تقدم يماثل غيرها من الأمم فى تلك الاعصار الاولية والقرون الخالية التى لم تكن الصناعة فيها قد وصلت الى غاية التحسين والاتقان كما هو شأن الامم فى أوائلها فانهم فى تلك الحالة الفطرية والبساطة الأولية كانوا قد توصلوا الى معرفة الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والحديد والنحاس والرصاص وغير ذلك من الاحجار الكريمة والجواهر الثمينة والمعادن النافعة التى استعملوها فى أثاثهم ومتاعهم وحليهم وطرازهم ولباسهم وسلاحهم بعد استخراجها من معادنها وتخليصها من مخالطها

أجاعل أنت بيتمورا مسلعة * ذريعة لك بين الله والمطر

وقيل انهم كانوا يقرون ظهورها من حطبها ثم يلقحون النار فيها يستمطرون بلهب النار المشبه لسنا البرق اه تاج

وتحويلها الى مايريدون وصوغها على حسب مايرغبون وقد توصلوا أيضا فى الحياكة الى درجة عالية فكانوا ينسجون المنسوجات اللطيفة من الحرير والقطن والكتان والصوف خصوصا أهل اليمن منهم وكانوا يستعملون تلك المنسوجات فى ملابسهم وفرشهم وغير ذلك مما تمس الحاجة اليه كل على قدر درجته فى السعة والقلة وكان أهل الوبر منهم يتخذون خيامهم وخباءهم من الصوف والشعر والوبر من أغنامهم ومعزهم وابلهم ويغزلونها وينسجونها بأيديهم بآلات بسيطة وطرق ساذجة وكان أهل الحضر منهم يبنون المبانى الرفيعة والحصون المنيعة والقصور الشاهقة المشيدة فى مدنهم المشهورة العديدة وقد نحتوا فى أوائل أمرهم من الجبال بيوتا وربما سكنوا المغاير فى الجبال كما قدمناه

﴿تجارة العرب﴾

يظهر من الآثار المصرية ان تجارة العرب كانت عظيمة جدا وقد بعثت الملكة (حاتازو) من الدولة الثامنة عشر وأرسلت سفنها الى بلاد ﴿بونت﴾ لعلها اليمن لأجل التجارة واستولت عليها ومن ذلك يعلم ان أهل اليمن كانوا يتجرون مع الهند ولا ريب ان هذه التجارة حصلت مدة الفينيقيين وبقيت تجارة اليمن ناجحة مدة الدولة التاسعة عشر ثم كسدت بتأخر مملكة مصر وكان لليمن تجارة مع الفينيقيين على طريق الحجاز برا بواسطة القوافل ونجحت هذه التجارة نجاحا عظيما جدا أيام سليمان عليه السلام حتى شاع بتلك التجارة خبر سليمان ومجده وحكمته ثم قصدته ملكة سبأ وحدث من أمرهما ما كان كما تقدم اجماله ويعلم تفصيله من القرآن الشريف وتفاسيره ومن أهم عروض التجارة عند العرب الاحجار الثمينة التى كانت توجد فى بعض جبال تلك الجزيرة واللؤلؤ الذى كان يستخرج من خليج عمان والطيب والبخور المأخوذ من الاعشاب الطبيعية عندهم كالعود الاقلى والندو والمندل وكذلك من الاشياء المفيدة كالقرفة والبن والصمغ واللبان والصبر والمر والفلفل والحناء والادم والمنسوجات الحريرية اليمنية وغيرها وقد سبق الكلام على الجهات المشهورة التى كانت تقام فيها أسواقهم فى جزيرة العرب وكان لقريش رحلة الشتاء الى بلاد اليمن ورحلة الصيف الى بلاد الشام على اثر ظهور الاسلام

﴿مقدمات تمهيدية لظهور الدولة الاسلامية وبزوغ الانوار المحمدية﴾

لما أراد الله ظهور نبيه صلى الله عليه وسلم فى الوجود جعل لذلك الامر الخطير مقدمات حكمية وتمهيدات أولية منها تقدم قريش نوع تقدم وظهورها بالشرف والمجد بين سائر

العرب واعلاء كلمتها فيما قارب مولده الشريف من الازمان وذلك انه لما تهذبت لغة العرب وبلغت درجة الكمال كان لسان قريش هو أفصح لسان وأحسن بيان وصارت لهم الرتبة الشريفة بين العرب لكونهم آل الله وجيرانه وسكان بيته وفى ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم

نحن آل الله فى ذمته * لم نزل فيها على عهد قدم
ان للبيت لربا مانعا * من يرد فيه بإثم يختترم
لم تزل لله فينا حرمة * يدفع الله بها عنا النقم

فهم منسوبون دائما لله قال بعضهم يمدح أولى الامانة وهى مفتاح الكعبة

اذا اشتعب الناس البيوت فأنتم * أولو الله والبيت العتيق المحرم

فمن حيث كونهم سكان الحرم لا يزالون آمنين فى اجتيازهم وتنقلاتهم شتاء وصيفا فى رحلة الشتاء والصيف والناس يتخطفون من حولهم فاذا عرض لهم عارض قالوا نحن آل حرم الله فلا يتعرض لهم أحد وكان هاشم يؤلف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الأمصار فى ذمة هؤلاء الأربعة الاخوة ولا يتعرض لهم أحد وكان كل أخ منهم أخذ حبلا من ملك ناحية سفره اما ناله كالاجازة فكان هذا أشبه شئ بالروابط والعلاقات بين أمراء مكة المشرفة وبين كبار ملوك الدنيا فهذا أمارة على دولة قرشية مع ما يضاف الى ذلك مما حصل من قصى بن كلاب فى زمانه حيث جمع قبائل قريش وكانت متفرقة فى البوادى فاسكنها الحرم وكانت تدعى قبل التجميع النضر بن كنانة فكانت قبائل قريش متفرقة فى بنى كنانة فجمعهم قصى ابن كلاب الى البيت فسموا قريشا من التقريش كما سبق وأول دار بنيت بمكة دار الندوة وتسمى دار المنتدى بناها قصى لتكون مجلس القوم نهارا يجتمعون فيها للمشاورة فى الامور المهمة فلم يكن لهم أمر مهم الا اجتمعوا فيها وهو الذى بنى المسجد الحرام بجبل المزدلفة وكان يسرج عليه أيام الحج فسماه الله مشعرا وأمر بالوقوف عنده وتنتهى قبائل قريش الى فهر بن مالك قال الشاعر

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وكان قصى يعشر من دخل مكة من غير أهلها وكان أول سبب حرب قصى مع خزاعة ان مفتاح الكعبة كان بيد أبى غبشان الخزاعى وكان يلى أمر البيت وسدانة الكعبة قبل قريش واسمه سليم بن عمرو فاجتمع مع قصى فى شرب بالطائف فاسكره قصى ثم اشترى

المفاتيح منه برزق (١) خمر كما سبق فعيره العرب فانكر البيع وقال انما رهنتها له فتنازعوا ووقعت الحرب بين قصى وخزاعة فظهرت قصى على خزاعة وصارت مفاتيح الكعبة لهم بدون منازع ولم ينفع احتيال أبى غبشان ولا حرب خزاعة ولذلك قال الشاعر

أبو غبشان أظلم من قصى * وأظلم من بنى فهر خزاعه

فلا تلحوا قريشا فى شراه * ولوموا شيخكم اذ كان باعه

فاجتمع لقريش فى ذلك الوقت الرياسة على قومهم واطاعتهم العرب واجتمع لهم مالم يجتمع لغيرهم من مناصب الشرف فى ذلك الوقت وهى الحجابة (٢) والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة (فالحجابة) هى سدانة البيت الشريف أى تولية مفتاح بيت الله والسقاية سقاء الحجيج كلهم الماء العذب وكان نادرا ان يجلب اليها من الخارج لسقاية الحاج بل وينتبذ لهم التمر والزبيب للشراب أيضا (وأما الرفادة) فهى اطعام الطعام لسائر الحجاج فكانت تعد لهم الاسمطة فى أيام الحج (وأما الندوة) فهى المشورة فكان يجتمع فيها من قريش ومن غيرهم من العرب من أهل الرياسة من بلغ فى العمر أربعين سنة ولا يعقد عقد نكاح لرجل من قريش الا فيها (وأما اللواء) فراية معقودة على رمح ينصبونه علامة على اجتماع الجيش لحرب الاعداء فيجتمعون تحت هذه الراية ويقاتلون عندها (والقيادة) امارة الجيش ورياسة الحرب فكانت هذه هى مناصب الشرف فى الجاهلية وانتهت الى عشرة أبطن من قريش و بقيت لهم فى الاسلام كذلك والعشرة أبطن هم هاشم وأمية ونوفل وعبد الدار وأسد وتيم ومخزوم وعدى وجمح وسهم فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقى الحجيج وبقى له ذلك فى الاسلام ومن بنى أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش وكانت اذا وجدت عند رجل أخرجها اذا حميت الحرب فان اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وان لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه ومن بنى نوفل الحرث ابن عامر وكانت اليه الرفادة وهى ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج ومن بنى عبد الدار عثمان بن طلحة وكان اليه اللواء والسدانة أى خدمة الكعبة مع الحجابة ويقال الندوة أيضا فى بنى عبد الدار ومن بنى أسد يزيد بن زمعة بن الاسود وكانت اليه المشورة وذلك ان رؤساء قريش لم يكونوا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه عليه فان وافقه أقرهم

(١) الزق بالفتح رمى الطائر بزرقه أو طعام فرخه وبالضم الخمر وبالكسر السقاء أو جلد يجز ولا ينتف للشراب وغيره اه قاموس (٢) وقيل الحجابة هى تولية مفتاح الكعبة فالحجابة والسدانة تولية المفتاح والخدمة وقيل ان الحاجب يحجب واذنه لغيره والسادن اذنه لنفسه

عليه

عليه والاتخيروا واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف ومن بنى تيم أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكانت اليه فى الجاهلية الاشناق وهى الديات والمغرم وكان اذا احتمل شيأ فسأل فيه قريشا صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وان احتملها غيره خذلوه ومن بنى مخزوم خالد بن الوليد كانت اليه القبة والاعنة فأما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش وأما الاعنة فانه كان على خيل قريش فى الحرب ومن بنى عدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت اليه السفارة فى الجاهلية وذلك انهم كانوا اذا وقعت بينهم حرب بعثوه سفيرا وان نافرهم حى لمفاخرة جعلوه منافرا ورضوا به ومن بنى جمح صفوان بن أمية وكانت اليه الايسار وهى الازلام فكان لا يسبق بأمر عام حتى يكون هو الذى تيسيره على يديه ومن بنى سهم الحرث بن قيس وكانت اليه الحكومة والاموال المحجرة التى سموها الآلهتهم فهذه الوظائف عند العرب فى دولتهم المعنوية تشبه وظائف الدولة الملكية الحقيقية وكان لهم آداب منها العمارة وهى أن لا يتكلم أحد فى المسجد الحرام بهجر ولا رفث ولا يرفع فيه صوته وكان العباس ينهاهم عن ذلك وكان لبنى هاشم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان النفر فاما حلوان النفر فلكون العرب لم تكن ترضى فى الجاهلية ان يتملك عليها ملك فاذا حدث لها حرب مع أحد أقرعوا بين أهل الرياسة فمن خرجت عليه القرعة أحضروه صغيرا كان أو كبيرا وأمروه بالنفر للحرب فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بنى هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فاجلسوه على المجن فصار رئيس الحرب ويروى ان المأمون قال لابى الطاهر القرشى الذى كان على البحرين من أى قريش أنت قال من بنى سامة ابن لؤى فقال المأمون

ما سمعنا لسامة بن لؤى * نسبا فى بطوننا العشره
لو علمنا به على بعده * منا ديارا كتابه برره

أراد بذلك انه ليس من البطون الذين تقلدوا الشرف والمكارم قديما وهذا بالنسبة لقريش ظاهر وأما باقى العرب كعرب اليمن فكانت فيهم الدولة الملوكية وكانت العلاقة بينهم وبين قريش قد ظهرت امارتها فكان لقريش عليهم قوة معنوية اذ كان لهم درج تزلق عنها اقدام الرجال وافعال تخضع لها رقاب الاقيال وغايات تقصر عنها الجياد المسومة وألسن تكل عنها الشفار الماضية ولو اختلفت العرب ما تزينت الا بهم ولو كانت الدنيا لهم لضاقت بسعة أخلاقهم وهذه الفضائل الخاصة بهم غير الفضائل العمومية الداخلة فى عموم فضائل العرب الشاملة لقريش ولغيرهم التى أشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله

اذا سألتم الحوائج فاسألوا العرب فانها تعطى لثلاث خصال كرم احسابها واستحياء بعضها من بعض والمواساة لله ثم قال من أبغض العرب أبغضه الله

واختصت قريش أيضا بانها لم تزل على تطاول الايام تعتزى الى انساب مضبوطة وتتميز بأحساب عن الخلل محوطة قد قام بتصحيح اتصالاتها فى كل زمان علامون من الامة ونهض بتنقيح حالاتها فى كل أوان فهامون من الائمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش فمن كانت أوصافهم بهذه المثابة فقد آن لهم أوان المظهر فى النجابة لاسيما وانه سبقت لجميع العرب السعادة فى الازل بنزول القرآن بلغتها واشتقاق العربية الفصيحة من ألفاظها والاستشهاد على فهم الكتاب والسنة من أشعارها واسناد الحكمة والآداب اليها وانه لم يكن من الشعراء بعد شعرائها أحد الا كان مضطرا الى الاقتباس من محاسن ألفاظها والعرب مكتفون عن سؤالهم بمعرفتهم وكثير من ألفاظهم ما وافق القرآن الشريف وجاء القرآن على تصرفات اللغة العربية التى بلغت درجة الكمال فى الفصاحة فلم يبق لها فى الحصول على مقصودها وهو كمال تمدنها وانتظام مهجتها مما يورث السقامة والوخامة الا وحدة الدين الصحيح وهجر دين الجاهلية ورفض عبادة الاصنام المختلفة بين القبائل والتصديق بنسخ دين أهل الكتاب والتمسك بدين الاسلام ودعوة جميع الخلق الى عبادة اله واحد حق والركون الى شريعة واحدة صحيحة بها يتمكنون مما جبلوا عليه من الميل الى تملك البلاد وتسخير العباد حسا ومعنى ليصح لهم اصلاح المعاد والمعاش وليشرفوا بمزية السبق الى الاسلام وفتح سائر بلاد الدنيا بالدين المحمدى والجهاد فى الله حق جهاده فكان تقدمها ووجود الاهلية فيها لذلك يعد من الارهاصات للبعثة المحمدية

ومن التمهيدات لظهوره صلى الله عليه وسلم ارسال الرسل مبشرين برسالته ومعلنين بنبوته فهو مركز دائرة الوجود والمقصود من ايجاد هذا الوجود ولم يرسل رسول سواه عام الرسالة عموما حقيقيا ومن أرسل غيره فى العرب انما أرسل رسالة خاصة لقوم مخصوصين كهود وصالح وقد تقدم الكلام عليهما واسماعيل وشعيب وحنظلة بن صفوان وخالد بن سنان العتبى (فأما اسمعيل عليه السلام) فهو أكبر أولاد ابراهيم عليه السلام وأبو العرب المستعربة والاب الاعلى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأول من ركب الخيل وكانت وحوشا لا تركب وقد أعطاه الله القوس العربى فكان لا يرمى شيأ الا أصابه والعرب كلها من ولد اسمعيل وقحطان وبعض اليمن وقد بعثه الله نبيا الى العماليق وقبائل العرب وروى ان ابراهيم عليه السلام استمر دهرا طويلا لا يولد له ولد فوهبت له سارة هاجر وقالت

انى حرمت من الولد فلعل الله ان يرزقك منها ولدا تقر به عينك فاحبها ابراهيم عليه السلام لجمالها وعقلها ودينها فلما حملت باسماعيل و ولدته تحول نور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جبين ابراهيم الى جبين اسماعيل عليه السلام وصار وجهه يضيء كالشمس المشرقة فاخذت سارة الغيرة وقالت لابراهيم عليه السلام ان الله تبارك وتعالى جعل صداقى عليك رضاى وطاعتى وأنا أود ان تحمل هذه الجارية وابنها الى بلد لا ماء فيها ولا زرع فتسكنهما فيها قال افعل ذلك فامر الله ابراهيم بالمسير الى مكة فسار واوأنزلهما هناك والبيت يومئذ ربوة حمراء مشرفة على ماسواها فلم ينزل ابراهيم عن مطيته فنادته هاجر يا نبى الله الى من تكلنا فقال الى الله تعالى واستودعكما اياه فقالت له أمرك الله بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا وتضرع ابراهيم الى الله تعالى بقوله ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم ذهب ابراهيم عليه السلام راجعا الى الشام فصنعت عريشا وكان معها شنة فيها ماء فنفد الماء وعطشا عطشا شديدا ولما اشتد الظمأ على اسماعيل أخذ يدحض الارض برجله فانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيأ فلم ترشيأ فانحدرت الى الوادى فسعت حتى أتت المروة فاستشرفت هل ترى شيأ فلم تر شيأ ففعلت ذلك سبع مرات فذلك أصل السعى ثم جاءت الى اسمعيل وهو يدحض الارض بقدميه وقد انبع الله له ماء زمزم اكراما وقيل انها تضرعت الى الله تعالى فنزل جبريل عليه السلام فى صورة آدمى فركض برجله موضع بئر زمزم فنبع الماء من موضع رجله فشرب منها اسماعيل وأخبرها جبريل انها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وان هذا الغلام وأباه سيبنيان بيتا هذا موضعه فلبثا خمسة أيام يشربان من ذلك الماء فيكفيهما عن الشراب والطعام ثم قدم اليهما قوم من جرهم فلما رأوا الطير يحوم فوق الوادى وانضموا اليهما بشرط ان لا يكون لهم حق فى الماء وان يخرجهم اسمعيل متى شاء وتعلم العربية منهم وتزوج بنت سيدهم كما سبق وقيل انه فى اليوم السادس أقبل غلامان من العمالقة وأبصرا الماء وأخبرا قومهما بذلك فاقبل عظماؤهم الى اسماعيل وامه هاجر فسألوها فاخبرتهم بخبرها فقالوا لولا ان هذا الغلام كريم على الله تعالى ما نبع له الماء من هذا المكان فاستأذنوا منها أن ينتقلوا بأهاليهم فيقيموا معهما وان هذا الغلام متى أراد اخراجهم من هذا المحل خرجوا منه واشترطوا له عليهم المواساة فى أموالهم ورياسته عليهم عند ادراكه فرضيت بذلك فانتقلوا جميعا وابتنوا المنازل والبيوت ونشأ اسماعيل عليه السلام مع أولادهم وكانت لغتهم العربية الصحيحة وهى لغة بنى معد التى نزل بها القرآن

ثم لما بلغ الاربعين بعث الى العمالیق وجرهم وقبائل الیمن وكانوا یعبدون الاوثان فآمن بعضهم وذهب كثیر من العلماء الى ان اسماعیل صلى الله علیه وسلم هو الذبیح وان ذلك كان فى شعب مكة وانه فدى بكبش من الجنة قد رعى فیها أربعین خریفا وان الاسلام جاء ورأس الكبش معلق بترنیه فى میزاب الكعبة الى ان حرقها الحجاج وعلى ذلك قال بعضهم

ان الذبیح هدیت اسماعیل * نطق الكتاب بذاك والتنزیل
شرف به خص الاله نبینا * وأبانه التفسیر والتأویل

والكتاب العزیز لم یصرح بأن الذبیح اسماعیل لانه لو صرح بذلك لما حصل خلاف فیه وانما جرى علیه أغلب المفسرین والمحققین كما هو مبین فى محله وولد لاسماعیل اثنا عشر ذكرا وبنت وعاش اسماعیل مائة وسبعا وثلاثین سنة ومات بمكة ودفن ما بین المیزاب والحجر الى جنب قبر أمه هاجر وقد تقدم بعض ذلك بایجاز وأما بناء اسماعیل البیت الحرام مع أبیه فأمر معلوم نطق به الكتاب العزیز قال تعالى واذ یرفع ابراهیم القواعد من البیت واسماعیل ربنا تقبل منا انك أنت السمیع العلیم وتأذین ابراهیم بالحج الیه مفهوم قال تعالى وأذن فى الناس بالحج یأتوك رجالا وعلى كل ضامر یأتین من كل فج عمیق وان حلوله بالبیت الحرام واجتماع القبائل الیه وجمع بعض شتاتهم هو أول تمهید لجامعة العرب

(واما شعیب علیه السلام) (١) فقد بعثه الله تعالى الى أهل مدین وأصحاب الایكة (والایكة الشجر الملتف) وكان ابراهیم علیه السلام جده الاعلى لابیه ولوط علیه السلام جده لأمه على الصحیح وكان لسانه عربیا وكان یسمى خطیب الانبیاء لحسن مراجعته قومه وكان قومه أغنیاء قد بسط الله لهم الرزق استدراجا لهم وكانوا كفارا وكانت أرضهم مدین وهى ما بین أرض مصر وأرض الشام فقال لهم شعیب یا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غیره ولا تنقصوا المكیال والمیزان انى أراكم بخیر وانى أخاف علیكم عذاب یوم محیط الى آخر

(١) قال صاحب أخبار الدول اختلف العلماء فى نسبه وانصحیح ما قاله ابن الجوزى من انه شعیب بن عنقا بن شویب بن مدین بن ابراهیم علیه السلام وأمه مكیل بنت لوط علیه السلام وقال ابن الاثیر قیل ان اسم شعیب یثرون بن ضیعون بن عنقا بن نابت بن مدین وقیل هو شعیب بن میكیل من ولد مدین وقیل لم یكن شعیب من ولد ابراهیم وانما هو من ولد بعض من آمن به وهاجر معه الى الشام ولكنه ابن بنت لوط فجده شعیب بنت لوط اه

ماقصه الله فى كتابه العزيز وذلك انهم كانوا يجلسون على الطريق ويبيعون بالكيل والميزان الناقصين وكانوا عشارين يقطعون الطريق فلما طال تماديهم فى الغى والكفر ويئس شعيب من صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله دعاءه فأهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة وكانوا قد اجتمعوا تحت سحابة بعثها الله تعالى اليهم فاظلتهم ووجدوا لها بردا وريحا طيبة فألهبها الله تعالى عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا وصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وقال أبو عبد الله البجلى أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمان شعيب كلمن فقالت اخته وهى تبكى

كلمن قد هدركنى * هلكه وسط المحله
سيد القوم اتاه الـ * ـحتف نار وسط ظله
جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

وقد رثاه المنتصر بن المنذر بقوله

ملوك بنى حطى وسعفص ذو الندى * وهوز ارباب المقام مع الحجر
هم ملكوا أرض الحجاز بأوجه * كمثل شعاع الشمس أو صورة البدر
وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا * قصورا وشادوا للمكارم والفخر

ويذكر لهم حروب عجيبة وسير غريبة ويفهم من كون غالبهم تجارا ولهم مكاييل وموازين انهم كانوا عشارين يقطعون الطريق وانهم كما فى قصة يوسف عليه السلام كانوا يسافرون الى مصر للتجارة وان لهم ملوكا تسمى بالكلمات الابجدية وانهم كانوا متمدنين وان الكتابة كانت موجودة عندهم وهذا يدل على ان الكتابة قديمة فى العرب كما اسلفناه

(وأما حنظلة بن صفوان) فانه كان من ولد اسماعيل وكان نبيا فى الفترة وقد أرسله الله الى أصحاب الرس خاصة وكانوا قبيلتين من ولد اسماعيل فخالفوه وقاموا عليه وقتلوه فأهلكهم الله تعالى وقد اختلفوا فى أصحاب الرس فمنهم من قال هم بقية ثمود وهم أصحاب البئر التى ذكرها الله فى كتابه العزيز فى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بأرض اليمامة وعليه أغلب المفسرين وقال بعضهم انه كان رسان أحدهما أهله أهل بدو والثانى أهله أهل حضر وكان لهم نهر يسمى الرس نسبوا اليه وهذا النهر من أذربيجان وأرمينية فما كان من جانب أرمينية يعبدون الاوثان وما كان من جانب أذربيجان يعبدون النيران أرسل الله لهم أنبياء فقتلوهم ولم يؤمنوا فأهلكهم الله تعالى وقد بسط الكلام

فى هذا المقام صاحب أخبار الدول والراجح ماذكرناه والله أعلم (وأما خالد بن سنان العبسى) فهو ضبى عربى من ولد اسماعيل عليه السلام وكان فى زمن الفترة بين المسيح وبين نبينا عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ظهرت نار فى مكة والمدينة فى الفترة فقسمتها العرب فكانت طائفة منهم تعبدها مضاهاة للمجوس فقام خالد هذا فاخذ عصاه واقتحم النار يضربها فضربها بعصاه حتى أطفاها الله عز وجل فقال لاهله انى ميت فاذا مت وجاء الحول فارصدوا قبرى فانه ستجىء عانة من حمر الوحش يقدمها عير أبتر فيضرب قبرى بحافره فاذا رأيتم ذلك فاقتلوه وانبشوا قبرى واستخرجونى فانى احدثكم بما هو كائن فمات فرصدوه الحول وراوا العير فقتلوها وارادوا نبش قبره فمنعهم بنوه وقالوا لايسمى بالنبى المنبوش ويروى ان ابنة خالد هذا أتت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ماهاجر فسلمت عليه وقالت انا ابنة خالد بن سنان ففرح بها ثم قال لاصحابه رضى الله عنهم اتعلمون ماسبيل أبى هذه قالوا الله ورسوله اعلم قال ان أباها كان نبيا هلك بين مكة والمدينة ضيعه قومه فقص النبى صلى الله عليه وسلم قصته وقال لو نبشوه لاخبرهم بشأنى وشأن هذه الامة وما يكون فيها ويقال انه نبى البرزخ بعث لمن مات طفلا والله أعلم ومما ينقل عنه حين اطفأه النار قوله بدا بدا كل هدى بالله مؤدى لادخلها وهى تتلظى ولاخرجن منها وثيابى تندى فارسال هؤلاء الرسل للعرب قبله صلى الله عليه وسلم تمهيد لرسالته كما سبق (ومن التمهيدات) أيضا رسالته ان الله سبحانه وتعالى قد جذب اليه القلوب فآمن به كثير زمن الفترة وان لم يحصل الاتفاق على ايمانهم (١) (وممن آمن به فى الفترة أسعد أبو كرب الحميرى) آمن به صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بسنتين وانشأ يقول

شهدت على أحمد انه * رسول الاله وبارى النسم

فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيراله وابن عم

وهو أول من كسا الكعبة الانطاع والبرود وأول من حلاها فى الجاهلية عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم وفى الاسلام الوليد بن عبد الملك وقيل أبوه وقيل ابن الزبير وحلاها من العباسيين الامين والمتوكل والمعتضد وحلتها أم المقتدر العباسى والملك المجاهد صاحب اليمن وممن حلاها من بنى عثمان السلطان أحمد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد خان وكان اراد ان يجعل حجارة الكعبة الشريفة ملبسة واحدا بالذهب وواحدا بالفضة فمنعه المولى محمد بن سعد الدين المفتى وقال هذا يزيل حرمة البيت ولو أراد الله سبحانه وتعالى لجعله قطعة من الياقوت فكف عن ذلك وجعل ثلاث مناطق من

(١) انظر اخبار الدول الاول للقرمانى وتوفيق الجليل

الفضة المحلاة بالذهب أيضا داخل الكعبة الشريفة صونا لها من الهدم (وممن آمن به صلى الله عليه وسلم فى الفترة قس بن ساعدة) الايادى وكان حكيم العرب صحيح النسب مقرا بالبعث والحساب فصيحا اذا خطب عمر عمرا طويلا وكان مقر الله تعالى بالوحدانية تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال كان يسيح على منهاج المسيح يتقفر القفار ولا تكنه دار ولما قدم الجارود بن عبد الله على النبى صلى الله عليه وسلم سأل عنه فقال هلك فقال يرحمه الله فهل فيكم يا معشر المهاجرين والانصار من يحفظ لنا منه شيأ فوثب أبو بكر رضى الله عنه قائما فقال انا يا رسول الله كأنى انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا واذا وعيتم شيا فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت مطر ونبات وارزاق وأقوات جمع واشتات وآيات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا نجوم تمور وبحار تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم بالله قسما لا حانثا ولا آثما ان لله دينا أحب من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد اظلكم أوانه وادركتكم ابانه فطوبى لمن ادركه فآمن به واتبع هداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا يا معشر بنى آدم اين الآباء والاجداد واين المرضى والعواد طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم انشأ يقول

فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للقوم ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * تمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى الىّ ولا من الباقين غابر
أيقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لارجو ان يبعثه الله أمة وحده (ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل) وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان يرغب فى دين الاسلام ويعرض عن عبادة الاصنام وعابها فاولع به عمر بن الخطاب وسلط عليه سفهاء مكة فآذوه فسكن كهفا بجبل حراء وكان يدخل مكة سرا وسار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق فمات

(ومنهم أمية بن أبى الصلت الثقفى) وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه بعض الناس من أهل الكتاب فقرأ عليهم وعلم ان نبيا سيبعث من العرب وكان يقول أشعارا

يصف فيها السموات والارض وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله تعالى
ويوحده ويمجده وهو أول من كتب باسمك اللهم

(ومنهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى) وهو ابن عم خديجة بنت خويلد
زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب المنزلة ورغب عن عبادة الاصنام
وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب واجتمع
بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اثبت على ما انت عليه فوالذى نفس ورقة بيده
انك لنبي هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن ادركت يومك
لانصرنك نصرا مؤزرا

(ومنهم بحيرا الراهب) وكان على دين المسيح عيسى بن مريم ولما خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع عمه أبي طالب الى الشام فى تجارة وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومعهما أبو بكر
وبلال رضى الله عنهما فمروا ببحيرا الراهب وهو فى صومعته فعرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم بصفته ودلائله وكان الغمام يظله حيثما جلس فانزلهم بحيرا وأكرمهم واصطنع
لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفى النبي صلى الله عليه وسلم
ووضع يده على موضعه وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر وبلالا بقضيته وما يكون
من أمره وحذرهما عليه من أهل الكتاب خصوصا اليهود وسألهما ان يرجعا به فرجعا
برسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة واعلنا قريشا بما اظهره الله تعالى من دلائل
نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم ومن هذا كله يعلم ان قومه الذين أرسل
بلسانهم لكافة الناس بشيرا ونذيرا هم العرب خصوصا عشيرته الاقربين يعنى قريشا
حتى ان الحكمة الالهية اقتضت ان منهم من آمن به قبل بعثته أو ان الدلائل كانت فيهم
قائمة ولو أدركوا البعثة لكانوا أول من صدق به لاسيما وانهم علماء قريش وفصحاؤها
فكانوا أقرب الى ادراك أعظم معجزاته وهو القرآن البالغ حد الاعجاز الذى اعجز فصحاء
العرب عن الاتيان باقصر سورة منه فهو أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فى
سيرته الشريفة موضحا ومن هذا يعلم فضل العرب وانهم هم المخاطبون أولا بالشريعة
الاسلامية كما سبق لانها نزلت بلسانهم وكان أغلب العرب فى استعداد لقبولها وكذلك
وفق الله تعالى الصحابة رضى الله تعالى عنهم بأنهم كانوا يخرجون من ديارهم وأموالهم
ابتغاء مرضاة الله ورسوله ويقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص بقلب ثابت
وشجاعة تامة حبا فى اعلاء دينه ففاز وا بمحبة الله ورسوله قال تعالى ان الله يحب الذين
يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وكان هذا سرا من أسرار الله تعالى أودعه

لوب العرب لاعلاء دينه واظهار رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم وتمهيد الاصلاح
تيد والتمدن الجديد وتوطئة للارهاصات النبوية المتقدمة على البعثة المحمدية وهذه
رهاصات تنقسم الى داخلية وخارجية (أما الارهاصات الداخلية) فانه من المعلوم
ختلاف البطون والعشائر وتنافر القبائل والشعوب فى المفاخرات أخذ فى المحو
زوال واستعيض عنه بالتواطؤ وانفاق الكلمة لما تبين للعرب الوقوع فى الذل
دلان من هجوم الاجانب بقصد التغلب على العرب واذلال أعزتهم والسطوة على
تهم وذلك لان جزيرة العرب كان يسطو عليها من جهة الشمال دولة الروم ومن جهة
رق أهل فارس ومن جهة الجنوب الحبشة فاستشعر العرب قبل الاسلام بأنهم لا ملجأ
من هذه الاقوام الا اجتماعهم واتحادهم وانتظامهم فى سلك الجنسية الواحدة حيث
دتهم اغارة الاجانب عليهم عبرة وموعظة ورأوا ان حماية وطنهم العمومى مما ينبغى
لهتم به جميعهم ويشتركوا فى الذب عن حريتهم واستقلال وحدتهم الوجودية فدبروا
يرا اضعفوا به أعداءهم باغراء بعض الدول الاجنبية على بعض وايقاع الشحناء بينهم
ا أغار فى أيام عبد المطلب ابرهة الاشرم صاحب الفيل ملك الحبشة على مكة المشرفة
ب على ذلك مزية وطنية لقريش عادت عليها بالمنفعة العمومية وذلك انه لما
بى صلى الله عليه وسلم حملا فى بطن امه حضر أبرهة الاشرم ملك اليمن يريد هدم الكعبة
خذله الله تعالى ولم يتمكن من ذلك كما سبق فى قصة الفيل فانه من هذا الوقت ظهر
ب العرب وقوة قريش ومكانتها وبقيت مكة المشرفة مستقلة بحكم نفسها وعز
ها وسلطانها وافتخرت بذلك لانها أم القرى وكان اذ ذاك عبد المطلب جد النبى صلى
الله عليه وسلم رأس قريش وأكبر حكامها وهو أحد من حرم الخمر فى الجاهلية فجعل
مكة مركزا عاما يجمع أشتات القبائل المتفرقة وينظمها فى سلك واحد لتقوى شوكة
العرب بالوحدة الجنسية وتجهز أهل جزيرة العرب لادراك فضيلة الوطنية العمومية
(ولما كان سيف بن ذى يزن قد ظفر بالحبشة) وظهر عليهم وأجلاهم عن اليمن وذلك
بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وشعراؤها للتهنئة سار اليه عبد
المطلب ومعه وفد من أشراف قريش كما سبق وكان المقصد الظاهرى لوفد قريش هو
التهنئة لملك اليمن على نصرته على عدوه والاخذ بثاره قومه بالنيابة عن قريش والمقصد
الاعظم من هذه الزيارة والغرض الحقيقى الحامل عليها هو عقد التوادد والتحابب وربط
العلاقات بين الحجاز واليمن ولقوا اضعاف ما أملوا من الاكرام والاجلال والتوادد
خصوصا عبد المطلب فانه حظى منه بحظوة لم ينلها سواه وبشر بالنبى الامين كما سبق

ذكره فى الوفود فهذه كلها ارهاصات داخلية لظهور الدولة العربية واعلاء كلمة الشر
المحمدية (وأما الارهاصات الخارجية) فانه لما أراد الله سبحانه وتعالى ظهور نبي
صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته وانتشار دينه سهل الاسباب المساعدة على اجتم
العرب وتأليف قلوبهم وجعلهم مستعدين لتكوين دولة عظيمة بعد التفرق ف
ذلك تأييد للنبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وأ
بين قلوبهم الآية فالدولة الاسلامية وان كان جميع مباديها خوارق عادات وحق
تمهيدات وكرامات فقد عززها الله سبحانه وتعالى بظهور حوادث عجيبة وتمهيد
غريبة ومن أعظم هذه التمهيدات الابتدائية المرشحة لظهور البعثة المحمدية ط
الدول المجاورة للعرب فانه فى أثناء خطور الاجتماع بقلوب العرب وحبهم ان يكو
على قلب رجل واحد وميلهم للاجتماع فى سلك الوحدة الوطنية بجمعية القبائل العر
اذ حصلت الحروب العظيمة التى وقعت اذذاك بين الروم وفارس وطالت المنازعة
هاتين الدولتين ولم يتيقظا وبحصل كف احداهما عن الاخرى الا بعد ظهور الا
الاسلامية فى الامة العربية فكان هذا من أعظم التسهيلات المعينة على قوة الامة العر
عليه وسلم الشريعة المحمدية حيث كف الله هاتين الدولتين بما حصل بينهما من الخلا
عن التعرض لجزيرة العرب وما هو حاصل فيها من ظهور الحركة الدينية للبعثة المحم
وسبب هذه الحروب التى حصلت بين هاتين الدولتين هو ان كسرى تغلب على
الموصل والشام وفلسطين ومصر وسلب هذه الاقاليم من أيدى الروم ولم تمكث فى
الفرس زمنا طويلا حيث بادر هرقل قيصر الروم بنزعها من أيديهم وس
على ذلك ومع هذا فكانت الحروب المستمرة قد أتعبت كلتا الدولتين وأ
ومزقت مدنهما كل ممزق ولاسيما دولة الروم وكانت همة الاهالى قد كلت من
المكوس والعوائد والجمارك بضرائب ثقيلة لا تطاق كما سئمت من كثرة جور كل من
الدولتين على الرعايا وعسفهم الفاحش وتكاليفهم بالاموال العظيمة التى أنفدتها تلك
الحروب المتكررة بلا ثمرة ولا فائدة تعود على الاهالى فاشتد الكرب عليهم من ذلك
وضاقوا ذرعا وكذلك أفضت الحروب بكلتا الدولتين الى الوهن وفقد الشوكة حتى لم تكن
دولة منهما تقدر على توزيع قواها بمقاومة العرب مع ما يضاف الى ذلك من شدة وهن
دولة الروم بالاختلاف فى الدين وتشعب الملة العيسوية الى الفرق المختلفة فى العقائد
المتعادية أشد العداوة بحيث ان دين عيسى عليه السلام قد اختلف عن أصله واتسع
هذا الاختلاف فى أطراف وأكناف الروم المنتصرة وفى الجهات التابعة لهم فى الدين

يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وكان هذا سرا من أسرار الله تعالى أودعه

لاسيما فى مصر فكانت جميع البلاد محتاجة للاصلاح وتقويم اعوجاجها وتعديل
مزاجها فكان ظهور الدين المحمدى اذذاك قد صادف محلا ووجد فرصة ينتهزها
حيث كانوا مستعدين نوع استعداد لقبول شريعة خير الانام والدخول فى دين
الاسلام وهذا آخر ما يسره الله تعالى ووفقنى لجمعه وترتيبه وتنقيحه وتهذيبه من
تاريخ العرب فى الجاهلية قبل الاسلام الى مولد النبى عليه الصلاة والسلام فجاء بعون
الله حسن الترتيب فى غاية التنقيح والتهذيب وأرجو الله ان ينفع به كل
طالب وأن يعم نفعه فى المشارق والمغارب انه خير مسؤل لاعظم
مأمول ثم يليه الجزء الثانى وهو يشتمل على سيرة سيد
الاولين والآخرين وأيام الخلفاء الراشدين الذين
قاموا بعده باعباء الخلافة أحسن
قيام فكانت أيامهم فى
العدل على غاية
ما يرام

لم تكن
من شدة وهن
لتفة في العقائد
عن أصله واتسع
لتابعة لهم في الدين
يجب الذي
ن أسرار الله تعالى أودعه

في

مكتبة العرب
لصاحبها
الشيخ يوسف توما البستاني
بشارع الفجالة
بمصر

main
0 0 0 0 0 0 0 5 0 5 4 4
DS 231 G45

8 MAY 1988